

دين

د. خالد النجار

مختصر بهجة المجالس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفة والصلاة والسلام على رسول الله الذي اصطفى وبعد:
فكتاب «بهجة المجالس» للإمام ابن عبد البر القرطبي من أمتع الكتب في بابه،
فهو بحق بهجة مجالس أهل التربية والآداب والرقاق، وهو كتاب خفيف طريف النظم
لطيف في موضوعه بعيد عن التعقيد والشطط.

إلا أن النسخة التي طالعتها -وهي موجودة أيضا في المكتبة الشاملة- كانت
صعبة النظم لا تخلو من أخطاء مطبعية كثيرة جدا، فضلا عن سوء التنسيق، فعزمت
على تدارك هذه الثغرات، كما قمت بحذف كل الأحاديث والأخبار الواهية والضعيفة
ممن لا يثبت لها سندا صحيحا، وخرجت الأحاديث الصحاح والحسنة وعزوتها إلى
مصادرها، وما تركت من أحاديث ضعيفة -على قلتها وندرتها- نبهت على ضعفها، كما
قمت بحذف الكثير جدا من الشواهد الشعرية خاصة صعبة الفهم منها على القارئ
العادي البسيط، وأضفت بعضا من الأحاديث والأخبار في كثير من الأبواب ممن أعرض
عن ذكرها المؤلف، حتى خرج هذا السفر في ثوب قشيب مختصر يسهل مطالعته
والاستفادة من خيراتة، سائلا المولى جل وعلا أن ينفع به قارئه وأن يكون زخرا لمؤلفه
ومهذه ليوم نسأل الله المولى في علاه أن ينجينا من كربته ويدخلنا الجنة مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين.

جمع وترتيب

د/ خالد سعد النجار

alnaggar66@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

آخر رمضان سنة ١٤٤٧ هـ ٢٠٢٦ م

مختصر بهجة المجالس وأنس مجالس وشحد الذاهن والهاجس

ابن عبد البر القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

٩٧٨ - ١٠٧١ م

تحقيق: محمد مرسي الخولي

لم يصل لنا من ترجمة ابن عبد البر إلا سطور قليلة، تتضمن قليلا من المعلومات التي يمكن أن نعرفها عن حياة الرجل.

والواقع أن ذلك لا يعد غريباً بالنسبة إلى حياة المؤلف، فقد كانت في الحقيقة حياة علمية هادئة، لم يتورط صاحبها في مشاكل السياسة، ولم تكن له أبحاث في الفلسفة وهما بالذات الجانبان اللذان اهتم بهما مؤرخو الأندلس، وأفردوا لأصحابهما، وتفصيل حياتهم الصفحات الطوال.

ولكن هذا الأمر يصعب تقديم ترجمة وافية لحياة المصنف وأعماله، ولهذا فسوف تحاول دراسة العصر الذي عاش فيه المؤلف وخاصة ما يتصل منه بحياته.

مولده، ونشأته:

في الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ وعلى وجه التحديد، وقت صلاة الجمعة والإمام يخطب على المنبر، ولد أبو عمر لأب كان فقيها من فقهاء قرطبة، ولم يقدر لذلك الشيخ أن تطول به الحياة حتى يرى ولده فتى رائعاً أو شابا مكتملا، إذ مات في عام ٣٨٠ هـ وابنه لم يتعد الثانية عشرة من عمره.

وقد نشأ أبو عمر في قرطبة، وتلقى تعليماً ممتازاً على أيدي جلة من علماء عصره، وبرز وتفوق، واستوعب كثيرا من علوم الفقه والحديث والتاريخ والأدب وغيرها، في بلده قرطبة، أعظم المدن الأندلسية في ذلك الوقت وأحفلها بالمكتبات والعلماء.

وحيثما بلغ أبو عمر الثلاثين من عمره أو نحوها، كان المفروض أن يحتل مكانة أبيه: فقيها من فقهاء قرطبة وشيخاً من شيوخها، ولكن حدث فجأة ما حرّمه من هذه المكانة المنشودة والأمل المرتقب.

إذ في تلك الفترة عينها - أواخر عام ٣٩٩ هـ - حدث ما يسمى في تاريخ قرطبة بالفتنة البربرية، والتي كانت حوادثها من القسوة والهمجية بحيث دفعته كما دفعت غيره من العلماء وجمهرة الناس إلى الرحيل العاجل عن المدينة.

الفتنة البربرية:

حوادث هذه الفتنة، بدأت عندما أراد محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي الملقب بالمهدي، أن يتخلص من الدولة العامرية، وكان العامريون قد تولوا زمام السلطة الفعلية طوال أيام الخليفة المستضعف هشام المؤيد، وفعلاً نجح المهدي نجاحاً مؤقتاً، وقتل عبد الرحمن بن أبي عمر الملقب بشنجلول، والذي ادعى أنه ولي عهد الخليفة هشام المؤيد، ثم تسلّم المهدي السلطة، ولكنه لم يكّد يستقر فيها حتى نازعه أموي آخر هو سليمان المستعين الذي تزعم البربر، وقصد أن ينتزع الخلافة من المهدي، واجتمع البربر مع سليمان المحاربة قرطبة ونزلوا بسفح الجبل بها وبشرقيها في (١١) ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ وعلى الرغم من خروج أهل قرطبة عن بكرة أبيهم للقتال، واستبسالهم في الذود عنها، إلا أنها سقطت في أيدي البربر، الذين أجروا فيها على الفور مذبحه رهيبه، راح ضحيتها الآلاف من الضحايا الأبرياء.

لكن المهدي أبي أن يستسلم لهذه النتيجة، فهرب إلى طليطلة وجمع جمعاً من الإفرنجية وعساكر الثغور، وعاد إلى مهاجمة قرطبة، وفعلاً تمكن من الاستيلاء عليها بعد شدائد وأهوال، إلا أنه للمرة الثانية يعثر به حظه، فيختلف عليه جنده، ثم يتخلصون منه بالقتل، ويصبح الجو خالياً لسليمان المستعين، فيدخل المدينة دخول الظافر المنتصر. إلى هنا ويمكن أن تستقر الأحوال وتهدأ الأمور، فقد تم لسليمان تحقيق أطماعه شخصياً بتولي الخلافة، ثم تحقيق آمال الكثيرين ممن كانوا يهوون عودة الأسرة الأموية إلى الحكم.

لكن سليمان في الحقيقة لم تكن فيه صفة واحدة من صفات الكفاءة التي كان يتمتع بها معظم الخلفاء الأمويين، فاكتمى بتحقيق ملذاته هو. ثم ترك الجند من البربر أن يفعلوا بالمدينة ما يخلو لهم من نهب وسلب واعتداء على الحرمات بشكل لم يسبق له مثيل.

وقد استمر هذا الوضع الشاذ سبع سنوات، يصفها مؤرخ الأندلس ابن حيان، بأنها: كانت كلها شداداً نكدات، صعباً مشئومات، كربها المبدأ والفاتحة، قبيحة المنتهى والحاتمة لم يعد فيها حيف، ولا فورك خوف، ولا تم سرور، ولا فقد محذور، مع تغير السيرة وخرق الهيبة، واشتعال الفتنة واعتلاء المعصية، وطعن الأمن وحلول المخافة. ومن الطبيعي أن يعيش الناس هذه السنوات في هلع دائم ورعب متصل، فقد كان البربر خلالها يترصدون الحرم والدور بالهتك والسلب، ولقد بلغ من إشفاق الناس يومئذ أنهم استفتوا شيوخ المالكية في تعجيل صلاة العتمة قبل وقتها خوفاً من القتل، إذ كان متلصصة البربر يقفون لهم في الظلام في طرق المسجد فرما آذوهم إيذاء شديداً.

وقد قضت هذه الفتنة على كثير من العلماء والأدباء بالموت والتشريد ويكفي أن تلقى نظرة على كتاب الصلة لابن بشكوال حتى نجد فيه الكثير ممن ترجم لهم من العلماء: إما قتلوا في الفتنة أو آثروا الهجرة إلى المدن الأندلسية الأخرى.

ولقد كان من بين هؤلاء المهاجرين، أبو عمر بن عبد البر، الذي اضطر تحت هول ما رآه من حوادث إلى ترك بلده الحبيبة ومرتع صباه، خصوصاً وقد أثر في نفسه قتل أستاذه الكبير وصديقه العظيم: أبي الوليد بن الفرضي مظلوماً في بيته بيد البربر الذين لم يرعوا للرجل علمه ومكانته، أو يرحموا فيه ضعفه وشيخوخته.

تجوله في بلاد الأندلس:

خرج أبو عمر من قرطبة مهاجراً - أو على الأصح هارباً إلى غيرها من بلاد الأندلس، ويبدو أنه في خروجه ذاك لم يكن يقصد بلدة بعينها، إذ لم تترك له الحوادث الرهيبة التي خلفها وراءه فرصة للتفكير أو الاختيار.

هذا إلى جانب أن بلاد الأندلس نفسها - بعد انفراط عقد الخلافة الأموية، وزوال أسرة المنصور بن أبي عامر، كانت قد فقدت وحدتها، وأخذت تفور بالفتنة والقتال وقد

أخذ كل وال يستقل بما تحت يده من ولايات، ويحارب جيرانه من حكام الولايات الأخرى إما طمعاً فيما تحت أيديهم، أو درءاً لأطماع غيره فيه، فلم يكن هناك - والحالة هذه - مكان يمكن أن يلجأ إليه هو أفضل من غيره.

وأخذ أبو عمر في هذه الفترة يجول في بلاد غرب الأندلس؛ مستغلاً جولته الاضطرارية هذه في الاستماع إلى علماء هذا البلاد والأخذ عنهم، ومن بينهم خاصة من أتاحت له فرصة الذهاب إلى المشرق والتلقي عن أساتذته.

وعلى الرغم من أن هذه الفترة من حياته، والتي نعتقد أنها كانت قريبة من عشر سنوات كانت فترة غنية حقا بما أخذه عن هؤلاء العلماء، إلا أنها كانت من جهة أخرى كافية لحياة التجول وعدم الاستقرار التي يجيهاها، ومن هنا أخذ أبو عمر يتطلع من حوله إلى الدويلات الكثيرة التي ملأت رقعة الأندلس، فلم ير دولة هي أحق بالاستقرار وكفالة حياة هادئة لمن يريد خيراً من «دانية» التي تقع في أقصى شرق الأندلس، والتي يحكمها أمير حازم شجاع، يحترم العام ويقرب العلماء، هو الأمير مجاهد العامري.

صاحب دانية: مجاهد العامري

كان أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري مولى رومياً من موالي عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبي عامر، ولكنه كان متحلياً بالعلم والشجاعة والإقدام، وحين انتهى أمر الدولة العامرية ودبت الفرقة وعوامل الانحلال في جسم الدولة، وسارع كل حاكم إلى تقطيع أوصالها والاستقلال بأجزائها، ذهب مجاهد بجمع من موالي العامريين إلى شرق الأندلس، فاستولى على دانية وما والاها من جزائر: ميورقة ومنورقة ويابسة عام ٤٠٦ أو ٤٠٧ هـ .

وحين استقرت به الحال في الدولة الجديدة، تطلع به طموحه إلى جزيرة سرديانية القريبة منه، وسرعان ما هاجمها وضمها إلى ملكه ثم جعلها قسبة بلادته، ولكن ملوك ألمانيا وإيطاليا خشوا خطورة هذا المغامر الجريء الذي أصبح على مرمى حجر من قلب بلادهم فوجهوا إليه الجيوش والأساطيل تكيل له الضربات الساحقة في وحشية وعنفا حتى أفلتتها من يده في موقعة بالغة الضراوة، عاكست فيها الرياح أسطوله ودفعته دفعا

إلى أيدي أعدائه فنجا هو من القتل بشق النفس، على حين أسر أولاده وبعض نسائه ولم يستطع اقتداءهم إلا بعد فترة طويلة من الزمن.

بعد هذه المغامرة الفاشلة لم يفكر مجاهد مرة أخرى في الغزو، بل اتجه بكليته إلى إمارته يصلح من أمورها ويعنى بشئونها، حتى أصبحت تتمتع بقسط وافر من الأمن والرخاء والاستقرار دام نحواً من ثلاثين عاماً، حتى وقت وفاته سنة ٤٣٦ هـ.

ولعل أهم ما كان يمتاز به مجاهد إلى جانب كفاءته الإدارية وشجاعته، هو حبه الشديد للعلم والعلماء، ويذكر المؤرخون عنه أنه كان ذا دراية بعلوم العربية، وتصرف في علوم القرآن: قراءته ومعانيه وغريبه، عنى يطلب ذلك من صباه إلى اكتماله وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه، وأتت إليه العلماء من كل صقع، فاجتمع لديه جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم، فكان وزيره والمتصرف في دولته أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب إلى جانب بعض أمثال العلماء كأبي عمرو الداني وابن سيده وكان له من المصنفين عدة يقومون على التصنيف في علوم القرآن خاصة ويشاركون في فنون أخرى من العلم، يحملون بها ملكه ويشرفون دولته، حتى اشتهرت دانية آنذاك بأن أهلها أقرأ الناس للقرآن، وأكثرهم معرفة بعلومه.

لهذا ليس غريباً أن تصادف دانية، من بين دول الأندلس جميعاً. هوى قويا من نفس أبي عمر بن عبد البر، فيذهب إليها ويلقى بها عصا الترحال، وقد وجد أخيراً المكان الذي حلم به مستقراً وملاذاً.

ابن عبد البر في دانية:

تعد الفترة التي قضاها أبو عمر في دانية من أخصب فترات حياته إنتاجاً، ففيها ألف معظم كتبه المطولة التي اشتهر بها، وتدلنا رسالة ابن حزم التي كتبها في فضل الأندلس وذكر رجالها. على ما كان يتمتع به أبو عمر في ذلك الوقت من شهرة وما تحتله كتبه من مكانه، فيقول: "ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف ابن عبد البر، وهو الآن بعد في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة، وهو كتاب لا أعلم في فقه الحديث، مثله أصلاً فكيف أحسن منه، ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور، ولصاحبنا أبي عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثيل لها منها: كتابه المسمى الكافي في

الفقه على مذهب مالك وأصحابه، خمسة عشر جزءاً، وكتابه في الصحابة، والاكتفاء، ثم بهجة المجالس، وجامع بيان العلم".

وليست هذه بالطبع كل مؤلفات أبي عمر، ولكنها تكاد تكون أهمها كلها. وهي كما قلنا التي قامت عليها أساساً شهرة أبي عمر في كل أرجاء الأندلس، وجعلت طلبة العلم يهرعون إلى دانية للتلقي عن الحافظ الكبير والسماع عليه، حتى كان سنده مما يتفاخر به بينهم.

ويمكننا أن نقول إن أبا عمر أحس بالسعادة الحقة في دانية. وبإدخال أهلها حبا بحب حتى إن الظروف حينما دعت بعد ذلك إلى الرحيل عنها أبي بعد انتهاء هذه الظروف إلا أن يقضى شيخوخته يتردد بين دانية وما جاورها من المدن القريبة منها وحتى إنه تحقيقاً لهوى أهل دانية وحب أهلها لعلوم القرآن. ألف في القراءات أربع كتب.

توليه القضاء في الأشبونة وشنترين:

يذكر المؤرخون أن أبا عمر تولى قضاء الأشبونة وشنترين لفترة من الوقت في عهد المظفر بن الأفضس صاحب بطليوس. ولما كانت هذه البلاد في غرب الأندلس. فهو لا بد إذا قد فارق شرق الأندلس. أو بتعبير أدق فارق دانية، وهي كما قلنا مهد شهرته ومركز أمنه وراحته. فكيف فارقها وهي على حد قول ابن سعيد: «الأفق الداني الذي ظهر فيه علمه. وعند ملوكه خفق علمه»

حق أن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن السبب في ذلك، ولكن يمكننا أن نقول - بناء على تطورات الأحداث في دانية نفسها - إن أبا عمر ترك دانية مضطراً، ولعل السبب في ذلك يرجع في المرتبة الأولى إلى وفاة مؤسس دانية وراعيها الأمير مجاهد العامري في عام ١٤٣٦ هـ، وعلى الرغم من أن ابنه إقبال الدولة على بن مجاهد، كانت له نفس ميول أبيه العلمية نحو تكريم العلماء والحدب عليهم، إلا أننا نكاد نلمح في بعض تصرفاته ما يشير إلى أنه لم تكن له شخصية والده القوية ولا سعة صدره، فقد غضب مثلاً على ابن سيده العالم اللغوي الضيرير، واضطر هذا إلى الهرب والاختفاء، ولم يتمكن من الظهور في دانية إلا بعد أن عفا عنه إقبال الدولة، بعد أن استعطفه ابن سيده بقصيدة مؤثرة.

ولكن هذا الأمر في الواقع مجرد فرض، فنحن لا نعرف حادثة واحدة وقعت بين أبي عمر وبين إقبال الدولة تدل على قطيعة أو جفاء، ولكننا فحسب نحاول استنتاج الأسباب التي دفعت أبا عمر إلى ترك مستقره في أقصى شرق الأندلس والهجرة إلى أقصى غربها، وربما أمكننا القول بأن الحالة القلقة لدول ملوك الطوائف في الأندلس عموماً كانت تعكس ظلالها على نفوس الأدباء والعلماء، فتجعلهم دائماً يبحثون عن المكان الأكثر استقراراً والأشد طمأنينة، وبالنسبة لأبي عمر خاصة فإن التجربة المريرة التي عاشها في قرطبة أثناء الفتنة البربرية تجعله أكثر حساسية من غيره في هذا الصدد.

لهذا لا نستبعد أن يكون قد قدر في نفسه أن دانية يحكمها حدث صغير تحيط به الأعداء من كل جانب على حين تقوم في بطليوس دولة في طور التكوين يتولى أمرها حاكم يتصف بالحزم والشجاعة، فاحتمالات المستقبل بالنسبة لها أكبر وأفضل، ولهذا فهو يقرر الهجرة إليها.

ويبدو أن أبا عمر قد استقبل في بطليوس استقبلاً كريماً، وعرف له المظفر مكانته تاريخ وفضله فولاه قضاء الأشبونة وشنترين وهما من أكبر مدن الأندلس، ولكن لا نعرف بدءاً تا توليه هذا المنصب، ولا المدة التي قضاها فيه، وإن كنا نرجح - بناء على ما كانت تتميز به طبيعة أبي عمر من هدوء وحب للاستقرار - أنه قضى فيه زمناً طويلاً، استمر حتى وفاة المظفر سنة ٤٦٠ هـ.

أما الأعوام القليلة الباقية من عمره، فقد قضاها متنقلاً في بلاد شرق الأندلس التي أحبها طول حياته، فكان يتردد بين دانية وبلنسية وشاطبة، وهذه الأخيرة مات فيها عام ٤٦٣ هـ بالغاً من العمر خمسة وتسعين عاماً وخمسة أيام.

ومن المصادفات الغريبة أن يموت في نفس العام الخطيب البغدادي، المؤرخ والمحدث المشهور وكان يعرف بحافظ المشرق، فيقول الناس: مات حافظ المشرق والمغرب في سنة واحدة.

شخصيته وأخلاقه:

لعل أهم ما كان يمتاز به أبو عمر - رحمه الله - هو الدأب في طلب العلم والانقطاع إليه، وصرف النظر عما عدا ذلك من أمور الدنيا ومغرياتها، وحسبه منها أن

تترك له مكاناً آمناً وملاذاً مستقراً، يفرغ فيه إلى التقييد والتأليف، أو يلتقي فيه بتلاميذه وراغبى علمه فإن توفر له ذلك فهو قادر على إعطاء الناس من جهده الدائب وعمله النشيط، مالا يرجو عليه إلا ثواب الله وحسن مكافأته.

ويذكر المؤرخون أنه كان: ديناً صيتاً حجة ثبتاً، ولعل ذلك من صفات يؤدي إلى صفات أخرى أهمها: طيبة القلب، وتحري الصدق، وطهارة اليد والضمير، وهي في مجموعها الصفات التي تغلب على من يشتغلون بحديث الرسول الكريم، وليس أحق من أبي عمر بالانصاف بها

فقد كان شيخ حفاظ الحديث ومن أعظم من أنجبته الأندلس من رجالها فيه. ولكن إذا كانت هذه الصفات في مضمونها تحمل كثيراً من معنى المساملة والمودعة، فإنها في الحقيقة لا تعني التفريط في الكرامة، أو الاستهانة بقدر العلم. وهذا ما كان يؤمن به أبو عمر، ويحرص عليه طول حياته، إذ كان مع ما يمتاز به من دماثة في الخلق، من أشد الناس حفاظاً على كرامته، ومعرفة بقدر العلم ومكانته. أما احترام العلم في مفهومه، فقد كان يعني أن يجعل الجهد فيه خالصاً لله، موجهاً إلى التماس مرضاته.

وثمة حادثة تبين حرصه الشديد على التمسك بهذا المفهوم، فالمعروف أنه قضى مدة طويلة في دانية، في رعاية أميرها مجاهد العامري وكان مما يؤثر عن مجاهد أنه كان يميل كثيراً إلى ذكر اسمه في مقدمات مؤلفات العلماء باعتباره المشجع على تأليفها، الحاث على إخراجها، ولقد ذكره ابن سيده في مقدمة كتابيه «المحكم» و «المخصص»، ولا شك أن غيره ممن كانوا يظفرون بإكرام الأمير ورعايته فعل ذلك أيضاً.

وتدل قصة ذكرها ابن حزم في رسالته «في فضل علماء الأندلس» على مبلغ الحرص الشديد لدى مجاهد في هذه الناحية، يقول ابن حزم:

وها هنا قصة لا ينبغي أن تخلو رسالتنا عنها وهي: أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي، حدثني أن أبا الجيش مجاهداً العامري، صاحب الجزائر ودانية، وجه إلى أبي غالب - أيام غلبته على مرسية - وأبو غالب ساكن بها، ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور «مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش

مجاهد»، فرد الدنانير، وأبي من ذلك. ولم يفتح في ذلك باباً ألبتة، وقال: «والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت، ولا استجزت الكذب، لأني لم أجمعه له خاصة، بل لكل طالب عامة»

وكذلك كان أبو عمر، إذا لم نر له، والثابت أنه ألف معظم كتبه، والهامة منها بصفة خاصة في دانية. كتاباً واحداً يرد فيها ذكر مجاهد أو الإشارة إليه
قد تكون هناك بعض الكتب والرسائل الصغيرة مما لم يصل إلينا من مؤلفات ابن عبد البر قد جاء فيها ذكر ذلك الأمير، ولكننا لا نعتقد أن هذا - إن كان قد وقع - مما يمكن أن يقنع به مجاهد. أو حتى يشرف به. باعتباره عملاً كبيراً أشار بتنفيذه. والغالب أن هذا كان مبدأ أبي عمر فما لم يفعله في الكبيرة لم يفعله في الصغيرة.
وكما وقر أبو عمر العلم، وترفع به عن أن يكون مقصوداً به غير وجه الله، كذلك وقره العلم وكرمه، ورفع من شأنه بين العامة والخاصة، فكان مهاباً حتى بين أيدي الطغاة والجبابة.

ولقد حدث أن وصل ابن لأبي عمر وهو المعروف بأبي محمد بن عبد البر إلى مرتبة الوزارة في إشبيلية لدى ملكها المعتضد بن عباد، وكان المعتضد ممن عرفوا بالسطوة والتجبر حتى ليقال إنه جعل في حديقة قصره أعمدة على هيئة الأشجار طلعها رءوس أعدائه وأوراقها آذانهم، وقد حدث أن غضب المعتضد على كاتبه ووزيره أبي محمد بن عبد البر، وأمر بإلقائه في غياهب سجنه.

ويذكر ابن الأبار هذه الحادثة ثم يقول: "سمعت بعض شيوخي يحكى أن أباه الإمام أبا عمر بن عبد البر سار في أمره من مستقره بشرق الأندلس، وهو حينئذ يتردد بين بلنسية وشاطبة فأول دخوله على عباد نادى رافعاً صوته: ابني يا معتضد، ابني يا معتضد. فشفعه فيه وانصرفا عنه محفوفين بالإكرام، ومكنوفين بالاحترام".

ولا شك أن ذلك العفو السريع، ما كان لينتزع من بين فكي المعتضد، لولا هيبته العلم ووقار الورع، قد أجرا الطاغية على الرضوخ لهما، والاستسلام العاجل لأمرهما.

شيوخه:

امتازت ثقافة أبي عمر بالأصالة والعمق وكثرة تنوعها ووفرة مصادرها، ويبدو هذا واضحاً في مؤلفاته العديدة التي تمتاز من حيث موضوعاتها بالإحاطة والشمول، كما تمتاز من حيث المادة بالوفرة والدسامة، حتى لنحس عند قراءتها بأن المؤلف يستمد ما يذكره فيها من معين لا ينضب من رواياته وسماعاته، وبأنه لا يتكلف جهداً كبيراً في الإحاطة بموضوعه، وطرق جوانبه المتعددة في سهولة ويسر.

والواقع أن ذلك لم يتأت لأبي عمر إلا نتيجة لجهد المتواصل في التلقي عن العلماء والدأب الذي لا يكل في القراءة والاطلاع.

وثمة ناحية معروفة شهيرة في حياة ابن عبد البر، وهي أنه لم يرحل إلى المشرق في طلب العلم كعادة العلماء الأندلسيين، مع أن هذه الرحلة كانت مما يرفع من شأن العالم بين أقرانه ويجعل له بينهم منزلة خاصة، والواقع أننا لا نعرف أية ظروف حالت بينه وبين ذلك، وإن كان يمكننا أن نؤكد أنها ظروف خارجة عن إرادته، إذ أن الرجل عاش طول حياته بعد ذلك يعوض ما اعتبره نقصاً فيه، وذلك بالحرص على مقابلة من رحل إلى المشرق من العلماء، والتلقي عنهم ما استمعوا إليه من علم.

وتلك ظاهرة واضحة تمام الوضوح، تكفي النظرة العاجلة إلى كتاب جذوة المقتبس للحميدي، لإثبات صحتها، فقد ذكر الحميدي عدداً كبيراً من تراجم العلماء الذين رحلوا إلى المشرق، والعجيب أنه لا تكاد تخلو ترجمة منها عن ذكر: أن أبا عمر استمع على صاحبها، وقرأ عليه كتاب كذا وكذا من المؤلفات المشرقية.

وهكذا فإن ما اعتبره أبو عمر نقصاً وشراً بالنسبة إليه، كان في الحقيقة خيراً وبركة، إذ أنه حرص على تقييد ما تلقاه وإثباته في مؤلفاته، ربما أكثر من حرص هؤلاء العلماء أنفسهم على تقييده وإثباته.

ومن أشهر شيوخه

١ - عبد الله بن محمد يوسف، المعروف بابن الفرضي، أبو الوليد القاضي، صاحب تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، كان حافظاً متقناً، عالماً ذا حظ وافر من الأدب، له رحلة طويلة في بلاد المشرق في طلب العلم، وقد سمع على جلة من المشايخ بمصر وإفريقية ومكة.

قرأ عليه أبو عمر: كتابه في التاريخ، وكتابه المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه، وكتاب المنبه لذوي الفطن على غوائل الفتن لأبي الحسن القاسبي.

٢ - أحمد بن محمد بن عبد الله المقرئ الطلمنكي، أبو عمر، محدث منسوب إلى بلده، كان إماماً في القراءات، وثقة في الرواية. رحل إلى الشرق رحلة طويلة، وسمع على عدد وافر من العلماء بالأندلس والمشرق، شيخ أبي عمر في القراءات والحديث.

٣ - أحمد بن عبد الملك بن هاشم، أبو عمر، المعروف بابن المكوى الإشبيلي، كان فقيهاً معظماً، ومفتياً مقدماً على جميع من إليه الفتوى بقرطبة، جمع هو وأبو مروان المعيطي الفقيه كتاباً ضخماً في أقاويل مالك رحمه الله، لازمه أبو عمر مدة طويلة وكتب بين يديه.

٤ - عبد الوارث بن سفيان بن جبرون، من تلاميذ قاسم بن أصبغ البياني ومن أشهر أهل قرطبة بصحته حتى يقال إنه قلما فاته شيء مما قرئ عليه.

لازمه أبو عمر مدة طويلة، وقرأ عليه: مصنف قاسم بن أصبغ في السنن، ومصنف وكيع ابن الجراح، وكتابي المعارف وشرح غريب الحديث لابن قتيبة

٥ - سعيد بن نصر، أبو عثمان، محدث فاضل أديب، كان من أهل الدين والورع والفضل معرباً فصيحاً، قرأ عليه أبو عمر كتاب المجتبى القاسم بن أصبغ.

٦ - أحمد بن فتح بن عبد الله التاجر، رحل إلى مصر وإفريقية وسمع على جلة من علمائهما، قرأ عليه أبو عمر كتاب الدار ومقتل عثمان لعمر بن شبة النميري في سبعة أجزاء.

٧ - أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزاز، كان ثقة فاضلاً، اختص بالقاضي منذر بن سعيد البلوطي وسمع منه تواليه كلها.

سمع منه أبو عمر كتب أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ومنها: صريح السنة وفضائل الجهاد ورسالته إلى أهل طبرستان المعروفة بالتنصير.

٨- يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث، أبو الوليد، قاضي الجماعة بقرطبة، يعرف بابن الصفار، من أعيان أهل العلم، كان زاهداً فاضلاً يميل إلى التحقيق والتصوف، وله فيه مصنفات.

قرأ عليه أبو عمر كتبه: المنقطعين إلى الله عز وجل، كتاب المتهجدين، كتاب النسب والتقريب، وسمع منه كذلك أشعاره في الرقائق والزهد.

٩- أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد، المعروف بابن الجسور، محدث مكثر مؤرخ، قرأ عليه التاريخ المعروف بذييل المذيل لأبي جعفر بن جرير الطبري.

١٠- خلف بن قاسم بن سهل ويقال ابن سهلون، المعروف بابن الدباغ، كان محدثاً مكثراً حافظاً، رحل إلى مصر ومكة والشام، وسمع عدداً من علماء هذه البلاد لا يحصون كثرة، ويقول الحميدي: سمع عنه شيخنا أبو عمر الحافظ فأكثر، وكان لا يقدم عليه من شيوخه أحداً، وذكره لنا فقال: أما خلف بن القاسم بن سهل الحافظ فشيخ لنا وشيخ لشيخنا أبي الوليد بن الفرضي وغيره، كتب بالمشرق عن نحو ثلاثمائة رجل، وكان من أعلم الناس برجال الحديث وأكتبهم له.

والواقع أن حصر الشيوخ الذين قرأ عليهم المصنف مما لا يتيسر بسهولة ويسر، إذ هو كما يقول الحميدي: قديم السماع كثير الشيوخ، ولعل فيمن ذكرناه منهم دليلاً كافياً على اجتهاد أبي عمر ودأبه في طلب العلم وعلى أنه من ناحية أخرى لم يستحق لقب حافظ الأندلس وغيره من ألقاب التشريف التي خلعتها عليه المؤرخون عبثاً، إذ أننا في الحقيقة لا نرى مثله في الحرص على العلم والاستكثار منه، في كل من ترجم لهم الحميدي من العلماء سوى واحداً آخر هو ابن حزم الذي يفخر هو نفسه بأنه عاصر واحداً من الأئمة المجتهدين هو أبو عمر بن عبد البر.

من أشهر مؤلفاته:

يقول ابن خلكان: «كان أبو عمر - رحمه الله - موفقاً في التأليف معانا عليه، وقد نفع الله بكتبه» (والواقع أن هذا صحيح تماماً، فقد ترك لنا أبو عمر مكتبة قيمة من مؤلفاته، تشمل علوم الفقه والحديث والتاريخ والسير، والأنساب والأدب وغيرها).

وهذه المؤلفات بعضها موسوعات ذات أجزاء كثيرة، وبعضها رسائل صغيرة يمكننا أن نورد لها ثبتاً فيما يلي:

١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، موسوعة في فقه الحديث، تقع في عشرين مجلداً، أو سبعين جزءاً كما يقول الحميدي. ويصف ابن حزم هذا الكتاب بقوله: التمهيد لصاحبنا أبي عمر، لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً، فكيف أحسن منه.

٢- الاستيعاب في طبقات الأصحاب، صنفه في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم، في اثني عشر مجلداً.

٣- جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله. وهو في الآداب الشرعية والتاريخ، ويشتمل في تضاعيفه على ثمانية وثمانين ومائتي ترجمة لبعض الشعراء والأدباء والفقهاء.

٤- الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف.

٥- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم

وأخيراً: بهجة المجالس، وأنس المجالس، هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

وهذا الكتاب يأتي به أبو عمر ألا أن يثبت أنه لم يأل جهداً في خدمة العلم وتقييده والحفاظ عليه، فمن بين مهامه الكبيرة ومشاغله المتعددة في علوم الحديث ورجاله وأنسابهم، وما يتعلق بذلك من الجرح والتعديل، ثم الفقه ومسائله وتفريعاته وما يتعلق به من أحكام، والتدريس للطلبة وما يستلزمه من وقت وجهد، يجد أبو عمر فسحة من الوقت ليسجل فيها خلاصة قراءاته في الأدب، مجموعة ليست في كتيب صغير، بل في مجلدين كبيرين، فيثبت بذلك أنه على حد قول ابن سعيد: في حلبة الأدب فارس، وكفأك دليلاً كتابه بهجة المجالس.

والواقع أننا يمكن أن نعتبر هذا الكتاب مثلاً من الأمثلة التي ضربها لنا العلماء المسلمون في استغلال كل طاقاتهم الممكنة في خدمة العلم، واعتبار أنفسهم جنوداً في

ميدانه، يجب عليهم أن يقدموا كل ما في جعبتهم منه للأجيال القادمة تأدية منهم لحق الأمانة نحو الحفاظ عليه وتنميته.

ولقد كان أبو عمر من رجال الحديث والفقه، ولكنه على ما يبدو وجد لديه ذخيرة كبيرة من نماذج الأدب الثمينة التي قرأها أو سمعها على شيوخه ممن جابوا أقطار الأرض في طلبها فرأي أن يسجل من هذا كله أشرفه وأطرفه هدية خالصة من جهده لجيله، ولمن يأتي بعده من أجيال العربية.

من مقدمة المؤلف:

فإن أولى ما عني به الطالب، ورغب فيه الراغب، وصرف إليه العاقل همه، وأكد فيه عزمه، بعد الوقوف على معاني السنن والكتاب، مطالعه فنون الآداب، وما اشتملت عليه وجوه الصواب، من أنواع الحكم التي تحيي النفس والقلب، وتشحذ الذهن واللب، وتبعث على المكارم، وتنهي عن الدنيا والمخارم، ولا شيء أنظم لشمل ذلك كله، وأجمع لفنونه، وأهدى إلى عيونه، وأعقل لشارده، وأثقف لنادره؛ من تقييد الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والفصول الشريفة، والأخبار الطريفة، من حكم الحكماء، وكلام البلغاء العقلاء: من أئمة السلف، وصالحى الخلف، الذين امتثلوا في أفعالهم وأقوالهم، آداب التنزيل، ومعاني سنن الرسول، ونوادى العرب وأمثالها، وأجوبتها ومقاطعها، ومبادئها وفصولها، وما حووه من حكم العجم، وسائر الأمم، ففي تقييد أخبارهم، وحفظ مذاهبهم، ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائها، واتباع آثارهم واقتنائها.

** ويروى عن عيسى الخياط، عن الشعبي، قال: لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره، ما رأيت أن سفره قد ضاع.

** قال محمد بن سلام الجمحي، عن ابن جعدبة، قال: ما أبرم عمر بن الخطاب أمراً قط إلا تمثل فيه بيت شعر.

** وقال أبو الزناد: ما رأيت أحداً أروى للشعر من عروة بن الزبير. فقيل له: ما أرواك للشعر! قال: وما روايتي من رواية عائشة له، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً.

** وروى عن مـخـلد بن يـزـيد، عن جـابـر بن مـعدان قال: كل حـكـمة لم يـنـزل فـيـها كتاب، ولم يـبـعث بـها نـبـي، ذـخـرها الله حـتى تنطق بـها ألسـن الشعراء.

** عن ابن عباس، قال: خذ الحـكـمة مـن سمعتها، فإن الرجل قد يتكلم بالحـكـمة وليس بحكيم، كما أن الرمية قد تجئ من غير رام.

آداب المجالس

محمد أبو النصر

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، والصلاة والسلام على من بُعث متممًا لمكارم الأخلاق، وسيدًا للذاكرين والمنصتين.

أما بعد:

فإنَّ المجالس هي «سوق العقول»، فيها تُعرض الأفكار، وتُبنى المودات، أو تُهدم المروءات.

وقد اعتنى الإسلام بأدب المجلس عنايةً فائقة؛ ليجعل من اجتماع المسلمين ببعضهم عبادةً ترتقي بها النفوس، وتسمو الأخلاق، لتخرج اللقاءات عن كونها محطاتٍ لقتل الوقت، وتصبح رحلاتٍ في رحاب الطاعة والرقى.

لذا كان لا بد من معرفة أهم الآداب التي شرعها الإسلام لمجالسنا لأن لكل شيء زينة، وزينة المجالس آدابها، ومجالس بلا آداب، مجالس غوغاء وصخب وهو.

أولاً: مفهوم المجلس وأهميته في التصور الإسلامي.

تعريف المجلس:

المجلسُ في اللغة: موضعُ الجلوس.

وفي الاصطلاح: كلُّ موضعٍ يجتمع فيه الناس، سواء كان مجلسَ علمٍ، أو ذكرٍ، أو مشورةٍ، أو حديثٍ عام.

أهمية المجالس في الإسلام

المجالسُ وعاءُ القيم.

فيها تُنقلُ الأخلاقُ، وتُغرسُ المبادئُ.

بها يُعرفُ أدبُ المسلم وحُسنُ سَمْتِهِ.

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] وفي الآية توجيهٌ صريحٌ لاختيارِ المجالسِ الصالحة، وملازمةِ أهلِ الخير.

ثانياً: آدابُ المجالس.

إنَّ الإسلامَ لم يترك جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلا ونظَّمه وهُدَّبه، وجعل له من الآداب والضوابط ما يحفظ به كرامة الإنسان، ويُقيم به ميزان الأخلاق، ومن أعظم هذه الجوانب آدابُ المجالس؛ إذ المجالسُ هي مواطنُ التلاقي، وميادينُ التفاعل، ومرايا الأخلاق، ومحكُّ صادقٍ يظهر فيه معدنُ الإنسان وسمته وتربيته،

وفيما يلي تفصيلٌ لهذه الآداب:

١/ النية الصالحة واختيار المجلس (عتبة المجلس): المجلس ليس مجرد مكان، بل هو بيئةٌ تؤثر في الروح والقلب، لذا كان أول أدب هو حسن الاختيار.

٢/ تحريُّ مجالس الخير: إنَّ المرءَ يُعرفُ بخليته، والمجالس تصبغ المجلس بصبغتها. قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨]

وعن أبي موسى -رضي الله عنه-، عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قال: (مثلُ المجلسِ الصَّالحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ، فَصَاحِبُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَكَبِيرُ الْحَدَّادِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) [البخاري ومسلم]

٣/ آداب الدخول والاستئذان (فقه الافتتاح): لا يُقتحم المجلس اقتحاماً، بل يُدخل إليه بسلامٍ واستئذان، حفظاً للحرمات وتطييباً للنفوس.

** إلقاء السلام والاستئذان عند الدخول: السلام هو مفتاح القلوب وأمان المجالسين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]

وروى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِذَا
انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَلْيَسَلِّمْ، فَإِنَّ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إِذَا قَامَ فَلْيَسَلِّمْ
فَلْيَسَلِّمْ الْأُولَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ) [أبو داود]

** وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (الاستئذان ثلاث، فَإِنْ أذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ)

قال النووي رحمه الله: والسنة أن يسلم ثم يستأذن، فيقوم عند الباب بحيث لا ينظر
إلى من في داخله، ثم يقول: السلام عليكم، أأدخل؟ فإن لم يبيحه أحدًا، قال ذلك ثانيًا
وثالثًا، فإن لم يبيحه أحد أنصرف. [الأذكار]

** الجلوس حيث ينتهي بك المجلس: من التواضع والسكينة ألا يتخطى المرء
الرقاب أو يزحم الناس.

اجلس حيث ينتهي بك المجلس، ولا تقم واحداً من مكانه لتجلس مكانه:
فمن الأدب أن نجلس حيث يجلسنا أهل البيت فهم أعلم بعورة بيتهم منا، وقد نهي
الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أيضاً أن تقيم الرجل من مجلسه ثم تجلس فيه؛ لقوله -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ثُمَّ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِهِ) [مسلم]
ولقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أيضاً: (لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ
فِيهِ، وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا) [مسلم]

وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه.

وعن وهب بن حذيفة الغفاري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ- قَالَ: (الرَّجُلُ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ وَإِنْ خَرَجَ لِحَاجَتِهِ ثُمَّ عَادَ فَهُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ)
[الترمذي]

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مَا قَالَ: «كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ- جَلَسْنَا أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي» [أبو داود]

٤ / آداب التعامل داخل المجلس (سلوكيات الاجتماع): هنا يظهر رقي المسلم في
تعامله مع المساحات الشخصية والاجتماعية لإخوانه.

** التواضع وترك التكبر: فلا يأنف المسلم من الجلوس مع الفقراء. ولا يتعالى بمنصبٍ أو علم.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]

** خفض الصوت وحسن الخطاب ورفع الصوت من سوء الأدب. واللينُ أدعى للقبول.

قال تعالى: ﴿وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]

** التفسح في المجلس: أي استحباب توسيع المجلس.

-القلوب الضيقة لا تسع الناس، أما القلوب المؤمنة فتفسح لإخوانها فيتسع المكان ببركتها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]

فيستحب توسيع المجلس وكلٌّ على حسب طاقته، وعلى قدر سعته، فذلك خير لمن يريد أن يمشي أو يتحرك داخل المجلس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]

قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض.

وروى الإمام البخاري ومسلم وأحمد عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- ما -عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنَ مَقْعَدِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا)

وفي الحديث الصحيح: بينا رسولُ الله -صلى الله عليه- وسلم جالسٌ إذ أقبل ثلاثة نفرٍ، فأما أحدهما فوجدَ فرجةً في الحلقةِ فدخلَ فيها، وأما الآخرُ فجلسَ وراءَ

النَّاسِ، وأدبر الثالثَ ذاهباً، فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَلَا أَنْبَيْتُكُمْ بِخَبْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا الْأَوَّلُ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَأَوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الثَّانِي فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ)

فقلة التفسح في المجالس خلق ذميم، ومسلك شائن، فهو ناتج عن ضيق في النفس، وحب في الاستئثار، وقلة مبالاة في الآخرين. بل إن بعضهم قد يُوسع له في المجلس، فيأتي ويترعب، ويأخذ مساحة واسعة في المجلس، بل ربما لا يرضى أن يأتي أحد بعد ذلك بجانبه.

قال بعض الحكماء: رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما: رجل وُسع له في مجلس ضيق فترعب وتفتح، ورجل أهديت له نصيحة فجعلها ذنباً.

ولهذا أدبنا الله عز وجل بأن نتفسح في المجالس؛ لما في ذلك من زرع للمودة، وتوثيق لعرى الأخوة، وتخلص من الأخلاق الذميمة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ﴾.

هذا أدب من الله لعباده إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم، أو بعض القادمين للتفسح له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له؛ تحصيلاً بهذا المقصود. وليس ذلك بضار للفاسح شيئاً، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه. والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح لأخيه فسح الله له، ومن وسع لأخيه وسع الله عليه"

قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: مما يُصنفي لك ودَّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس.

وقال الأصمعي: كان الأحنف إذا أتاه إنسان وسع له، فإن لم يجد موضعاً تحرك؛ ليريه أن يوسع له

وليس من الآداب الإسلامية أن يقوم الرجل عن مجلسه ليجلس فيه غيره، يفعل ذلك احتراماً له، بل عليه أن يفسح له في المجلس وأن يتزحزح له إذا كان الجلوس على الأرض بخلاف ما إذا كان على الكرسي، فذلك غير ممكن، فالقيام والحالة هذه مخالفة لهذا التوجيه النبوي الكريم. ولذلك كان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم

يجلس هو فيه كما تقدم عند البخاري، والكراهة هو أقل ما يدل عليه قوله: (لا يقوم الرجل لرجل...)، فإنه نفي بمعنى النهي، والأصل فيه التحريم لا الكراهة والله أعلم) [السلسلة الصحيحة]

** النهي عن إقامة الشخص من مكانه:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- م-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَيَجْلِسَ فِيهِ آخَرٌ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا [البخاري، ومسلم]

** لا تفرق بين اثنين حتى تجلس إلا بإذنهما: لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- م- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما) [أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح الجامع]، وفي رواية لأبي داود: (لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما)

** النهي عن التناجي بين اثنين دون الثالث: مراعاة للمشاعر ومنعاً لوساوس الشيطان.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : (إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُخْزِنُهُ) [البخاري، ومسلم]

** تطهارة اللسان وحفظ الأسرار (أمانة المجالس) فالمجالس أمانات، والكلمة مسؤولة يسأل عنها العبد بين يدي الله.

** تجنب الغيبة والنميمة وفضول الكلام:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَجِبْتُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]

** الإنصات وعدم المقاطعة.

فالإنصات دليل العقل والمقاطعة علامة الطيش.

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧-

[١٨

** احترام المتحدث

** لا يُسخر منه، ولا يُحتقر رأيه.

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (يَحْسَبُ امْرِيٌّ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْفَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ) [البخاري، ومسلم]

** احذر التناجي: يُعد "التناجي" (وهو أن يتحدث اثنان سراً بوجود شخص ثالث) من السلوكيات التي نهى عنها الإسلام؛ حرصاً على روابط المودة ومنعاً لظنون السوء.

فإن كان في المجلس الواحد ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث مراعاة لمشاعره؛ لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يُحزنه) [البخاري ومسلم]

لماذا نُهيينا عن التناجي؟

أوضح العلماء: أن سبب النهي هو دفع الأذى النفسي عن الشخص المنفرد، فالتناجي قد يجعله يظن:

أن الحديث يدور حول عيوبه أو الإساءة إليه.

أن هناك مؤامرة أو أمراً سيئاً يُدبر ضده.

** الواحد كالجماعة: لا يقتصر النهي على وجود ثلاثة أشخاص فقط، بل يمتد ليشمل أي عدد يترك خلفه شخصاً واحداً يشعر بالعزلة، فالمنع في الأعداد الكبيرة أوجب؛ لأن شعور الشخص الواحد بالاستبعاد وسط مجموعة كبيرة يكون أشد إيلاماً ووحشة

** المجالس بالأمانة: ما يُقال في المجالس الخاصة لا يجوز إفشاؤه إلا لمصلحة شرعية

راجحة.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مَا-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
قَالَ: (إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ثُمَّ التَّفَتَ فِيهِ أَمَانَةٌ) [الترمذي، وقال: حديث حسن،
صحيح الجامع]

** حفظ أسرار المجلس: فلا تنشر سراً أذيع فيه، واستر عورة اطلعت عليها، ولا
تعتمد نقل كلام المجلس إلى خارجه، إلا في خير وإصلاح بين المسلمين؛ لقوله -صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (المجالس بالأمانة) [أبو داود وأحمد، وضعفه الألباني في السلسلة
الضعيفة]

واحذر إفشاء أسرار المجلس ولو بعد القطيعة والوحشة.
قيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟ قال: أنا قبره.
فإفشاء السر من الأخلاق المرذولة، وهو مركب من الخرق والخيانة، فليس بوقور
من لم يضبط لسانه، ولم يتسع صدره لحفظ ما يتستر به"
قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ ثُمَّ التَّفَتَ فِيهِ أَمَانَةٌ)
[أحمد، وأبو داود عن جابر، وقال الترمذي: حديث حسن، وحسنه الألباني في صحيح
الجامع]

قال عمر بن عبد العزيز لابن كعب القرظي: أي خصال الرجل أوضع؟ قال: كثرة
كلامه، وإفشاؤه سره، والثقة بكل أحد"
قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: (كن حافظاً للسر، معروفاً عند الناس بحفظه
فإنهم إذا عرفوا منك هذه الحال أفضوا إليك بأسرارهم، وعذروك إذا طويت سر غيرك
الذين هم عليه مشفقون، وخصوصاً إذا كان لك اتصال بكل واحد من المتعادين؛ فإن
الوسائل لاستخراج ما عندك تكثر وتعدد من كل من الطرفين، فإياك إياك أن يظفر أحد
منهم بشيء من ذلك تصریحاً أو تعريضاً.

واعلم أن للناس في استخراج ما عند الإنسان طرقاً دقيقة، ومسالك خفية؛ فاجعل
كل احتمال -وإن بعد- على بالك، ولا تؤت من جهة من جهاتك؛ فإن هذا من الحزم.
واجزم بأنك لا تندم على الكتمان، وإنما الضرر والندم في العجلة والتسرع،
والوثوق بالناس ثقة تحملك على ما يضر"

وقد ربي الصحابة أولادهم على كتم السر ورعاية الأمانة؛ فهذا أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عنه يقول: أتى عليَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنا أَلْعَبُ مع الغلمان فسلم علينا، فبعثني في حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت، ما حبسك؟ فقلت: بعثني رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تخبرن بسر رسول الله أحدًا" [مسلم]

** ومن أمانة المجلس ألا يصف الرجل صديقه لزوجه أو لغيره إلا لضرورة، كالخطبة مثلاً، سواء بالمدح أو بالذم؛ لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ فتنعتها لزوجها، كأنه ينظر إليها) [أحمد وغيره، وحسنه الألباني في صحيح الجامع]

** عدم الانفراد بالحديث: إذ إنه من الأدب عدم استئثار أحد الجالسين بالحديث، بل تدع لغيرك فرصة المشاركة في الحديث؛ حتى تسلم أنت من جرح نيتك بأن تظهر فوق قرنائك بأنك الأفضل والأعلم والمتحدث اللبق ونحو ذلك مما يبطل العمل، بل تدع من يريد أن يتكلم أن يدلوه بدلوه، فعند كل واحد فائدة ولا شك، ولتقبل بوجهك على المتحدث؛ فهذا من حسن الاستماع، وعلى المتحدث ألا يمل الجالسين بكثرة الكلام.

عن الحسن رحمه الله قال: حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوههم، فإذا التفتوا فاعلموا أن لهم حاجات. ويجب إيجاد الفسحة في القلب بمحبتك لأخيك المسلم قبل فسحة المكان.

٥ / ذكر الله وختام المجلس (كفارة المجلس)

إن المجلس الذي يخلو من ذكر الله يكون حسرة على أصحابه يوم القيامة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ حَيْفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ) [أبو داود، صحيح الجامع]

** وجوب ذكر الله في المجلس: ذكر كفارة المجلس والدعاء والصلاة على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (من جلس في مجلس، فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم

وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك) [إسناده صحيح، رواه الترمذي وأحمد وغيرهما]

وعنه عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (ما جلس قومٌ مجلسًا لم يذكروا الله تعالى فيه، ولم يُصلوا على نبيهم فيه إلا كان عليهم ترة [نقص]، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم) [سنده صحيح، رواه الترمذي وأحمد وغيرهما]

وعن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: قلما كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات: ((اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تُبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا) [البخاري ومسلم]

**دعاء كفارة المجلس: هو التطهير الختامي لما قد يقع من لغو أو زلل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثَرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ) [الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي]

الختامة:

إنَّ آدابَ المجالسِ ليست مجرد أعرافٍ اجتماعيةٍ أو مظاهرَ شكليةٍ، بل هي عبادةٌ، وسلوكٌ إيمانيٌّ راقٍ، يدلُّ على صدق العقيدة، ويُهدِّبُ النفوسَ، ويُشيدُ مجتمعًا متماسكًا البنيان، تُصان فيه الكرامات، وتُحفظ الألسنة، وتُعلَى فيه القيم والمبادئ.

فهنيئًا لمن كانت مجالسُه عامرةً بالذكر، وحديثُه نافعًا، وصمته حكمةً، وجلوسُه قربةً

وطاعة.

وإنَّ الالتزامَ بآدابِ المجالسِ ليس طقسًا اجتماعيًا عابرًا، بل هو صورةٌ ناطقةٌ لعظمة هذا الدين، الذي أحاط حياة المسلم تنظيمًا وتزكيةً في أدق شؤونها. فاجعلوا مجالسكم

روضاتٍ من رياض الجنة، تسكنها الطمأنينة، ويظللها ويعشها الوقار، ويختتمها الاستغفار.

اللهم اجعل مجالسنا مجالس خيرٍ وبركة، تحفها الملائكة، وتغشاها الرحمة، وتنزل عليها السكينة، وتذكرنا عندك فيمن عندك. اللهم طهر ألسنتنا من الغيبة والنميمة، ومن لغو القول وزوره، واجعل كلامنا ذكراً، وصمتنا فكراً، ونظرنا عبرة.

اللهم ارزقنا حسن السميت، وأدب الجلوس، وتواضع النفوس.

اللهم إنا نعوذ بك من مجالس الغفلة، ومن كبر يورث المقت، ومن حدةٍ تفرق الجماعة.

اللهم ألهمنا أن نتفصح لإخواننا، وأن نحفظ أسرار مجالسنا، وأن نكون مفاتيح للخير مغاليق للشر.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا. اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا. ربنا تقبل منا هذا السعي، واجعل ما كتبناه حجة لنا لا علينا، واجعله خالصاً لوجهك الكريم، ونافعاً لعبادك المؤمنين. سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب أدب المجالسة وحق الجلوس الصالح

** روى ابن ماجه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ) [إسناده صحيح على شرط مسلم]

** وروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة: أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ: «عَشْرُ حَسَنَاتٍ» ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرَ، فَقَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ حَسَنَةً»، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ آخَرَ، فَقَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ حَسَنَةً» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمَجْلِسِ وَلَمْ يُسَلِّمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَا أَوْشَكَ مَا نَسِيَ صَاحِبُكُمْ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ قَامَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلْيَسْتِ الْأُولَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ». [صححه الألباني]

(إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ) عليهم ندباً مؤكداً نقل ابن عبد البر الإجماع على أن ابتداء السلام سنة ورده فرض (ثم إذا قام) لينصرف (فليسلم) عليهم أيضاً ندباً مؤكداً، وإن قصر الفصل بين سلامه وقيامه، وإن قام فوراً وعلله بقوله (فليست) التسليمة (الأولى بأحق) أي بأولى (من) التسليمة (الآخرة) وفي رواية الأخرى. أي كلا التسليمتين حق وسنة، وكما أن التسليمة الأولى إخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور، فكذا الثانية إخبار عن سلامتهم من شره عند الغيبة وليست السلامة عند الحضور أولى من السلامة عند الغيبة.

قال النووي: ظاهر الحديث أنه يجب على الجماعة رد السلام على من سلم عليهم وفارقهم.. وهذا هو الصواب.

** وروى مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ). وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه، من غير أن يقيمه لم يجلس فيه.

وقال أبو البخترى: كانوا يكرهون أن يقوم الرجل للرجل من مجلسه، ولكن ليوسع له.

** وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ) [صحيح الجامع: حسن] أي المجالس إنما تحسن أو حسن المجالس وشرفها بأمانة حاضريها على ما يقع من قول وفعل.

أي لا يشيع حديث جلسه إلا فيما يحرم ستره من الإضرار بالمسلمين ولا يبطن غير ما يظهر، وفيه إشارة إلى مجالسة أهل الأمانة وتجنب أهل الخيانة اهـ.

وقال العسكري: أراد المصطفى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الرجل يجلس إلى القوم فيخوضون في حديث وربما كان فيه ما يكرهون فيأمنونه على سرهم فذلك الحديث كالأمانة عنده فمن أظهره فهو قتات.

وقال ابن الأثير: هذا ندب إلى ترك إعادة ما يجري في المجلس من قول أو فعل فكان ذلك أمانة عند من سمعه أو رآه والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والودعة والثقة والأمان وقد جاء في كل منها حديث.

** وروى أحمد حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ قَالَ: كَانَتْ جِنَارَةٌ فِي الْحِجْرِ، فَجَاءَ أَبُو سَعِيدٍ فَوَسَّعُوا لَهُ، فَأَبَى أَنْ يَتَقَدَّمَ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِنَّ خَيْرَ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا) [إسناده صحيح] لأنه أروح للجالس وأمكن في تصرفه من قيامه وعوده والسير في أداء ما يستحق من التوسعة والإكرام.

** وقال أنس بن مالك: ما أخرج رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ركبتيه ولا قدميه بين يدي جلس له قط، ولا تناول أحد يده فتركها حتى يكون هو الذي يدعها.

** وقال ابن شهاب: كان رجل يجالس رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فكان لا يزال يتناول عن وجه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الشيء، وكان ذلك آذى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال له رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إذا نزع أحدكم عن أخيه شيئاً فليره إياه). [أبو داود في مراسيله]

أي فلبه ندباً تطيباً لخاطره وإشعاراً بأنه بصدد إزالة ما يشينه ويعيبه وذلك باعث على مزيد الود وتضاعف الحب، وخرج بالأخ في الدين الكافر فلا ينبغي فعل شيء من وجوه الإكرام والاحترام معه إلا لضرورة.

** وحدث الحسن البصري: أنّ رجلاً تناول عن رأس عمر بن الخطاب شيئاً فتركه مرتين، ثم تناول الثالثة، فأخذ عمر بيده، فقال: أربي ما أخذت؟ وإذا هو لم يأخذ شيئاً!! فقال: انظروا إلى هذا، قد صنع هذا ثلاث مراتٍ يربني أنه يأخذ من رأسي شيئاً ولا يأخذه، فإذا أخذ أحدكم من رأس أخيه شيئاً فليره إياه.

** قال الحسن: نهام أمير المؤمنين عن الملق.

** وقال الحسن: لو أنّ إنساناً أخذ من رأسي شيئاً، قلت: صرف الله عنك السوء.

** وكان محمد بن سيرين: إذا أخذ أحدٌ من لحيته أو رأسه شيئاً، قال: لا عدمت نافعاً.

** وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: إذا أخذ أحدٌ عنك شيئاً، فقل: أخذت بيدك خيراً.

** قال عمر بن الخطاب: فحسب المرء من العمي [أي الجهل] أن يؤذي جلسه بما لا يعنيه أن يجد على الناس فيما تأتيه، وأن يظهر له من الناس ما يخفى عليه من نفسه.

** وعن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: إن مما يصفّي وداد أخيك، أن تبدأه بالسّلام إذا لقيتَه، وأن تدعوه بأحبّ الأسماء إليه، وأن توسّع له في المجلس.

** قال أيوب الأنصاري: من أراد أن يكثر علمه، فليجالس غير عشيرته.

** وروى سفيان بن عيينة، عن مالك بن معن، قال: قال عيسى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: جالسوا من تذكركم بالله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله.

** قال المدائني: أوصى يحيى بن خالد ابنه، فقال: يا بني إذا حدّثك جليساك حديثاً، فأقبل عليه وأصغ إليه، ولا تقل قد سمعته وإن كنت أحفظ له، وكأنك لم تسمعه إلاّ منه، فإنّ ذلك يكسبك المحبة والميل إليك.

** وعن عبد الملك بن عمير، قال سعيد بن العاص: جلس عليّ ثلاث خصال: إذا دنا رحّبت به، وإذا جلس وسّعت له، وإذا حدث أقبلت عليه.

** وذكر ابن مقسم، قال: سمعت المبرّد يقول: الاستماع بالعين، فإذا رأيت عين من تحدّثه ناظرةً إليك فاعلم أنه يحسن الاستماع.

** قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: إذا الرجل عند رجلٍ جالساً، فجاءه طالب حاجةٍ، فسكت عن عونه فقد أعان عليه.

** قال عمرو بن العاص: لا أملُّ جليسي ما فهم عني، وإنما الملأل لدناءة الرجال.

** قال الشعبيّ في قومٍ ذكرهم: ما رأيت مثلهم أشدّ تنازلاً في مجلس، ولا أحسن فهماً من محدّث.

** روى الأصمعيّ عن العلاء بن جرير عن أبيه، قال: قال الأحنف بن قيس: لو جلس إليّ مائةٌ لأحببت أن ألتمس رضا كل واحدٍ منهم.

** وقال عبد الله بن عباس: أعز الناس عليّ جليسي الذي يتخطّى الناس إليّ، أما والله إنّ الذباب يقع عليه فيشقّ عليّ

** وعن ابن عباس، أنه قال: إنّي لأكره أن يطأ الرجل بساطي ثلاثاً فلا يرى عليه أثرى.

** وعنه أيضاً -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أنه سئل: من أكرم الناس عليك؟ قال: جليسي حتّى يفارقني.

** قال معاوية لعرابة الأوسي: بأيّ شيءٍ استحققت أن يقول فيك الشّمّاخ:

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما رايةٌ رفعتٍ مجدٍ ... تلقّاها عرابة باليمين

فقال: عرابة: سماع هذا من غيري أولى بك وبى يا أمير المؤمنين. فقال: عزمت عليك لتخبرنيّ. فقال: بإكرامي جليسي، ومحاماتي على صديقي. فقال معاوية: لقد استحققت.

** قال عليّ بن الحسين: ما جلس إليّ أحدٌ قط، إلّا عرفت له فضله حتى يقوم.

** قال أبو عبادة: ما جلس رجل بين يديّ، إلّا مثّل لي أني جالس بين يديه.

** روى عن عبد الله بن يزيد، وقد روى ذلك لأبي حازم، أنه قال: وطن نفسك على المجلس السوء، فإنه لا يكاد يخطئك.

** قال بعض الحكماء: رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما، رجلٌ وسّع له في مجلس ضيق فترّج وتفتح، ورجلٌ أهديت إليه نصيحةً فجعلها ذنباً.

** وقال مسعر بن كدام: رحم الله من أهدى إلي عيوبي في ستر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملاء تقريع.

** قال الأحنف: لأن أدعى من بعد أحب إلي من أن أقصى عن قرب.

** وعن الأحنف أيضاً أنه قال: ما جلست مجلساً قطّ، أخاف أن أقام منه لغيري

** جلس رجل إلى الحسن بن عليّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فقال: جلست إلينا على

حين قيام، أفنأذن؟!

** وكان يقال: إياك وكلّ جليسٍ لا تصيب منه خيراً.

** وعن معاذ بن جبل، أنه قال: إياك وكلّ جليسٍ لا يفيدك علماً.

** كان يقال: من سرّه أن يعظم حلمه، وينفعه علمه، فليقلّ من مجالسته من كان

بين ظهرانيه.

** وقال الحسن البصريّ: انتقوا الإخوان، والأصحاب، والمجالس.

** وروى هشام بن عروة، عن محمد بن المنكدر، قال: كان يقال: خياركم أليّنكم

مناكب في الصلاة، وركناً في المجالس، الموطّئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون.

** تباعد كعب الأحرار يوماً في مجلس عمر بن الخطاب، فأنكر ذلك عليه، فقال:

يا أمير المؤمنين! إنّ في حكمة لقمان ووصيته لابنه: إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن

بينك وبينه مقعد رجل، فلعله يأتيه من هو آثر عنده منك فينحيك فيكون نقصاً عليك.

** وكان يقال: المجلس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من المجلس السوء.

** وعن جعفر بن سليمان الضّبّعيّ، قال: رأيت مع مالك بن دينار كلباً، فقلت له:

ما هذا؟ قال هذا خيرٌ من المجلس السوء.

** قال زيادٌ: إنه ليعجبني من الرجال من إذا أتى مجلساً أن يعرف أين يكون

مجلسه، وإني لآتي المجلس، فأدع ما لي مخافة أن أدفع عمّا ليس لي.

** وكان الأحنف إذا أتاه رجلٌ أوسع له، فإن لم يكن له سعة أراه كأنه يوسع له.
** طرح أبو قلابة لجليس له وسادة، فردّها فقال له: أما سمعت الحديث: "لا تردن على أخيك كرامته".

** قال ابن شبرمة لابنه: يا بني! إياك وطول المجالسة، فإنّ الأسد إنما يجترئ عليها من أدام النظر إليها.

وهذا عندي مأخوذٌ من قول أردشير لابنه: يا بني لا تمكّن الناس من نفسك فإن أجراً النَّاس على السَّباع، أكثرهم لها معاينة. ومن هذا - والله أعلم - أخذ ابن المعتز قوله:

رأيت حياة المرء ترخص قدره ... فإن مات أغلته المنايا الطّوائح

كما يخلق الثّوب الجديد ابتذاله ... كذا تخلق المرء العيون اللّوامح

** ومن سوء الأدب في المجالسة: أن تقطع على جليسك حديثه، أو تبدّره إلى تمام ما ابتدأ به خيراً كان أو شعراً، تُتمّ له البيت الذي بدأ به، وتريه أنك أحفظ منه. فهذا غاية في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلاّ منه.
** قيل لداود الطّائي: لم تركت مجالسة الناس؟ قال: ما بقي إلاّ كبيرٌ يتحفّظ عليك، أو صغيرٌ لا يوقرك.

** وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: لا تجالس عدوك، فإنه يحفظ عليك سقطاتك ويماريك في صوابك.

** كان يقال: رأس التّواضع، الرّضا بالدُّون من المجلس. وهذا يروى عن ابن مسعود أنه قال: إنّ من التّواضع أن ترضى بالدُّون من المجلس، وأن تبدأ بالسّلام من لقيت.

** قال إبراهيم النّخعي: إنّ الرجل ليجلس مع القوم فيتكلم بالكلام، يريد الله به، فتصيبه الرّحمة فتعمُّ من حوله، وإنّ الرجل يجلس مع القوم فيتكلم بالكلام يسخط الله به، فتصيبه السّخطة فتعمُّ من حوله.

** كان يقال: ذوو المروءة والدين، إذا أحرزوا القوت لزموا البيوت.

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا، فَكَثَرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا كَانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا) [شرح السنة للبغوي]

** روى أبو داود عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ قَالَ: "كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَيْرٍ وَمَجْلِسٍ ذِكْرٍ إِلَّا حُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُحْتَمُّ بِالْحَاتِمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ " [إسناده صحيح]

** وقال حسان بن عطية: ما من قوم كانوا في مجلس لغوٍ فحتموه بالاستغفار إلا كتب لهم مجلسهم ذلك استغفاراً كله.

** وروي عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن، في قول الله عز وجل: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور: ٤٨]، منهم مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحيى بن جعدة قالوا: حين تقوم من كل مجلس تقول فيه: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، قالوا: ومن قالها غفر له ما كان منه في المجلس.

وقال عطاء: إن كنت أحسنت ازددت إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفارة.
ومنهم من قال: تقول حين تقوم: سبحان الله وبحمده من كل مكانٍ ومن كل مجلس.

باب حمد اللسان وفضل البيان

** قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ) [البخاري]

** وفي رواية مسند أحمد: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

** وفي سنن ابن ماجه عن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرِ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ؟ قَالَ: (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)

** وفي الترمذي عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةً عَدَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ).

وفي رواية أبي داود: (أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ).

** وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (رَحِمَ اللهُ أَمْرًا تَكَلَّمَ فَعَنَمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ)

[حسن البيهقي في شعب الإيمان]

وأفهم بذلك أن قول الخير خير من السكوت لأن قول الخير ينتفع به من يسمعه والصمت لا يتعدى صاحبه.

قال الماوردي: يشير به إلى أن الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر ويخبر بمكنونات السرائر لا يمكن استرجاع بواده ولا يقدر على دفع شوارده فحق على العاقل أن يحترز منه بالإمساك عنه أو الإقلال منه.

قال علي كرم الله وجهه: اللسان معيار إطاشة الجهل وأرجحه العقل.

وهذا الحديث قد عده العسكري وغيره من الأمثال.

وأعراض النفس قولية وفعلية وتفاريع القولية كثيرة لكن عللها وأدويتها محصورة في أمرين الواحد أن لا تتكلم إذا انتهت أن تتكلم، والآخر أن لا تتكلم إلا فيما إن سكت عنه عصيت، وإلا فلا وإياك والكلام عند استحسان كلامك، فإنه حالته من أكبر الأمراض وما له دواء إلا الصمت.

- ** قال أبو عتبة الخولاني رحمه الله: ربّ كلمةٍ خيرٍ من إعطاء المال.
- ** وقال أبان ابن سليم: كلمة حكمة لك من أخيك، خير لك من مالٍ يعطيك، لأنّ المال يطغيك والكلمة تهديك.
- ** وقالوا: خير الكلام ما دلّ على هدى، أو نهى عن ردّى.
- ** ذكر عند الأحنف بن قيس: الصمت والكلام، فقال قوم: الصمت أفضل فقال الأحنف: الكلام أفضل لأن الصمت لا يعدو صاحبه، والكلام ينتفع به من سمعه، ومذاكرة الرجال تلقيحٌ لعقولها.
- ** قال سعيد بن جبير: رأيت ابن عبّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في الكعبة آخذاً بلسانه وهو يقول: يا لسان قل خيراً تغنم، أو اسكت تسلم.
- ** وقالوا السكوت سلامة، والكلام بالخير غنيمة، ومن غنم أفضل ممن سلم.
- ** قال أعرابي: من فضل اللسان، أن الله عزّ وجلّ أنطقه بتوحيده من بين سائر الجوارح.
- ** وقال عبد الملك بن مروان: الصمت نومٌ والنطق يقظة.
- ** قال خالد بن صفوان: ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة، أو بهيمة مرسلّة، أو ضالّة مهملّة.
- ** كان يقال: الألسن خدم القرائح.
- ** قال ربيعة الرأي: السّاكت بين النائم والأخرس.
- ** قالوا: إنما المرء بأصغريه: لسانه وقلبه.
- ** كان يقال: اللسان ترجمان الفؤاد، واللسان حيّة الفم.
- ** كان يقال: يجد البليغ من ألم السكوت ما يجد العمي من ألم الكلام.
- ** وقالوا: المرء مخبوءٌ تحت لسانه.
- ** قال ابن سيرين: لا شيء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان، ولا شيء أزين على المرأة من الشحم.

** روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مَا - أَنََّّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا)

فتأولت طائفة هذا على الذم لأن السحر مذموم، وذهب الأكثر من أهل العلم، وجماعة من أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان وأضافه إلى القرآن. وقد قال عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، لرجل سأله حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قوله وقال: هذا - والله - السحر الحلال.

** وقال الحسن: الرجال ثلاثة، رجل بنفسه، ورجل بلسانه، ورجل بماله.

** وكان يقال: في اللسان عشر خصال: أداة يظهرها البيان، وشاهد يخبر عن الضمير، وحاكم يفصل به القضاء، وناطق يردّ به الجواب، وشافعٍ تقضى به الحاجات، وواصفٌ تعرف به الأشياء، وواعظٌ ينهى به عن القبيح، ومعزٍ تسكن به الأحزان، وملاطفٌ تذهب به الضغينة، ومونقٌ يلهي الأسماع.

** كان يقال: الجمال في اللسان.

** قيل للأعرابي: ما الجمال؟ قال: طول الجسم، وضخم الهامة، ورحب الشّدق، وبعد الصّوت.

** قال حبيب: لسان المرء من خدم الفؤاد.

باب ذم العي وحشو الكلام

- ** قال أبو هريرة: لا خير في فضول الكلام.
- ** وقال عطاء: كانوا يكرهون فضول الكلام.
- ** وقال: بترك الفضول تكمل العقول.
- ** وقال: فضول الكلام ما ليس في دين ولا دنيا مباحاً.
- ** وقال: الصمت صيانة اللسان، وستر العي.
- ** وقالوا: العي الناطق أعياء من العي الساكت.
- ** وقالوا: أحسن الكلام ما كان قليلاً يغنيك عن كثيره، وما ظهر معناه في لفظه.
- ** وروى عبد الله بن عمر، أنه قيل له: لو دعوت لنا بدعواتٍ. فقال: اللهم اهدنا وعافنا وارزقنا. فقال رجلٌ لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أعوذ بالله من الإسهاب.
- ** وقال شُفِي بن مائع: من كثر كلامه كثرت خطاياها.
- ** وقال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: من كثر كلامه كثر سقطه.
- ** قال يعقوب عليه السلام لبيته: يا بني إذا دخلتم على السلطان فأقلوا الكلام.
- ** قال ابن هبيرة: ما من شيء إلا وهو محتاجٌ إلى فضوله يوماً، إلا فضول الكلام.
- ** قال الحسن: رحم الله عبداً أوجز في كلامه، واقتصر على فصاحته، فإن الله يكره كثرة الكلام.
- ** وكان يقال: أفضل الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه، أخذ هذا المعنى أحمد بن إسماعيل الكاتب فقال:

خير الكلام قليلٌ ... على كثيرٍ دليلٌ

والعيُّ معنىٌ قصيٌّ ... يحويه لفظٌ طويلٌ

** وقال أبو العتاهية:

الصمت أليق بالفتى ... من منطِقٍ في غير حينه

لا خير في حشو الكلام.. إذا اهتديت إلى عيونه

** وقال منصور الفقيه:

تعمّد لحذف فضول الكلام ... إذا ما نأيت وعند التّداني

ولا تكثرنّ فخير الكلام.. القليل الحروف الكثير المعاني

** قال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وقد عزله: لم عزلتني؟ قال: بلغني أنّ كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين.

** تكلم ربيعة الرأي يوماً فأكثر الكلام، فأعجبتة نفسه، وإلى جنبه أعرابي فقال له: يا أعرابي ما تعدّون البلاغة فقال: قلة الكلام. قال: ما تعدّون العي فيكم؟ فقال: ما كنت فيه منذ اليوم.

** قال بعض الحكماء: ليس شيء إلا إذا ثبتته قصر إلا الكلام، فإنك كلما ثبتته طال.

** قالوا: أعياء العي بلاغة عي، وأقبح اللحن لحنٌ بإعراب.

** كان مالك بن أنس يعيب كثرة الكلام ويذمه ويقول: كثرة الكلام لا توجد إلا في النساء والضعفاء.

** ذمّ أعرابي رجلاً، فقال: هو من يتامى المجالس، أعياء ما يكون عند جلسائه، أبلغ ما يكون عند نفسه.

باب في اجتناب اللحن وتعلّم الإعراب

وذمّ الغريب في الخطاب

** كتب عمر إلى أبي موسى: أما بعد، فتفقهوا في السنّة، وتعلّموا العربية.

** وروي عنه رحمه الله أنه قال: رحم الله امرأً أصلح من لسانه.

** كان عبد الله بن عمر يضرب ولده على اللحن.

** قال شعبة: مثل الذي يتعلم الحديث، ولا يتعلم النحو مثل البرنس لا رأس له.

** قال المأمون لأحد أولاده - وقد سمع منه لحناً -: ما على أحدكم أن يتعلم

العربية فيقيم بها أوده، ويزين بها مشهده، ويفلّ بها حجج خصمه بمسكتات حكمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه. أو يسرّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته، فلا يزال الدهر أسير كلمته

** قال ثعلب: سمعت محمد بن سلام يقول: ما أحدث الناس مروءةً أفضل من طلب النحو.

** قال عبد الله بن المبارك: اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدريّ في الوجه.

** قال عبد الملك: اللحن هجنة بالشريف.

** قال ابن شبرمة: إذا سرّك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيراً، ويصغر في

عينك من كان فيها كبيراً فتعلّم العربية، فإنها تُجربك على المنطق وتدنيك من السلطان.

** رأى أبو الأسود الدؤليّ أعدالا للتجار مكتوباً عليها: لأبو فلان!! فقال:

سبحان الله يلحنون ويربحون.

** قال رجل للحسن البصريّ: يا أبو سعيد! فقال: كسب الدوانيق شغلك أن

تقول: يا أبا سعيد.

** مر خالد بن صفوان بقوم من الموالي يتكلمون في العربية، فقال: لئن تكلمتم

فيها لأنتم أول من أفسدها.

** وقالوا: العربية تزيد في المروءة.

** وقالوا: من أحبّ أن يجد في نفسه الكبر فليتعلم النحو.

** وقال أبو شمر: قارئ النحو إذا دخله الكبر استفاد السخط من الله، والمقت من الناس.

** وقال الخليل يوماً: لا يصل أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه، إلا بما لا يحتاج إليه، فقد صار إذا ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه.

** وروي عنه في هذا الخبر أنه قال: من لم يصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج إليه، فقد صار محتاجاً إلى ما لا يحتاج إليه.

باب اختلاف عبارتهم عن البلاغة

** قال المفضل الضبي لأعرابي: ما البلاغة؟ قال الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل.

** وقيل للأحنف: ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في استحكام الحجج، والوقوف عند ما يكتفى به.

** وقال خالد بن صفوان لرجل كثر كلامه: إنَّ البلاغة ليست بكثرة الكلام، ولا بحفّة اللسان، ولا كثرة الهذيان. ولكنها إصابة المعنى القصد إلى الحجة.

** وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ فقال: لمحة دالة.

** وقيل لبشر بن مالك: ما البلاغة؟ قال: التقرب من المعنى، والتباعد عن حشو الكلام، ودلالة بقليل على كثير.

** سئل عبيد الله بن عتبة: ما البلاغة؟ فقال: القصد إلى عين الحجة بتقليل اللفظ.

** وقال غيره: البلاغة معروفة الفصل من الوصل، وفرق ما بين المشترك والمفرد وفصل ما بين المقيد والمطلق، وما يحتمل التأويل ويستغني عن الدليل.

** وقيل لبعض اليونانية: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

** وقيل لرجل من الرّوم: ما البلاغة؟ حسن الاقتصاد عند البديهة، والغزارة يوم الإطالة.

** وقيل لرجل: ما البلاغة؟ فقال: حسن الإشارة، وإيضاح الدلالة، والبصر بالحجة، وانتهاز مواضع الفرصة.

** وسأل معاوية بن أبي سفيان صحاراً العبدي، ما البلاغة عندكم؟ قال: الإيجاز. قال: ما الإيجاز؟ قال: أن تقول فلا تخطئ وتسرع فلا تبطئ، فقال معاوية. وكذلك تقول؟ قال: أقلمي يا أمير المؤمنين. أنت لا تخطئ ولا تبطئ.

** وقالوا: أبلغ الناس أحسنهم بديهة، وأمثلهم لفظاً.

** قال خالد بن صفوان: خير الكلام ما ظرفت معانيه، وشرفت مبانيه، والتدّت به آذان سامعيه.

باب من خطب فأريج عليه

أي استغلق عليه الكلام

** قال الحرّ بن جابر - وكان أحد حكماء العرب - فيما أوصى به ابنه: وإياك والخطب فإنّها مشوارٌ كثير العثار.

** سعد عثمان بن عفّان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه، فقال: أمّا بعد فإنّ أول كلّ مركبٍ صعب، وما كنا خطباء، وسيعلم الله، وإنّ امرأً ليس بينه وبين آدم أب حيٍّ لموعوظ.

** ويروى أن عثمان بن عفّان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - سعد المنبر فأرتج عليه، فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالا، وأنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّل.

وروي في هذا الخبر: أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل.

** وروي أنّ عثمان لما بويع، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه، فقال: وليناكم وعدلنا فيكم، وعدلنا عليكم خيرٌ من خطبتنا فيكم، فإنّ أعش يأتكم الكلام على وجهه.

** وروي أنّ عبد الرحمن بن جابر بن الوليد، خطب الناس على منبر حمص فأرتج عليه، فقال: يا أهل حمص! أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب مصقع [بليغ]، ثم نزل.

** وأرتج يوماً على عبد الملك بن مروان، فقال: نحن إلى الفضل في الرأي أحوج منا إلى الفضل في المنطق.

** وأرتج على معن بن زائدة، وهو على المنبر، فضرب بيده ثم قال: فتي حرب لا فتي منابر.

** سعد عبد الله بن عامر منبر البصرة، فحصر، فشقّ ذلك عليه، فقال له زياد: أيّها الأمير! إنك إن أقمت عامّة من ترى أصابهم أكثر مما أصابك.

** سعد عليّ بن أرطاة المنبر، فقال: الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم.

** أرتج على خالد بن عبد الله القسريّ على منبر الكوفة، فقال: إن هذا الكلام يجيء أحياناً ويعزب أحياناً، ويسهل عند مجيئه، ويعسر عند عزوبه طلبه، وربما طلب فأبي، وكوبر فعصى، فالتأنيّ لجيئه أيسر من التعاطي لأبيّه وهو يخلج من الجريء جنانه، وينقطع من الدّرب لسانه، فلا ينظره القول إذا اتسع، ولا يكسره النطق إذا امتنع، وسأعود فأقول إن شاء الله.

** خطب رجل من الأزد أقامه زياداً للخطبة على منبر البصرة، فلما رقى المنبر، وقال الحمد لله، أرتج عليه، فقال: قد والله هممت ألاّ أحضر اليوم، فقالت لي امرأتي: نشدتك الله إن تركت الجمعة وفضلها، فأطعتها، فوقفت هذا الموقف، فاشهدوا أنّها طالق. فقالوا له: انزل قبحك الله. وأنزل إنزالاً عنيماً.

** وذكر القهرميّ عن أبيه قال: قام القلاخ بن حزن يوم عيد خطيباً، فقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض في ستة أشهر. فقليل له: إنّما خلقها في ستة أيام فقال: أقبولني، فوالله لقد ظننت أنّي أقللت، وكنت أريد أن أقول في ستّ سنين.

** صعد روح بن حاتم المنبر، فلما رآهم قد فتحوا أسماعهم وشقّوا أبصارهم، قال: نكسوا رؤوسكم وغضّوا أبصاركم، فإنّ أول كلّ مركب صعب، وإذا يسّر الله فتح قفل يسّر.

** خطب مصعب بن حيّان خطبة نكاحٍ فحصر، فقال لقنوا موتاكم شهادة ألاّ إله إلاّ الله، فقالت أمّ الجارية: عجلّ الله موتك، ألهذا دعوناك!؟

** قيل لرجل من الوجوه: قم فاصعد المنبر فتكلم، فقام. فلما صعد المنبر حصر، فقال: الحمد لله الذي يرزق هؤلاء. وبقي ساكناً فأنزلوه وأصعدوا آخر، فلما استوى قائماً وقابل وجوه الناس بوجهه، وقعت عينه على رجلٍ أصلع وحصر، فقال اللهم العن هذه الصلعة.

** صعد عتّاب بن ورقاء منبر أصبهان فحصر، فقال: والله لا أجمع عليكم عيّا وبجلا، ادخلوا سوق الغنم فمن أخذ شاة فهي له وثمنها عليّ.

** وقد روي أن هذا إنما عرض لعبد الله بن عامر على منبر البصرة، وأن عتّاب بن ورقاء هو الذي قام على المنبر فحمد الله ثم أرتج عليه، فجعل يقول: أمّا بعد أمّا

بعد...، وقبالة وجهه شيخ أصلع فقال: أما بعد يا أصلع، فوالله ما غلطني غيرك، عليّ به، فأتي به فضربه أسواطاً.

** وصعد آخر المنبر فقال: إن الله لا يرضى لعباده المعاصي، وقد أهلك أمة من الأمم بعقرهم ناقه لا تساوي مائتين وخمسين درهماً، فسَمِيَ مقوم الناقة. وهذا هو عبد الله بن أبي ثور عامل ابن الزبير على المدينة.

ذكر عمرو بن شبة، حدثنا الحسين بن عثمان عن بعض علماء المدينة، قال: ثم عزل ابن الزبير عبدة بن الزبير، واستعمل عبد الله بن أبي ثور حليف بني عبد مناف، فلّقه أهل المدينة مقوم ناقة الله، وغلت الأسعار فتشاءموا به، فعزله ابن الزبير.

** صعد أعرابي المنبر فقال: أقول لكم ما قال العبد الصّالح: {ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرّشاد}، فقالوا له: هذا فرعون. فقال: قد والله أحسن القول. قال بزرجهمر: هيبة الزّلل تورث حصراً، وهيبة العاقبة تورث جبناً

باب حمد الصمت وذم المنطق

** روى أحمد عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- ما- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من صمت نجاً).

(من صمت) عن النطق بالشر (نجا) من العقاب والعتاب يوم المآب. قال الغزالي: هذا من فصل الخطاب وجوامع كلمه -صلى الله عليه وسلم- وجواهر حكمه ولا يعرف ما تحت كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء وذلك أن خطر اللسان عظيم وآفاته كثيرة، من نحو: كذب وغيبة ونميمة ورياء ونفاق وفحش ومراء وتركية نفس وخوض في باطل، ومع ذلك إن النفس تميل إليها لأنها سبابة إلى اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع والشيطان فالخائض فيها قلما يقدر على أن يلزم لسانه فيطلقه فيما يجب ويكفه عما لا يجب، ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار وفراغ الفكر للعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة.

قال ابن حجر: الأحاديث الواردة في الصمت وفضله (من صمت نجاً) وحديث ابن أبي الدنيا بسند رجاله ثقات (أيسر العبادة الصمت) لا يعارض حديث ابن عباس من النهي عن صمت يوم إلى الليل، لاختلاف المقاصد في ذلك، فالصمت المرغوب فيه ترك الكلام الباطل، وكذا المباح إن جر إليه والصمت المنهي عنه ترك الكلام في الحق لمن يستطيعه وكذا المباح المستوي الطرفين.

** وروى أحمد عن عتبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: لقيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فابتدأته فأخذت بيده، قال: فقلت: يا رسول الله، ما نجاة المؤمن؟ قال: (يا عتبة، احرس لسانك، وليسعك بيتك، وأبك على خطيئتك)

(أملك عليك لسانك) أي احفظه وصنه لعظم خطره وكثرة ضرره.

قال ذو النون -رضي الله عنه-: أصوم الناس لنفسه أملكهم لسانه.

وقال ابن مسعود أو عمر: ما على الأرض أحوج إلى طول سجن من اللسان.

قال حجة الإسلام -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: معنى حفظ اللسان من الكذب فلا ينطق به في جد ولا هزل لأنه إن نطق به هزل تداعى إلى الجد والخلف بالوعد، بل ينبغي أن يكون إحسانك فعلاً بلا قول، والمراد الجدال والمنافسة وتركية النفس واللعن والدعاء على الخلق والمزاح والسخرية والاستهزاء بالخلق ونحو ذلك انتهى.

قال بعض الحكماء: لا شيء أحق بالسجن من اللسان وقد جعله خلف الشفتين والأسنان ومع ذلك يكثر القول ويفتح الأبواب.

(وليسعك بيتك) سيما في زمن الفتن.. قال الطيبي: الأمر في الظاهر وارد على البيت وفي الحقيقة على المخالطة أي تعرض لما هو سبب لزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلو عن الأغيار.

(وابك على خطيئتك) أي ذنوبك، ضمن بكى معنى الندامة وعداه بعلى أي اندم على خطيئتك باكياً فإن جميع أعضاءك تشهد عليك في عرصات القيامة بلسان طلق ذلق تفضحك به على ملاً من الخلق {يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون}

قال ابن الحاج: عدل بعضهم فن الانعزال في خلوته فقال: وجدت لساني كلباً عقوراً قل أن يسلم منه من خالطه فحبست نفسي ليسلم المسلمون من آفاته.
** وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ).

** وروى أحمد عن بَهْرِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، ثُمَّ يَكْذِبُ لِيُضْحِكَهُمْ وَيَلُ لَّهُ . وَوَيْلٌ لَهُ). [حسن]

كرره إيذاناً بشدة هلكته وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم وجماع كل فضيحة فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يمت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة كان أقبح القبائح، ومن ثم قال الحكماء: «إيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة».

** قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ) [ابن ماجة]

وفي رواية لمسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)

** وروى البخاري عن الشَّعْبِيِّ حَدَّثَنِي كَاتِبُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ).

** وعن عيسى عليه السلام، أنه قال: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ففتنوا قلوبكم.

** وبلغنا أنّ داود عليه السلام لقي لقمان بعد ما كبرت سنُّه، فقال: ما بقي من عقلك؟ فقال: لا أنطق فيما لا يعنيني، ولا أتكلّف ما كفيته.
** وقال ابن مسعود: أنذركم فضول الكلام.

** وعن ابن مسعود وسلمان الفارسي، قالوا: أكثر النَّاسِ وقوفاً يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل.

** وعن عطاء: فضول الكلام ما عدا تلاوة القرآن، والقول بالسنة عند الحاجة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تنطق في أمر لا بدّ لك منه في معيشتك، أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره أن يرى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه، ثم تلا: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كَرَامًا كَاتِبِينَ} و {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}.

** وعنه - عليه السلام - أنه قال: البرّ ثلاثة: المنطق والنظر والصمت، فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير تفكّر فقد لها.

** وعن الأصمعيّ قال، قال أعرابي: السكوت صيانة للسان وسترٌ للعي.

** وقال أعرابي في رجل رماه بالعمى: رأيت عشرات الناس في أرجلهم، وعشرة فلان بين فكَّيه.

** وذكر الأصمعي قال، قال أعرابي: الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فإذا تكلم بها كان أسيراً في وثاقها.

** قيل لبكر بن عبد الله المزني: إنك تطيل الصمت؟ فقال: إن لساني سبع، إن تركته أكلني.

وقال الراجز:

القول لا تملكه إذا نما ... كالسَّهم لا يرجعه رامٍ رما

وقال آخر:

فداوئته بالحلم والمرء قادرٌ ... على سهمه ما دام في كفه السهم

** اجتمع أربعة حكماء، فقال أحدهم: أنا على ردِّ ما لم أقل، أقدر مني على ردِّ ما قلت، وقال الآخر: لأن أندم على ما لم أقل، أحب إلي من أن أندم على ما قلت، وقال الثالث: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، فإذا لم أتكلم بها ملكتها، وقال الرابع: عجبت ممن يتكلم بالكلمة، إن ذكرت عنه ضرته، وإن لم تذكر عنه لم تنفعه.

** قال ابن مقسّم، سمعت جحظة يقول: سمعت المأمون يقول: السخافة كثرة الكلام، وصحبة الأندال.

** أنشد ابن المبارك أخاً له كان يصحبه:

واغنتم ركعتين زلفى إلى الله ** إذا كنت فارغاً مستريحاً

وإذا ما هممت بالمنطق الباطل ** فاجعل مكانه تسبيحاً

إنّ بعض السكوت خيرٌ من النطق ** وإن كنت بالكلام فصيحاً

** كان يقال: العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، وجزء في الهرب من الناس.

** كان يقال: من طوّل صمته، اجتلب من الهيبة ما ينفعه، ومن الوحشة مالا يضرّه.

** روى أحمد عن عائشة، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَذْنَاهُ وَقَرَّبَ مَجْلِسَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَمْ تَكُ تَشْكُو هَذَا الرَّجُلَ؟! قَالَ: (بَلَى، وَلَكِنْ إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ، أَوْ شَرِّ النَّاسِ، الَّذِينَ إِنَّمَا يُكْرِمُونَ اتِّقَاءَ شَرِّهِمْ)

وفي رواية: (يا عائشة، إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ اتَّقَى لِفَحْشِيهِ).

** روي أن أبا بكر الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أخذ يوماً بطرف لسانه وقال: ها إنَّ ذا أوردني الموارد.

** وقال ابن مسعود رحمه الله: إن كان الشُّومُ ففي اللسان، ووالله ما على وجه الأرض شيءٌ أحقَّ بطول سجن من اللسان.

** كان يقال اللسان سبع عقور.

** عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ

كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ قَالَ لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعَبُدُ اللَّهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتُحُجَّ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمِ جَنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ قَرَأَ

{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ حَتَّىٰ بَلَغَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

ثُمَّ قَالَ أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرُورَةِ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ قُلْتُ بَلَى فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ تَكْفُفُ عَلَيْكَ هَذَا قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ قَالَ: (تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)

** قال الأصبغي: من كثر كلامه كثر خطاياه.

** وقال أبو الدرداء: من فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه.

** وقال مالك بن دينار: لو كانت الصحف من عندنا، لأقللنا الكلام.

- ** لما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت، أطال الصمت، فقيل له: ألا تتكلم؟ فقال: الكلام صيرني في بطن الحوت.
- ** قال عمر بن عبد العزيز: المحفوظ التقي يلجم لسانه.
- ** سئل عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - عن قتلة عثمان، فقال: تلك دماء كفت الله عنها يدي، فأنا أكره أن أغمس فيها لساني.
- ** وقال يزيد بن أبي خبيب: المتكلم ينتظر اللعنة، والمتصنت ينتظر الرحمة.
- ** ويقال: شر ما طبع الله عليه المرء، خلق ديني، ولسان بذي.
- ** وقالوا البذاء من النفاق.
- ** وقال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: لا خير في كثرة الكلام، واعتبر ذلك بالنساء والصبيان. إنما هم أبداً يتكلمون، لا يصمتون.
- ** وقال الحسن: لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم فكّر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلب الجاهل من وراء لسانه.
- وقال الحكماء: إذا تمّ العقل نقص الكلام، فضل العقل على المنطق حكمة، وفضل المنطق على العقل هُجْنة [العيب والنقص].
- ** وقال عمرو بن العاص: زلّة الرجل عظم يجبر، وزلّة اللسان لا تبقي ولا تذر.

باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة

** لما أمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوم بدر بضرب عنق عقبة بن أبي معيط، فقال له: من للصَّبيّة يا محمد؟ قال: النَّار.

** قال الأعمش: احذروا الجواب، فإن عمرو بن العاص قال لعديّ بن حاتم: متى فقئت عينك يا أبا طريف؟ قال: يوم طعنت في استك وأنت مولّ يوم صفين.

** شهد أعرابيّ بشهادة عند معاوية على شيء، فقال: كذبت. فقال: الكاذب والله مزمل في ثيابك. فتبسم معاوية وقال: هذا جزاء من عجل.

** أنشد ابن الرِّقاع قصيدة يذكر فيه الخمر، فقال له معاوية: أما إني قد ارتبت فيك في جودة وصف الشراب، فقال: وأنا قد ارتبت بك في معرفته.

** قال تميم بن نصر بن سيّار لأعرابي: هل أصابتك تخمة قط؟ قال: أما من طعامك وشرابك فلا.

** قال عبد الملك بن مروان لبثينة: ما رجا منك جميل؟ قالت: ما رجت منك الأمانة حين ملكتك أمرها.

** قيل لبعضهم: صحبت الأمير فلانا إلى اليمن، فما ولّأك؟ قال: قفاه.

** قيل لأعرابي: صف لنا النخلة. فقال: صعبة المرتقى، بعيدة المهوى، مهولة المجتنى، رهيبة السلاح، شديدة المؤونة، قليلة المعونة، خشنة الملمس، ضئيلة الظل.

** دخل معن بن زائدة على المنصور، فأسرع المشي وقارب الخطى، فقال له المنصور: كبرت سنُّك يا معن؟ قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: وإنك مع ذلك لجلد. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين. قال: وإن فيك لبقية. قال: هي لك يا أمير المؤمنين.

** دخل عديّ بن حاتم على معاوية، وعنده عبد الله بن عمرو، فقال له عبد الله: يا عديّ متى ذهب عينك؟ قال: يوم مثل أبوك هارباً، وضرب على قفاه مولياً، وأنا يومئذ على الحق، وأنت وأبوك على الباطل.

** قال المهديّ لجريّر بن زيد: يا جريّر إني لأعدُّك لأمر. قال جريّر: إن الله قد أعدَّ لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوداً على عدوك، إذا ما شئت.

** قالت جارية ابن السَّمَّك له: ما أحسن كلامك إلا أنك تردده. قال: أردده حتى يفهمه من لم يكن يفهمه. قالت: فإلى أن يفهمه من لم يكن يفهمه يمله من فهمه.

** قال الحسن لابن سيرين: تعبر الرؤيا كأنك من آل يعقوب. فقال ابن سيرين: وأنت تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل.

** قال رجل لعمر بن الخطاب: أهلكنا النوم: فقال: بل أهلكتم اليقظة.

** مرت أمة بسعيد بن المسيب وقد أقيم ليضرب، فقالت: يا شيخ! لقد أقيمت مقام الخزي. فقال: بل من مقام الخزي فررت.

** قال رجلٌ لعمر بن العاص لأتفرغنَّ لك. فقال: حينئذ تقع في الشغل.

** لقي الحسن الفرزدق في حين خروجه إلى العراق، فسأله عن الناس، فقال: القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر من الله.

** قيل للأصمعي: لماذا لا تقول الشعر؟ قال: الذي أريده لا يواتيني، والذي يواتيني لا أريده، أنا كالمسنّ أشحد ولا أقطع.

** قيل لابن المقفع: مالك لا تقول الشعر؟ فقال: الذي يواتيني لا أريده، والذي أريده لا يواتيني.

** قال عبد الله بن مروان لثابت بن عبد الله بن هلال: إنك أشبه الناس بإبليس. قال: وما تنكر أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن.

** قيل لأعرابية من بني عامر: لقد أحسنت العزاء على ابنك. قالت: إن فقدته أياسني من المصائب بعده.

** ونعى إلى أعرابية ابن لها، فقالت: لقد نعيموه كريم الجدّين، ضحوكاً إذا أقبل كسوباً إذا أدبر، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد.

** قال الأحوص للفرزدق: متى عهدك بالزنا؟ قال: مذ ماتت العجوز أمك.

** قال أبو الزناد لابن شبرمة في مناظرته له: من عندنا خرج العلم. فقال ابن شبرمة: ثم لم يعد إليكم.

** قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم! قال: لكنه في نسائكم يا بني عبد شمس أبين. قال زهير:

ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم ** ومن لا يتّق الشّتّم يشتم

** قال معاوية لابن عباس: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم. فقال ابن عباس: وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائرکم.

** قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: أين ترى عمك أبا هلب؟ قال: في النار، مفترشاً عمتك حمالة الحطب. وكانت أم جميل امرأة أبي هلب بنت حرب بن أمية ابن عبد شمس. ** قال الرشيد لشريك القاضي: يا شريك! آية في الكتاب ليس لك ولا لقومك فيها شيء. قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال قوله تعالى: {وإنه لذكرٌ لك ولقومك}، فقال آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء. قال: وما هي؟ قال: {وكذب به قومك وهو الحق}.

** قال الرشيد لأبي الحارث جُمَيْرًا: أيسرك أن تخرا الغالية؟ [نوع غال من الطيب] قال: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: ولم؟ والناس يتمنونها قال: أخاف أن يختم أمير المؤمنين على سراويلي فلا يفتحها.

** قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبد الله بن الزبير، فقال: يا أمير المؤمنين لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلولة إلى عنقك، وتعمل لسانك في قومك.

** وروى أن أبا بكر بن عياش كان أبرص، وكان رجل من قريش يشرب الخمر، فقال له أبو بكر: قيل لنا إن نبيا من الأنبياء بعث بحلّ الخمر. فقال: لا أومن به حتى يبرئ الأبرص.

** قدم الوليد بن عقبة الكوفة في زمن معاوية، فأتاه أهل الكوفة يسلمون عليه، وقالوا: ما رأينا بعدك مثلك. فقال خيراً أم شراً؟ قالوا: لم نر بعدك إلا شراً منك. قال:

لكني والله ما رأيت بعدكم شرا منكم، والله يا أهل الكوفة، إن حبكم لصلف، وإن بغضكم لتلف.

قال المنذر بن الجارود لعمر بن العاص: أي رجل أنت لو كانت أمك من عز قريش؟ قال عمرو: أحمد الله إليك، لقد عرضت قبائل العرب على نفسي أتمنى من أيهم تكون أمي في طول ليلتين، فما خطرت عبد القيس على بالي.

** جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص، وهو على المنبر عن أمه، فسأله. فقال: هي سلمى بنت حرملة، تلقب النابغة، من بني عنزة، ثم أحد بني جلائن، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدت وأنجبت. فإن كان لك جعل فخذ.

** فاجر رجل من ولد أبي البخريّ بن هشام [اسمه العاصي بن هشام، أبو البخري، لم يعرف أنه آذى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولكنه حضر بدر مع المشركين ونهى النبي عن قتله، ولكنه قتل] رجلا من ولد الزبير، فقال: أنا ابن عقير الملائكة. قال ابن الزبير: فنعم العاقر وبئس المعقور، فقال: أنا ابن شداد البطحاء. قال: شدها أبوك بسلحه [سلح الحيوان: تغوط]، وشدها أبي برمح.

** جلس معاوية يأخذ البيعة على أهل العراق بالبيعة له والبراءة من علي، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! إنا نباع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم، فنظر معاوية إلى المغيرة بن شعبة، فقال: رجل، فاستوص به خيراً.

** ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث، فجلس يضرب أعناقهم، فأتي في آخرهم برجل من تميم، فقال له يا حجاج! لئن كنا أسأنا في الدنيا، فما أحسنت في العقوبة. فقال الحجاج: أفّ لهذه الجيف، ما كان فيهم من يحسن هذا؟ وأمر بتخلية سبيل من بقي.

** قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر: أساءتك ولايتنا أم سرتك؟ قال: ساءتني لك وسرتني للمسلمين.

** عاتب أعرابي أباه فقال: إن عظيم حقدك علي، لا يذهب صغير حقي عليك، والذي تمتُّ به إليّ أمت بمثله إليك، ولست أزعم أنّا سواء، ولكن لا يحل لك الاعتداء.

** لما مات الحسن أرادوا أن يدفنوه في بيت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فأبت ذلك عائشة وركبت بغلة وجمعت الناس، فقال لها ابن عباس: كأنك أردت أن يقال: يوم البغلة كما قيل يوم الجمل؟! قالت: رحمك الله، ذاك يوم نسي. قال: لا يوم أذكر منه على الدهر.

** قيل لمعاوية بن سفيان، يوم صفين: إنك تقدم حتى نقول: إنك تقبل، وإنك أشجع الناس، وتناخر حتى نقول: إنك تفر، وإنك أجبن الناس. قال: أتقدم إذا كان التقدم غنما، وأتاخر إذا كان التأخر عزما.

** سأل ابن الزبير معاوية حاجة فلم يقضها، فاستعان عليه بمولاة له، فقضى حاجته، فقال له رجل: استعنت بامرأة! فقال: إذا أعييت الأمور من أعاليها طلبناها من أسافلها.

** اشتكى عبد الله بن صفوان ضرسه، فأتاه رجل يعوده، وقال: ما بك؟ قال: وجع الضرس. فقال: أما علمت ما يقول إبليس؟ قال: لا. قال: يقول: دواؤه الكسر. قال: إنما يطيع إبليس أولياؤه.

** مرض رجل من الأعراب فعاده جاره فقال: ما تجد؟ قال: أشكو دُملاً ألمني وزكاماً أضربني. فقال: أبشر فإنه بلغنا أن إبليس لا يحسد شيء من الأمراض ما يحسد على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة، فأنشأ الأعرابي يقول:

أيحسدي إبليس دائين أصبحا ... بجسمي جميعاً دُملاً وزكاماً

فليتهما كانا به وأزيدُهُ ... رخاوة فحل ما يُطبق قياما

** قال أبو جعفر المنصور لأبي جَعُونَةَ العامريّ من أهل الشام: ألا تحمدون الله بأننا قد ولينا عليكم ورفع عنكم الطاعون؟! قال: لم يكن ليجمعكم الله علينا والطاعون.

** قيل لبعضهم: أراك تكره الغزو، وما يكرهه إلا جبان أو متهم؟ فقال: والله إني لأكره أن يأتيني الموت على فراشي، فكيف أسافر إليه مسافة بعيدة.

** عرض بعض القواد أصحابه، فمر به رجل معه سيف رديء، فقال له: ويحك ما هذا السيف؟! أما علمت أن الرجل بسيفه؟ فقال أصلحك الله أيها الأمير، إنها مأمورة [كما قال النبي في الناقة دعوها إنها مأمورة]. قال: هذا مما يقطع شيئاً.

** قيل لابن سيرين: من أكل سبع رطبات على الريق سبّحت في بطنه، فقال ابن سيرين: لئن كان هذا هكذا فينبغي للوزينج إذا أكل أن يصلي الوتر والتراويح.

** قيل لابن السّمّاك في زمن يزيد بن معاوية: كيف تركت الناس؟ قال: مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي.

** قال معاوية لرجل من أهل اليمن: ما كان أحق قومك حين قالوا: {ربنا باعد بين أسفارنا} أما كان جمع الشمل خيراً لهم؟ فقال اليماني: قومك أحق منهم، حين قالوا: {اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو اتتنا بعذاب أليم}، أفلا قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

** قال رجل للرقاشي: ما يجب على المؤمن في حق الله؟ قال: التعظيم له والشكر لنعمة، قال: فما يجب عليه في حق السلطان؟ قال: الطاعة والنصيحة. قال: فما يجب عليه في حق نفسه؟ قال: الاجتهاد في العبادة، واجتناب الذنوب. قال: فما يجب عليه في حق العامة؟ قال: كف الأذى وحسن المعاشرة. قال: فما يجب عليه في حق الخليل؟ قال: الوفاء بالمودة وحسن المعونة.

** قال بعض الجليّة لأعرابي من بني تميم يمازحه: يا أعرابي! من الذي يقول:
 تميمٌ بطن اللُّوم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلّت
 فقال: لا أعرفه. ولكن أعرف الذي يقول:

أَعْضَّ اللهُ مِنْ يَهْجُو تَمِيمًا ... وَمَنْ يَرُوي لَهَا أبدأً هَجاءا

بِطْنِ عَجُوزَةٍ وَيَسْتِ أْخْرَى ... وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ مِنْ حَيْثُ جَاءا

** دخل طفيليّ دار قوم بغير إذن، فاشتدّ عليه صاحب الدار في القول، فأغلظ له الطفيلي في الجواب، وقال له: والله لئن قمت إليك لأدخلنك من حيث خرجت. فقال صاحب المنزل: أمّا أنا فأخرجك من حيث دخلت، وأخذ بيده فأخرجه.

** قال الفرزدق لكثير - وقد أنشد: ما أشبه شعرك بشعري! أفكانت أمك أتت البصرة؟ فقال: لا ولكن أبي أتاها، ونزل في بني دارم.

** قال رجلٌ من بني عجل لأبي الرُّوحاء الشاعر، بهمذان: ممن الرجل؟ قال: من العجم. قال العجلي: إنما الشعر للعرب، والمحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى ينزو على أمه رجل من العرب. فقال أبو الروحاء: فكل من لم يقل الشعر من العرب، فقد نزا على أمه رجل من العجم على هذا القياس.

** قال رجل لشريح القاضي: لشد ما ارتفعت فقال له شريح: هل ضرك ذلك؟ إنك لتبصر نعمة الله على غيرك وتعمى عنها في نفسك.

** قيل لمزيد - وهو يحمل شيئاً تحت إبطه - يا مزيد! ما هذا الذي تحت حضنك؟ قال: يا أحمق! ولم خبأته؟

** قال الفرزدق للحسن: يا أبا سعيد إني قد هجوت إبليس، أفتسمع؟ فقال له الحسن: اسكت، فإنك على لسانه تنطق.

** قيل لأعرابي: أتهمز الفارة؟ قال: إنما يهمزها السنور. قال حمزة الكسائي: أتهمز الذيب؟ قال: لو همزته أكلني.

** سأل رجل من الشعراء رجلاً من المتكلمين بين يدي المأمون، فقال: ما سنك؟ قال: عظم. قال: لم أرد هذا، ولكن كم تعدد؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأزيد. قال: لم أرد هذا، ولكن كم أتى عليك؟ قال: لو أتى علي شيء لأهلكني. فضحك المأمون. فقيل له: كيف السؤال عن هذا؟ فقال: أن تقول؟ كم مضى من عمرك.

** لقي رجل رجلاً ركباً، فقال له: أين تنزل فقال له: حيث أضع رجلي.

** وهب المفضل الضبي لبعض جيرانه أضحية، فلقيه بعد النحر، فقال: كيف وجدت أضحيتك؟ فقال: ما وجدت لها دماً، أراد قول الشاعر:

ولو ذبح الضبيّ بالسيف لم تجد ** من اللؤم للضبيّ حمماً ولا دماً

** تفاخر أهل الكوفة وأهل البصرة، فقال ابن شبرمة - وكان كوفياً - : لنا أحلام ملوك المدائن، وسخاء أهل السواد، وظرف أهل الحيرة، ولكم سفه السند، وبخل الخزر، وحمق أهل غسان.

** قال الربيع الحاجب لشريك القاضي بحضرة المهدي: بلغني أنك اختنت أمير المؤمنين. فقال شريك: لا تقل ذلك. لو كنت اختنته لكان قد أتك نصيبك.

** قال مؤدب يزيد بن عبد الملك يوماً له: لحت. فقال: الجواد يعثر. قال المؤدب: إي والله، ويضرب حتى يستقيم. فقال: نعم، وربما كسر أنف سائسه.

** وقف أعرابي على قوم فقال: رحم الله من لم تمج أذنه كلامي، وقدم لنفسه معاذه من سوء مقامي، فإن البلاد مجدبة، والحال مسغبة، والحياء زاجر يمنع من كلامكم، والفقر يدعو إلى إخباركم، والدعاء أحد الصدقتين، فرحم الله امرءاً أمر بخير. فقيل له: من أنت؟ فقال: اللهم اغفر، سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب.

** سمع إياس بن معاوية - رحمه الله - يهوديا يقول: ما أحق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون. فقال له إياس بن معاوية: أو كل ما تأكله تحدثه؟ قال: لا. لأن الله يجعل أكثره غداء. قال: فلم تنكر أن يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غداء.

** جمع المأمون بين العتّابي وبين أبي قرّة النصراني، فقال لهما: تناظرا وأوجزا. فقال العتّابي لأبي قرّة: أسألك أم تسألني؟ فقال: سلمي. قال: ما تقول في المسيح؟ قال: أقول إنه من الله عز وجل. فقال العتّابي: إن «من» تجيء على أربعة أوجه: فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ، والولد من الوالد على سبيل التناسل، والخل من الحلو على سبيل الاستحالة، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة، فهل عندك خامسة قال: لا، ولكني لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول؟ فقال العتّابي: إن قلت: إنه كالبعض من الكل جزأته، والباري لا يتجزأ، وإن قلت: إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانياً من الأولاد وثالثاً ورابعاً إلى مالا نهاية، وهذا لا يجوز على الباري عز وجل، وإن قلت على سبيل الاستحالة، أوجبت فساداً، والباري لا يستحيل ولا ينتقل من حال إلى حال، وإن قلت: إنه كالخلق من الخالق، كان قولاً حقاً، وهو الحق الذي لا شك فيه.

** وصف إبراهيم النظام لأبي عبيدة معمر بن المثنى باليقظة وسرعة الجواب، فمر به يوماً ومعه قارورة زجاج، فأراد أن يختبره، فقال: يا أبا إسحاق! ما عيب هذه؟ فقال سريعة الانكسار، بطينة الانجبار. فأعجب ذلك أبا عبيدة.

** دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان: أيُّما أحسن، دار أمير المؤمنين أم دار أبيك؟ فقال: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن.

** سمع سوارُ القاضي الحجَّاج بن أرطاة يقول: أهلكني حب الشرف، فقال: اتق الله تشرف.

** قال مالك بن أنس: قدم على عمر بن عبد العزيز فتيان، فقالا: إن أبانا توفي فترك مالا عند عمنا حميد، فأمر عمر بإحضاره، فلما دخل عليه، قال له عمر: يا حميد أنت القائل:

حميد الذي أمجَّ داره ... أخو الخمر ذو الشَّيبة الأصلعُ

أتاني المشيب على شربها ... وكان كريماً فما ينزِعُ

فقال: نعم. قال: أما إذ أقررت، فأني سأجلدك؟ قال ولم؟ قال: لأنك أقررت بشرب الخمر، وزعمت أنك تنزع عنها. فقال: هيهات، أين تذهب بك؟ ألم تسمع قول الله يقول: {والشُّعراء يتَّبِعهم الغاوون، ألم تر أنَّهم في كلِّ وادٍ يهيمون وأنَّهم يقولون مالا يفعلون} قال عمر: أولى لك يا حميد، لقد أفلتت. ثم قال: ويحك يا حميد، كان أبوك صالحاً، وأنت رجل سوء. قال: أصلحك الله، وأنت رجل صالح، وكان أبوك رجل سوء، وما كلُّ الناس يشبه أباه، فقال: إذن هؤلاء يزعمون أن أباهم توفي، وترك عندك مالا. قال: صدقوا، وأنا أحضره الآن. فأحضره بخواتيم أبيهم، ثم قال: إن هؤلاء توفي أبوهم منذ كذا وكذا، وأنا أنفق عليهم من مالي وهذا مالهم. فقال عمر: ما أحدٌ أحقُّ أن يكون عنده منك. قال: ما كان ليعود إليّ وقد خرج من عندي.

** دخل الأحنف بن قيس التميمي على معاوية بن أبي سفيان يوماً، فقال: يا أحنف ما الشيء المملَّف في البجاد؟ يعرض له بقول الشاعر:

إذا ما مات ميتٌ من تميمٍ ... فسرك أن يعيش فجيء بزاد

بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ ... أو الشيء المملَّف في البجاد

تراه يطوف في الآفاق حرصاً ... ليأكل رأس لقمان بن عاد

والشيء المملَّف في البجاد: وطب اللبن [سقاء اللبن]. فعلم الأحنف ما أراد معاوية بتعريضه، فقال: الشيء المملَّف في البجاد هو السخينة يا أمير المؤمنين. وذلك أن

قريشاً كانت تعير بأكل السخينة. وهي حساء من دقيق كانوا يصنعونها عند المسغبة
وغلاء السعر.

باب الأدب

** قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ) [رواه أحمد وغيره بسند ضعيف]

(ما نحل) أي ما أعطاه عطية.. قال الطيبي: جعل الأدب الحسن من جنس المال والعطيات للمبالغة، قال ابن الأثير: والنحلة بالكسر العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق.

(والد ولده، أفضل من أدب حسن) أي من تعليمه ذلك ومن تأديبه بنحو توبيخ وتهديد وضرب على فعل الحسن وتجنب القبيح أي لا يعطي ولده عطية أفضل من تعليمه الأدب الحسن وهذا مما يتوجه على الآباء من بر الأولاد قال تعالى: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا}

فأهم الآداب أدبه مع الله باطناً بآداب الإيمان كالتعظيم والحياء والتوكل، وظاهراً كمحافظة الحدود والحقوق والتخلق بأخلاق الإسلام وآدابه مع المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في متابعة سننه في كل صغير وكبير وجليل وحقير ثم أدبه في صحبة القرآن بالانقياد له على غاية التعظيم ثم يتعلم علوم الدين ففيها منبع الآداب ثم أدبه مع الخلق بنحو مداراة ورفق ومواساة واحتمال وغير ذلك، وثواب الأدب في تعليم الولد بقدر شأن ما علم.

** قال سليمان بن داوود: من أراد أن يغيظ عدوه، فلا يرفع العصا عن ولده.

** وقال محمد بن سيرين: كانوا يقولون: أكرم ولدك وأحسن أدبه.

** كان يقال: من أدب ولده أرغم أنف عدوه.

** قال الحسن: التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر.

قال الشاعر:

خير ما ورث الرجال بنبيهم ... أدبٌ صالحٌ وحسنُ الثناء
هو خيرٌ من الدنانير والأوراق.. في يومِ شدّةٍ أو رخاء
تلك تفنى والدين والأدب الصّالح.. لا تفنيان حتّى البقاء

إن تأدبت يا بني صغيراً... كنت يوماً تعدّ في الكبراء
وإذا ما أضعت نفسك ألفت.. كبيراً في زمرة الغوغاء

** قال لقمان: ضرب الوالد للولد كالسّمد للزرع.

** قال بعض الحكماء: لا أدب إلا بعقل، ولا عقل إلا بأدب.

** كان يقال: التجربة علم، والأدب عون، وتركه مضرة بالعقل.

** كان يقال: العون لمن لا عون له الأدب.

** قال الأحنف: الأدب نور العقل، كما أنّ النار في الظلمة نور البصر.

** قال الأصمعيّ: ما مطيئة أبلغ دركاً وهي وادعة من الأدب.

** قال بُزْجُمهر: أرفع منازل الشرف لأهله العلم والأدب.

** وقيل: من قعد به حسبه نهض به أدبه.

** وقال ابن أبي دؤاد لرجل تخطى أعناق الرجال إليه: إنّ الأدب المترادف خير من

النسب المتلاحف.

** كان يقال: الأدب من الآباء، والصّلاح من الله.

** كان يقال: من أدب ابنه صغيراً قرّت به عينه كبيراً.

** وقال الحجاج لابن القريّة: ما الأدب؟ قال: تجرّع الغصّة حتى تمكن الفرصة.

** ووصف أعرابيّ الأدب في مجلس معمر بن سليمان، فقال: الأدب أدب الدّين،

وهو داعيةٌ إلى التوفيق، وسببٌ إلى السعادة وزادٌ من التقوى، وهو أن تعلم شرائع

الإسلام، وأداء الفرائض، وأن تأخذ لنفسك بحظّها من النافلة، وتزيد ذلك بصحة النية،

وإخلاص النفس، وحبّ الخير، منافساً فيه، مبغضاً للشّر نازعاً عنه، ويكون طلبك

للخير، رغبةً في ثوابه، ومجانبتك للشّر رهبةً من عقابه، فتفوز بالثواب، وتسلم من

العقاب، ذلك إذا اعتزلت ركوب الموبقات، وآثرت الحسنات المنجيات.

** وقال أعرابيّ: الأديب من اعتصم بعزّ الأدب من ذلّة الجهل، ولم يتورط في

هفوة، وكان أدبه زلفى إلى الحظوة في دنياه وأخراه.

** كان يقال: من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه.

** وقال محمد بن جعفر: الأدب رياسة، والحزم كياسة، والغضب نار، والصخب عارٌ.

** قال ابن القريّة: تأدّبوا فإن كنتم ملوكاً سدمتم، وإن كنتم أوساطاً رفعتهم، وإن كنتم فقراء استغنيتهم.

** قال شبيب بن شبية: اطلبوا الأدب فإنه عونٌ على المروءة، وزيادةٌ في العقل، وصاحبٌ في العربة، وحليّةٌ في المجالس.

** قال عليّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في قول الله عزّ وجل: {يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا}، قال: أدّبوهم وعلموهم.

** قال مصعب بن عبد الله الزُّبيري: قال لي رجل من أهل الأدب فارسيّ النسب: إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا في غربة، ولم يقصروا عن مكرمة: الشجاع حيث كان، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه، والعالم فبالناس حاجة إلى علمه، والحلو اللسان فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه، فإن لم تعط رباطة الجأش، وجرأة الصدر، فلا يفوتك العلم وقراءة الكتب، فإن بها أدباً وعلماً قد قيّدته لك العلماء قبلك، تزداد بها في أدبك وعلمك.

** قيل لعيسى عليه السلام: من أدّبك؟ قال: ما أدّبني أحدٌ، رأيت جهل الجاهل فاجتنبته.

** قال بعض الحكماء: أفضل ما يورث الآباء الأبناء: الثناء الحسن، والأدب النافع، والإخوان الصالحون، وأنشدوا:

ويعدم عاقلٌ أدباً فيجفو ... وتنسبه إلى غلظ الطّباع

ومنزلة التّأدب من أديبٍ ... بمنزلة السّلاح من الشُّجاع

** قال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بنيّ لوعداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعوّلون عليه؟ فقال الوليد: أما أنا ففارس حرب، وقال سليمان: أما أنا فكاتب سلطان، وقال ليزيد: فأنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين!؟ ما تركا غايةً لمختار. فقال عبد الملك: فأين أنتم يا بنيّ من التجارة التي هي أصلكم ونسبتكم؟ فقالوا: تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبنة، ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الدّهماء والرعية، قال: فعليكم إذاً

بطلب الأءب؁ فإن كننم ملوكأ سءنم؁ وإن كننم أوساطأ رأسنم؁ وإن أعوزنكم المعيشة
عشتم.

باب ترويح القلوب وتنبيهها

** روى البخاري:

// عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةً السَّامَةِ عَلَيْنَا.

// عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ حَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوِ دِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ قَالَ أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَيُّي أَكْرَهُ أَنْ أُمَلِّكُمْ وَإِنِّي أَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا

// عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا)

** وكان علي بن أبي طالب يقول: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.

** وقال علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: نبه بالتفكر قلبك، وجاف عن النوم جنبك، واتق الله ربك.

** قال أبو الدرداء: إني لأستحجم قلبي بشيء من اللّهو، ليكون أقوى لي على الحق.

** قال عبد الله بن مسعود: أريحوا القلوب، فإن القلب إذا أكره عسى.

** وقال أيضاً: إن للقلوب شهوة وإقبالا، وفترة وإدباراً، فخذوها عند شهواتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها.

** كان يقال: الملامة تفسخ المودة، وتولد البغضة، وتنغص اللذة.

** قال أرسطو طاليس: ينبغي للرجل أن يعطي نفسه لذتها في النهار ليكون ذلك عوناً لها على سائر يومه.

** في صحف إبراهيم عليه السلام: وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويجمل، فإنّ هذه الساعة عونٌ له على سائر الساعات.

** قال عمر بن عبد العزيز: تحدثوا بكتاب الله تعالى، وتجالسوا عليه، وإذا مللتم فحديثٌ من أحاديث الرجال حسنٌ جميل.

** وقال بعض الحكماء من السلف: القلوب تحتاج إلى قوتها من الحكمة كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الغذاء.

** دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه، وهو في نوم الضحى، فقال: يا أبت إنك لنائم، وإن أصحاب الحوائج لراكدون ببابك فقال: يا بني إن نفسي مطيبي، وإن حملت عليها فوق الجهد قطعتها.

** قال الحسن البصري -رضي الله عنه-: حادثوا هذه القلوب، فإنها سريعة الدثور، وأفرعوا هذه النفوس فإنها طلعة، وإن لم تفعلوا هوت بكم إلى شرّ غاية.

** وقال غيره من العلماء: حادثوا هذه القلوب فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد.

** كان يقال: الفكرة مرآة المؤمن، تريه حسنه من قبيحه.

** كان يقال: التفكير نور، والغفلة ظلمة.

باب قولهم في وصف العيش وما تتمناه النفس

** روى الترمذي بسند حسن قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا):
(من أصبح منكم آمناً في سربه) أي في نفسه، وروي بفتحها أي في مسلكه وقيل بفتحتين أي في بيته (معافى في جسده) أي صحيحاً بدنه (عنده قوت يومه) أي غذاؤه وعشاؤه الذي يحتاجه في يومه ذلك، يعني من جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه حيث توجه وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها بأن يصرفها في طاعة المنعم لا في معصية ولا يفتر عن ذكره (فكأنما حيزت له الدنيا) أي ضمت وجمعت (بحذافيرها) أي بجوانبها.. أي فكأنما أعطي الدنيا بأسرها
ومن ثم قال نبطويه:

إذا ما كسك الدهر ثوب مصحة * ولم يخل من قوت يلقى ويعذب
فلا تغبطن المترفين فإنه * على حسب ما يعطيهم الدهر يسلب

وقال:

إذا القوت يأتي لك والصحة والأمن * وأصبحت أخوا حزن فلا فارقك الحزن
وفيه حجة لمن فضل الفقر على الغنى.

** كان عمر بن الخطاب يعجبه قول عبدة بن الطبيب:

المرء ساعٍ لأمرٍ ليس يدركه ... والعيش شحٌ وإشفاقٌ وتأميل

** قال أبو يعلى: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا محمد بن حرب الزبدي، قال: حدثني أبي قال: قال زيادٌ جلسائه: من أغبط الناس عيشاً؟ قالوا: الأمير وجلساؤه. فقال: ما صنعتم شيئاً، إن لأعواد المنابر هيبة، وإن لفرع لجام البريد لفرعة، ولكن أغبط الناس عندي: رجل له دارٌ لا يجري عليه كراؤها، وله زوجة صالحة، قد رضيته ورضيها فهما راضيان بعيشهما، لا يعرفنا ولا نعرفه، فإنه إن عرفنا وعرفناه أتعبنا ليله ونهاره، وأفسدنا دينه ودنياه.

** قال عمر: لما فتح الله على رسوله بني النضير وغيرهما، كان يتخذ منها لنفسه وعباله قوت سنة، ثم يجعل الباقي في الكراع والسلاح في سبيل الله.

** وقال سليمان: إذا أحرزت النفس قوتها اطمأنت.

** عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ١- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: (إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ).

(إذا تمنى أحدكم) على ربه من خير الدارين (فليكثر) الأمانى (فإنما يسأل ربه) الذي ربه وأنعم عليه وأحسن إليه، فيعظم الرغبة ويوسع المسألة ويسأله الكثير والقليل حتى شسع النعل فإنه إن لم ييسره لا يتيسر كما في الحديث.

فينبغي للسائل إكثار المسألة ولا يختصر ولا يقتصر فإن خزائن الجود بيده سحاء

الليل والنهار أي دائمة لا ينقصها شيء ولا يفنيها عطاء وإن جل وعظم ل

قال الزمخشري: وليس ذا بمناقض لقوله سبحانه وتعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ

بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ} [النساء: ٣٢] فإن ذلك نهي عن تمنى ما لأخيه بغياً وحسداً وهذا

تمنى على الله -عز اسمه- خيراً في دينه ودنياه وطلب من خزائنه فهو نظير {وَأَسْأَلُوا اللَّهَ

مِنْ فَضْلِهِ} [النساء: ٣٢]

وقال المؤلف: وليس في هذا معارضة لقول الله: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ

بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ} لأن معنى هذا عند العلماء أن يتمنى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه،

ليصرفه الله عنه إليه فذلك التمني المكروه.

** قال محمد بن سيرين: نهيتم عن الأمانى، ودللت على ما هو خير منها لكم، سلوا

الله من فضله.

** قال المنصور لإسحاق بن مسلم العقيلي: ما بقي من لذاتك؟ قال جليس يقصر

به طول ليلى، وزائر أشتهي من أجله طول السهر.

** وقال غيره: زائر أشتهي به طول السهر، ودابة أشتهي من أجلها طول السفر.

** قال مسلمة بن عبد الملك: العيش في ثلاث: سعة المنزل، وموافقة المرأة، وكثرة

الخدم.

قال عباية الجعفي: ما يسرُّني بنصبي من التمني حُرُّ النَّعَمِ.

- ** قال عبد الرحمن بن أم الحكم: لذة العيش في زحف الأحرار إلى طعامك، وبذل الأشراف وجوههم إليك فيما تجد السبيل إليه، وقول المنادي: الصلاة أيها الأمير.
- ** قال قتيبة بن مسلم لو كعب بن أبي سُود: ما السرور؟ قال: لواءٌ منشور، وجلوسٌ على السرير، والسلام عليك أيها الأمير.
- ** قيل لأمّ البنين: ما أحسن شيءٍ رأيت؟ قالت: نعم الله مقبله عليّ.
- ** سأل قتيبة رجلاً: ما السرور؟ قال: الولد الصالح والمال الواسع.
- ** قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: لذة العيش ظفرك بمن تحبّ بعد امتناع، ولذة لا توجب عليك إثماً، وحقٌ وافق هوىً.
- ** قيل لأبي حازم: ما اللذة؟ قال: الموافقة، ولا أنيس كالصاحب المواتي.
- ** وروى الرياشي عن الأصمعي قال: قال شبيب بن شيبه: عيش الدنيا في ثلاث: محادثة الإخوان، ومباشرة النسوان، وشم الصبيان.
- ** قال بعض الحكماء: كثرة الالتفات سخف، ومجالسة الحمقى تورث التّوك [الغفلة والحمق]، وكثرة المنى تخلق العقل، وتفسد الدين، وتنفي القناعة.
- ** قال أبو العتاهية:
- لله أصدق والآمال كاذبةٌ ** وجلّ هذي المنى في القلب وسواس
- ** ذكر عمرو بن بحر عن الأصمعي قال: قال بعضهم: الاحتلام أطيب من الغشيان، وتمنيك الشيء أوفر حظاً للذة من قدرتك عليه.
- ** قال عمرو بن بحر: كأنه ذهب إلى أن المال إذا مُلِكَ وجبت فيه حقوق، وخاف مالكة عليه الزوال، واحتاج إلى الحفظ، وكل من عظمت عليه نعمة الله عظمت مؤونة الناس عليه.
- ** ذكر المدائني قال: قيل لامرئ القيس: ما أطيب عيش الدّنيا؟ فقال: بيضاء رُعبوبة [الحسنة البيضاء]، بالطيب مشبوبة [مشرقة]، باللحم مكروبة [مفتولة العضلات غير مترهلة].
- ** وسئل طرفه أيّ العيش ألدّ؟ فقال: مطعمٌ شهيّ، وملبسٌ زهّي ومركبٌ وطّي.

** ولبعض الحكماء: أسوأ الناس حالاً من اتسعت أمنيته وضافت مقدرته، وبعدت همته.

** قيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة: أيّ الأمور أمتع؟ فقال: ممازحة حبيب، ومحادثة خدين، وأمانٍ تقطع بها أيامك.
وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، أنه قيل له: أيُّ شيءٍ أكثر إمتاعاً؟ قال: المنى.

** قال بعض الأعراب، ويروي لأبي بكر العرزمي:

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى ** وإلاً فقد عشنا بها زمناً رغدا

أمانئ من سلمى عذاباً كأنما ... سقتك بها سلمى على ظمياً بردا

** اجتمع عبد الله وعروة ومصعب بنو الزبير بن العوام، عند الكعبة، فقال عبد الله: أحب ألا أموت حتى تجيء إليّ الأموال وأكون خليفة.

وقال مصعب: أحب أن أليّ العراقيين - يعني الكوفة والبصرة - وأزوّج سكينه بنت الحسين وعائشة بنت طلحة.

وقال عروة: لكني أسأل الله الجنة. فصار عبد الله ومصعب إلى ما تمنيا، ويرون أن عروة صار إلى الجنة.

** كان المتمني بالكوفة إذا تمنى يقول: أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة، وحفظ سفيان، وورع مسعر بن كدام [كان يقال له المصحف لعظم الثقة فيه]، وجواب شريك [عالم بالحديث فقيه اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته وكان قاضي المنصور على الكوفة].

** قال الأصمعيّ: قال لي بن أبي الزناد: المنى والحلم أخوان.

وقال آخر:

من راقب الموت لم تكثر أمانيه ... ولم يكن طالباً ما ليس يعنيه

** قيل لرقبة بن مصقلة: أنت بعيد الدار من المسجد، وتنصرف بلا مؤنس؟ قال:

إني حين أخرج من المسجد أبتدئ أمنية فما تنقضي حتى أدخل المنزل.

** قال يزيد على المنبر: ثلاث يخلقن العقل، وفيها دليل على الضعف: سرعة الجواب، وطول المنى، والاستغراق في الضحك.

** وقال الأحنف بن قيس: كثرة الأمانى من غرور الشيطان.

** قال حبيب:

من كان مرتع عزمه وهمومه ... روض الأمانى لم يزل مهزولاً

** وقال آخر:

إذا تمنيت بت الليل مغتبطاً ... إن المنى رأس أموال المفاليس

وقال آخر:

إذا حدثتك النفس أنك قادرٌ على ** ما حوت أيدي الرجال فكذب

فإن أنت لم تفعل ومال بك الهوى ** إلى بعض ما منتك يوماً فجرّب

** قيل لسليمان بن عبد الملك: ما اللذة؟ قال: جليس ممتع أضع بيني وبينه التحفظ.

** قال الحجاج بن يوسف الحُرَيم - وهو خريم بن خليفة بن سنان بن أبي حارثة

المُرَي - ما العيش؟ قال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش. قال: زدني قال:

والشباب، فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش. قال: زدني. قال: والصحة، فإني رأيت

السقيم لا ينتفع بعيش. قال زدني. قال: لا أجد مزيداً.

** قيل لرجل من الحكماء: من أنعم الناس عيشاً؟ قال: من كُفِيَ همّ الدنيا، ولم

يهتم بالآخرة.

باب اختلاف الهمم في أنواع المال

** وروي عنه عليه السلام أنه كان يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم، ويأمر المساكين باتخاذ الدجاج.

** قال مالك بن أنس - رحمه الله -: لما خرج مروان من المدينة مرّ بماله بندي حُشِب، فلما نظر إليه قال: ليس المال إلا ما أُسرجت عليه المناطق.

قيل لابنة الخس: ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت: قِنِي [اقتني المال كسبه، وقني صاحبه أرضاه]. قيل: فمائة من الضأن؟ قالت: غِنِي. قيل فمائة من الإبل؟ قالت: مُنِي.

** قال المستورد: الذهب والورق حجران، إن تركتهما لم يزيدا، وإن أخذت منهما نفدا، والحيوان كالقبل إن أصابته الشمس ذوي، ولكن المال الأرض والماء.

** قال ابن شهاب الزهري - رحمه الله - يخاطب أخاه عبد الله:

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها ... لعلك يوماً أن تجاب فترزقا

** وقيل: تسعة أعشار الرزق في التجارة، والعشر في السائباء. [الجلدة الرقيقة التي

تحيط بالجنين في بطن أمه والمقصود بها نتاج الإبل]

** لما بلغ عمر بن الخطاب أن من نزل بالكوفة من الصحابة اتخذوا الضياع وعمرؤا

الأرضين، كتب إليهم: لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمها في وجهها.

** ولما بلغه أن عتبة بن غزوان وأصحابه بنوا باللبن كتب إليهم: وقد كنت أكره

لكم ذلك، فإذا فعلتم فعرضوا الحيطان، وارفعوا السُّمك، وقاربوا بين الخشب.

** باع رجل رجلاً أرضاً، فقال البائع: أما والله لقد أخذتها شديدة المؤونة قليلة

المعونة - يعني الأرض -. فقال المشتري: والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفريق -

يعني الدراهم.

** قالوا إذا بعد المال عن موضع ربّه قلت فوائده.

قال الشاعر:

سأبغيك مالاً بالمدينة إنني ... أرى عازب الأموال قلت فوائده

** أوصى سهل بن حنيف، أحد بني عبد الرحمن بن عوف، وكانت أمه أنصارية فقال له: إنك أحب إخوتك إليّ، وإني موصيك بوصية: اعلم أنه لا عيلة على مصلح، ولا مال مع الخرق، واعلم أن خير المال العقل، وخير المال ما أطعمك ولم تطعمه وإن قلّ، واعلم أن الرقيق ليسوا بمال، ولكنهم جمال، واعلم أن الماشية إنما هي مال أهلها، وإن كنت متخذاً من المال شيئاً فمزرعة إن زرعته انتفعت بها، وإلا لم ترزك شيئاً. قال: فحفظت نصيحته، فكانت لي أنفع مما ورثت.

** ذُكر النخل والزرع عند بعض الأشراف العقلاء فقال: شربنا النخل من فضول غلات الزرع، ولم نشتر الزرع من فضول غلات النخل.

** قال الليث بن سعد: لما افتتحت إفريقية عجب الناس من كثرة ما أصابوا فيها من الأموال، فسألوا بعض من كان معهم من الأسرى، فبدر إلى شجرة زيتون كانت بين يديه، فأخذ منها عوداً وأراهم إياه، وقال: من هذا جمعنا هذه الأموال نصيب الزيتون فيأتينا أهل البحر والبر، والصحراء والرمل، يتتاعون منا الزيتون، فمن ثم كثرت أموالنا.

** قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لعمر بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: (هل لك يا عمرو أن أبعثك في جيشٍ يسلمك الله ويغنمك وأرغب لك رغبةً سالحةً) وروي عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من حديث المقداد بن معدي كرب، وهو حديث صحيح، أنه قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً له من أن يأكل من عمل يده، وكان داود عليه السلام يأكل من عمل يده).

** وكان داود - عليه السلام - يعمل القفاف الخوص، وقيل كان نوح نجاراً، وكان زكريا نجاراً صلى الله عليهما وسلم.

وأجمع العلماء أنّ أشرف الكسب: الغنائم، وما أوجف الله عليه بالخيل والركاب، إذا سلم من الغلول. وقد سمي الله الجهاد تجارة منجية من عذاب أليم.

باب التجارة

** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَيْسَ قَدْ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ؟ قَالَ: (بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ، وَيَخْلِفُونَ، وَيَأْتُمُونَ) [أحمد: صحيح]

** وروى أبو داود عن قيس بن أبي غزوة قال كنا في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نسمى السماسرة فمر بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسمانا باسم هو أحسن منه فقال: (يا معشر التجار إن البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة).

** وقال عليه السلام: (اللهم بارك لأمتي في بكورها).

** وروى أحمد بسند حسن قال -صلى الله عليه وسلم-: (بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وتفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وتقطع الأرحام) وروى النسائي بسند صحيح قال -صلى الله عليه وسلم-: (إن من أشرار الساعة أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر العلم، ويبيع الرجل البيع فيقول: لا حتى أستامر تاجر بني فلان، ويئتمس في الحى العظيم الكاتب فلا يوجد) قوله (لا حتى أستامر تاجر بني فلان) أي أشاوره بيان لكثرة الجهل، أو بيان لكثرة اهتمام الناس بأمر الدنيا وحرصهم على إصلاحها.

وقوله: (ويئتمس في الحى العظيم الكاتب فلا يوجد) أي الكاتب الذي يعرف أن يكتب بالعدل ولا يطمع في المال بغير حق
** وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: فرقوا بين المنايا، واجعلوا الرأس رأسين.

أي فرقوا ما لكم عن المنية تشتروا بثمن الواحد من الحيوان اثنين حتى إذا مات أحدهما بقي الثاني، فإنكم إذا غاليتم بالواحد فذلك تعريض للمال مجموعاً للتهلكة قوله: "واجعلوا الرأس رأسين": عطف للتفصيل والبيان على الإجمال
** وقال عمر: بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك.

** وفي مصنف ابن أبي شيبة حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّ بِأَعْرَابِيٍّ يَبِيعُ شَيْئًا، فَقَالَ: (عَلَيْكَ بِأَوَّلِ سَوْمَةٍ، أَوْ بِأَوَّلِ السَّوْمِ فَإِنَّ الرَّبْحَ مَعَ السَّمَّاحِ).

** قيل للزبير - رحمه الله -: بم بلغت هذا المال؟ قال: إني لم أرد ربحاً، ولم أشتري عيباً.

** كان يقال: الأسواق موائد الله في الأرض، فمن أتاها أصاب منها.

** قال خالد بن صفوان: في التِّجَارِ لَوْمُ الطَّبَائِعِ، وَعِيَّ اللِّسَانِ، وَمَوْتُ القَلْبِ، وَسَوْءُ الأَدَبِ، وَقَصْرُ الهِمَّةِ، وَالإِشْتِمَالُ عَلَى كُلِّ بَلِيَّةٍ.

** اشترى أعْرَابِيٌّ جَمَلًا فَنَدِمَ عَلَيْهِ فِي شِرَائِهِ، فَجَعَلَ يَصْعَدُ النِّظْرَ فِيهِ، وَيَصُوبُهُ لِيَجِدَ مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى رَدِّهِ فَقَالَ البَائِعُ: مَنْ طَلَبَ عَيْبًا وَجَدَهُ.

** يقال: الغبن في شَيْئَيْنِ، فِي الرِّدَاءَةِ أَوْ الغَلَاءِ، فَإِذَا اسْتَجِدْتَ [صار جيدا] فَقَدْ سَلِمْتَ مِنْ أَحَدِهِمَا.

** قال معاوية - رحمه الله - لقوم: ما تجارتكم؟ قالوا: بيع الرقيق قال: بئس التجارة ضمان نفس، ومثونة ضرر.

** قال عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِذَا اشْتَرَيْتَ بَعِيرًا فَاشْتَرِهِ ضَخْمًا، فَإِنْ لَمْ تَوَافِقْ كَرَمًا، وَافَقْتَ لِحْمًا.

** ودخل مالك بن دينار السوق فجلس إلى قوم يحدثهم، فقال: كيف سوقكم؟ قالوا: كاسدة. قال: غششتم. قال: وكيف متاعكم؟ قالوا: رديء قال: كذبتهم. قال: وكيف كثرته؟ قالوا: قليل. قال: حلفتهم.

** كان عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يقول: عجباً للتاجر كيف يسلم إن باع مدح، وإن اشترى ذم.

** قال سعيد بن المسيب: إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصِّياح. يعني - والله أعلم - من لا صناعة له إلا النداء لغير صلاة محتسباً بالليل وبراحاً بالنهار. ونحو هذا عن الفضيل بن عياض، وزاد كالملاحين ودوتهم، ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل.

** قال ابن عباس: من اشترى ما لا يحتاج إليه يوشك أن يبيع ما يحتاج إليه.

** قال المغيرة بن حنّاء:

وما كلُّ حينٍ يصدق المرء ظنُّه ... ولا كلُّ أصحاب التِّجارة يربح

ولا بن شهاب الزُّهري:

ألا كلُّ من يهدي له البيع يرزق ... وقد يصلح المال اليسير الموفَّق

بَابُ الرَّزْقِ

** قال الله عز وجل: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣٢]

** وقال تعالى: {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ} [النحل: ٧١]

في تفسير الجلالين: (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك (فما الذين فضلوا) أي الموالي (برادي رزقهم على ما ملكت أيمنهم) أي بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين ممالككم (فهم) أي الممالك والموالي (فيه سواء) شركاء والمعنى ليس لهم شركاء من ممالككم في أموالهم فكيف يجعلون بعض ممالكك الله شركاء له (أفبِعِزَّةِ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ) يكفرون حيث يجعلون له شركاء وفي التفسير الميسر: والله فَضَّلَ بعضكم على بعض فيما أعطاكم في الدنيا من الرزق، فمنكم غني ومنكم فقير، ومنكم مالك ومنكم مملوك، فلا يعطي المالكون مملوكيهم مما أعطاهم الله ما يصيرون به شركاء لهم متساوين معهم في المال، فإذا لم يرضوا بذلك لأنفسهم، فلماذا رضوا أن يجعلوا الله شركاء من عباده؟ إن هذا لمن أعظم الظلم والجحود لنعم الله عز وجل.

** وروى مسلم عن عبد الله قال قالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: اللَّهُمَّ أَمْنِعْنِي بِرَوْحِي رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعْجَلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ)

** وفي تحاف الخيرة المهرة عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْغِنَى لَيْسَ عِنْدَ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى

النَّفْسِ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، مُؤْتِي عَبْدَهُ مَا كَتَبَ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ، فَاجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ: خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حُرِّمَ). وقال إسناده حسن

** قال الشاعر:

فإنك ما يقدر لك الله تلقه ... كفاحاً وتجلبه عليك الجوالب

** وفي مصنف ابن أبي شيبة عن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرَّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرَّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ هَيَّيْتُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوِي رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلُكُمْ اسْتِطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ)

** أنشد ابن أبي الدنيا:

ومن ظنَّ أنَّ الرِّزْقَ يأتي بحيلةٍ ... فقد كذَّبته نفسه وهو آثم

يفوت الغنى من لا ينام عن السُّرى [السير ليلاً] ... وآخر يأتي رزقه وهو نائم

** وقال جعفر بن محمد: إني لأملق فأتاجر الله بالصدقة فأربح.

** وقال عروة بن الزبير: العاقل من إذا رزق ما لا نظر فيه، فإنه لا يدري لعله

يكون آخر رزقه.

** وأنشد ابن الأعرابي:

الحمد لله ليس الرِّزْقُ بالطلب ... ولا العطايا لذي عقلٍ ولا أدب

إن قدر الله شيئاً أنت طالبه ... يوماً وجدت إليه أقرب السبب

وإن أبي الله ما تهوى فلا طلبٌ ... يجدي عليك ولو حاولت من كتب

** وقيل لعلي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: كيف يحاسب الله العباد على

كثرتهم؟ قال: كما قسّم بينهم أرزاقهم.

** كان يقال: بگروا في طلب الرزق، فإن التّجاح في التّبكير.

** قال أبو هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إذا سأل أحدكم الله الرزق فلينظر كيف

يسأل، فإن الله يرزق الحلال والحرام، ولكن ليقبل اللهم أرزقني ما ينفعني ولا يضرني.

** قالوا: الرزق رزقان رزق لا يأتيك إلا بالتسبب، ورزق يأتيك به الله من حيث لا تحتسب.

وقلت أنا الرزق رزقان. فرزق تطلبه، ورزق يأتيك عفواً.

** قال أكرم بن صيفي: من فاته الرزق فبالعاقبة ظفر.

** كان يقال: إذا لم يرزق الإنسان ببلدة فليتحول إلى أخرى.

** قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول بلغني أن عمر بن الخطاب قال: من كان

له رزق في شيء فليلزمه.

** قال وقال مالك: سمعت أهل مكة يقولون: ما من أهل بيت فيهم اسم محمد إلا

رزقوا ورزق خيراً.

باب الحرص والأمل

** قيل: الحرص على أكل الشجرة أخرج آدم من الجنة.
** كان يقال: شدة الحرص من سبل المتالف.
** وقال الأحنف: آفة الحرص الحرمان، ولا ينال الحريص إلاّ حظّه.
** كان الحسن البصريّ يقول: ما بعد أملٌ إلاّ ملٌّ عمل.
** كان يقال: من أطال الأمل أمات العمل.
** قال بعض الحكماء: الإنسان لا ينفكُ من الأمل، فإن فاته الأمل قوي على المنى.

** قال: والأمل يقع بسبب، وباب المنى مفتوح لمن أراد الدخول فيه.
** من كلام الحكماء: الرزق مقسوم، والحريص محرومٌ، والحسود مغمومٌ، والبخيل مذموم.
** وقيل: الحرص مفسدة، والبخل مبغضة، والعجلة خطأ، والرفق يمن، والبذاء شؤم.

** كان عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يتمثل:
وبالغ أمر كان يأمل دونه ... ومختلجٍ [يرتعش ويضطرب] من دون ما كان يأمل
وكان يتمثل أيضا:

لا يغرّنك عشاءٌ ساكنٌ ... قد يوافي بالمنيات السّحر

** كان المأمون يعجبه قول أبي العتاهية:

تعالى الله يا سلم بن عمرو ... أذلّ الحرص أعناق الرّجال

أخذه أبو الفتح الملقب بكشاجم فقال:

بالحرص في الرّزق يذلّ الفتى ... وفي القنوع الشّرف الشّامخ

قال أبو عمر: وشعر أبي العتاهية الذي فيه هذا البيت الذي أعجب المأمون:

نعى نفسي إليّ من اللّياالي ... تصرّفهنّ حالاً بعد حال

فما لي لست مشغولاً بنفسي ... ومالي لا أخاف الموت مالي

لقد أيقنت أنّي غير باقي ... ولكيّ أراي لا أبالي
تعالى الله يا سلم بن عمرو ... أذلّ الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى زوال
فما ترجو بشيءٍ ليس يبقى ... وشيكاً ما تغيره الليالي
قال: فلما بلغ سلماً الخاسر قول أبي العتاهية، قال:

ما أقبح التزهيد من واعظٍ ... يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقاً ... أضحى وأمسى بيته المسجد
إن رفض الدنيا فما باله ... يكتنز المال ويستترفد
يخاف أن تنفذ أرزاقه ... والرزق عند الله لا تنفذ
الرزق مقسومٌ على من ترى ... يسعى له الأبيض والأسود

** قال زياد بن أبي سفيان: اثنان يتعجلان النصب ولا يظفران بالبغيّة: الحريص في حرصه، ومعلم البليد ينبو عنه فهمه.

** قال داود الطائي: يا ابن آدم ارتحلك [حط عليه رحله ليركبه أو يحمل عليه] الحرص فأنسك أجلك، ونصب لك أملك، ورب حريص محروم، وواجد مذموم.

** قال مسلم بن قتيبة: في إفراط الحرص مذلة قبل إدراك الطلبة.

** كانوا يقولون: أول دناءة الحرص، تأميل البخل.

** قال الشاعر:

الحرص داءٌ قد أضّرّ ... بمن ترى إلّا قليلاً

كم من عزيزٍ قد رأيت ... الحرص صيرّه ذليلاً

فتجنّب الشهوات واحذر ... أن تكون لها قتيلاً

** عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (..)

أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت

كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان [مسلم]

** ولأبي عبد الله الصوري:

لما رأيت الناس قد أصبحوا ... وهمّة الإنسان ما يجمع

قنعت بالقوت فنلت المنى ... والفاضلُ العاقل من يقنعُ
ولم أنافس في طلاب الغنى ... علماً بأنَّ الحرصَ لا ينفعُ

باب الطَّمع واليأس

** قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: ما شيء أذهب لعقول الرجال من الطمع.

** في حديث آخر أن عمراً وابن الزبير قالوا لكعب: ما يذهب العلم من صدور الرجال بعد أن علموه؟ قال: الطمع، وطلب الحاجات إلى الناس.

** وقال كعب: الصِّفا الزَّلَّال الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء: الطمع.

** قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: في اليأس الغنى، وفي الطمع الفقر، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء.

** قال عمرو بن عبيد: في المؤمن ثلاث خلال: يسمع الكلمة التي تؤذيه فيضرب عنها صفحاً كأن لم يسمعها، ويحبُّ للناس ما يحبُّ لنفسه، ويقطع أسباب الطمع من الخلق.

** قال أبو العتاهية:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أئى قنعت لكنت حرّاً

** قال ابن المبارك: ما الذلُّ إلا في الطمع.

** وقال غيره: ويح من غرّه الطمع، وتمادى به الولع.

** وقال بعض الحكماء: قلوب الجهال تستعبد بالأطماع، وتستترقُّ بالمنى، وتنال بالخدائع.

** أتى رجلٌ إلى خالد بن عبد الله القسريّ، فقال: أتكلم بجرأة اليأس، أم بهيبة الأمل؟ قال بل بهيبة الأمل. فسأله حاجةً فقضاها.

باب ذمّ السؤال

وحمدا ما جاء عن غير مسألة من النوال

** روى مسلم عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يُعطي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- العطاء فيقول له عمر أعطه يا رسول الله أفقر إليه مني فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ أَوْ تَصَدَّقْ بِهِ وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ) قَالَ سَالِمٌ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا وَلَا يَرُدُّ شَيْئًا أُعْطِيَهُ.

** وروى النسائي بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-؟ - فَرَدَدَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَقَدَّمْنَا أَيْدِيَنَا فَبَايَعَنَاهُ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ بَايَعْنَاكَ فَعَلَامَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةِ الْخُمْسِ، وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً أَنْ لَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا»

** قال ثوبان: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: " لا تسألوا الناس " قال: فما سألت أحداً شيئاً بعدها، فكان سوطه يسقط من يده، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه.

** ومن حديث مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطاء فرده عمر فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لَمْ رَدَدْتَهُ؟) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ خَيْرًا لِأَحَدِنَا أَنْ لَا يَأْخُذَ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّمَا ذَلِكَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ يَرْزُقُكَ اللَّهُ) فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَمَا وَاللَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا وَلَا يَأْتِينِي شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ إِلَّا أَخَذْتُهُ.

** قال أبو الدرداء: إن أحدكم يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن الله لا يخلق له ديناراً ولا درهماً، وإنما يرزق بعضهم من بعض، فإذا أعطي أحدكم شيئاً فليقبله، فإن كان

غنياً فليضعه في أهل الحاجة من إخوانه، وإن كان إليه فقيراً فليستعن به على حاجته ولا يردّ على الله رزقه الذي رزقه.

** قال عبد الله بن عمر: ما يمنع أحدكم إذا أتاه الله برزق لم يسأله أن يقبله، فإن كان غنياً عاد به على أخيه، وإن كان محتاجاً كان رزقاً قسمه الله له.

** وفي مسند أحمد قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّهُ مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ، فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرٍ جَهَنَّمَ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: (مَا يُغْدِيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ)

** وقيل: من كان لا بدّ سائلاً فليسأل الصّالحين، أو ذا سلطان، أو في أمر لا يجد منه بدأً.

** رفع الواقدي -رحمه الله- إلى المأمون رقعة، فوقع فيها المأمون: إنك رجلٌ فيك خلّتان: سخاءٌ وحياءٌ، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك، وأما الحياء فهو الذي منعك من أن تطلعنا على ما أنت عليه، وقد أمرنا لك بثلاثة آلاف درهم. فان كنا أصبنا إرادتك فذاك، وإن لم نكن فبجنايتك على نفسك، وأنت حدثني وأنت على قضاء الرشيد، عن محمد بن إسحاق، عن الزُّهري، عن أنس، أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال للزُّبير: (يا زبير! إن مفاتيح الرزق، بإزاء العرش، ينزل الله للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كثّر كثر له، ومن قلّ قلّ له). قال الواقدي: فقلت له: يا أمير المؤمنين! قد نسيت هذا الحديث، فكان تذكارك إياي له أعجب إليّ من الجائزة.

** وحج هارون الرشيد، فأرسل إلى سفيان بن عيينة فأمره أن يحدث بنيه، فقال يا أمير المؤمنين قد سألتني الناس فامتنعت عليهم، ولكني أجلس لبنيك وللناس، فقال: نعم. فلما جلس صاح به الناس: سألناك الجلوس لنا فأبيت علينا، فلما جاءك المال والجائزة جلست. فقال للمستملي: أنصتهم لي. فصاح المستملي: صه صه. فسكت الناس، فأخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم، وقال: حدثني الزهري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (ما شيءٌ أحل وأطيب من ثلاثة: صداق الزوجة، والميراث، وما أتاك الله به من غير مسألة، فإنه رزق ساقه الله إليك). والله ما

جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله، ولو وجّه إليّ شطر ماله لقبلته، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء.

** أشخص المنصور سواراً القاضي من البصرة إلى بغداد في شيء أراد أن يشافهه فيه، فمر بواسط، وفيها يحيى بن سعيد الأنصاري يتولى القضاء، فدلّ عليه، فقال له: ألك حاجة إلى أمير المؤمنين؟ قال: نعم يعني من القضاء. فقال سوار للمنصور إذ قدم عليه، وكلمه فيما أراد: يا أمير المؤمنين! الأنصار تعلم ما يجب في حقهم. قال: هيه. قال: يحيى بن سعيد تعفيه من القضاء. قال: قد أعفيتته. فلما انحدر سوار مرّ بواسط، فقال ليحيى بن سعيد: قد أعفأك أمير المؤمنين. فقال: لا جزاك الله خيراً عن صبية من الأنصار كانوا يقتاتون هذه الست مائة درهم في كل شهر. كأنه أراد أن يعرض ولا يحقق.

** كان الحسن البصري رحمه الله يقول: لا يردّ جوائزهم إلاّ أحمق أو مرء، وقد ذكرنا من رأى قبول جوائز السلطان من أئمة أهل العلم، ومن تورع عن ذلك منهم في كتاب «التمهيد» والحمد لله.

** قال مطرف بن الشخير: إذا كانت لأحدكم إليّ حاجة فليرفعها في رقعة ولا يواجهني بها، فإني أكره أن أرى في وجه أحدكم ذل المسألة. وقد روي عن يحيى بن خالد بن برمك مثل ذلك، وتمثل:

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضاً ولو نال الغنى بسؤال

وإذا السُّؤال مع النوال وزنته ... رجح السُّؤال وخفّ كلُّ نوال

** قال قيس بن عاصم: إياكم والمسألة، فإنها آخر كسب الرجل.

** دخل أعرابيٌّ على داود بن مزيد المهلبي، فقال: إني لم أصن وجهي عن مسألتك، فصن وجهك عن ردّي، وضعني من كرمك بحيث وضعتك من أملي فيك، قال: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، وهي أكثر من قدرك. قال: والله لئن جاوزت قدري فما بلغت قدرك.

قال أبو الفرج البيهقي:

ما الدُّلّ إلاّ تحمّل المنن ... فكن عزيزاً إن شئت أو فهن

وقال أعرابي:

إِنَّ الْمَسَائِلَ لِلرِّجَالِ مَذَلَّةٌ ... تَفْنَى مَنَافِعَهَا وَيَجْلِدُ عَارَهَا

باب انتظار الفرج

** يروى لأبي محجن الثقفي:

عسى فرج يأتي به الله إنه ... له كل يوم في خليقته أمر
عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى ... له فرجاً مما ألح به الدهر
إذا اشتد عسر فارج يسراً فإنه ... قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

** وقال الأضبط بن قريع:

لكل ضيق من الأمور سعة ... والمسي والصبح لا بقاء معه

** وقال آخر:

كن عن همومك معرضاً ... وكل الأمور إلى القضا

وابشر بخير عاجل ... تنسى به ما قد مضى

فلرب أمر مسخط ... لك في عواقبه الرضا

** كان يقال: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو.

** وقال محمد بن حازم الباهلي:

هون عليك فكل الأمر ينقطع ... وخل عنك عنان الهم يندفع

فكل هم له من بعده فرج ... وكل أمر إذا ما ضاق يتسع

إن البلاء وإن طال الزمان به ... فالموت يقطعه أو سوف ينقطع

** ذكر الطحاوي قال: حدثنا أحمد بن أبي عمران، قال: حدثنا أبو النصر أحمد بن

حاتم، قال: حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، قال: استعمل الحجاج أبي علي

بعض أعماله فنقم عليه فتوارى أبي عنه في بادية قومه وأنا معه، فبينما أنا في سحر من

الأسحار إذ مرّ راكب وهو يقول:

صبر النفس عند كل ملّم ... إن في الصبر حيلة المحتال

لا تضيق في الأمور ذرعاً فقد ... يكشف غمّاؤها بغير احتيال

ربما تجزع النفوس من الأمر ... له فرجة كحلّ العقال

قال: فقلت: ما ذاك؟ قال: مات الحجاج. فوالله ما أدري بأيهما كنت أشد فرحاً،
أبقوله مات الحجاج أم بقوله: فرجة.

باب الجدِّ والحدِّ

الجد: البخت والحظوة والرزق، والحد: المنع والدفع

** روى أحمد عن مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ يَعْنِي الْقُرْظِيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، يَخْطُبُ عَلَيَّ هَذَا الْمَنْبَرِ يَقُولُ: تَعَلَّمَنَّ أَنَّهُ: (لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ اللَّهُ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْهُ الْجَدُّ، مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) سَمِعْتُ هَذِهِ الْأَخْرُفَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى هَذِهِ الْأَعْوَادِ
** قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي: جَدُّكَ لَا كَدُّكَ.

** قالوا: أسعد الناس: من كان القضاء له مساعداً، وكان لذلك أهلاً، وأشقى الناس: من كان مشغولاً بلا دين ولا دنيا، ولم يثق بأحد لسوء ظنه، ولا وثق به أحدٌ لسوء فعله.

** قال أبو الأسود الدؤلي:

المرء يحمد سعيه من جدِّه ... حتى يزيّن بالذي لم يعمل
وترى الشَّقِيَّ إذا تكامل حدُّه ... يرمي ويقذف بالذي لم يفعل
** قيل لزياد: ما الحظُّ؟ قال: من طال عمره، ورأى في عدوه ما يسره فهو ذو

حظ.

** وكان يقال لا حظَّ إلا ما أشخص عنك ما تكره، وجلب إليك ما تحب.

** قال محمد بن أبي حازم الباهلي:

لا تعجبن لأحمقٍ ... نال الغنى من غير كدِّه
ولعاقِلٍ ما يستقلّ ... فكُلُّهم يسعى بجدِّه

** وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي:

وما لبَّ اللَّيْبُ بغير حظِّ ... بأغنى في المعيشة من فتيل
رأيت الحظَّ يستر عيب قومٍ ... وهيهات الحظوظ من العقول

وقال صالح بن عبد القدوس:

وليس رزق الفتي من حسن حيلته ... لكن جدودٌ بأرزاقٍ وأقسام

كالصَّيد يجرمه الرّامي المجيد وقد ... يرمي فيرزقه من ليس بالرّامي

** كتب كسرى إلى بُزْرَجْمَهْر وهو في الحبس: جنت لك ثمرة العلم أن صرت به
أهلاً للقتل. فكتب إليه بُزْرَجْمَهْر: أما ما كان معي الجد فقد كنت أنتفع بثمره العلم،
والآن إذ ولى عني الجدّ، فقد أنتفع بثمره الصبر.

** وقال حبيب الطائي:

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ... ويكدي الفتى في دهره وهو عالم

باب المال حمداً وذنماً

** روى أحمد بسند قوي عن أبي هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌ فِي حُبِّ اثْنَتَيْنِ: طُولِ الْحَيَاةِ، وَكَثْرَةِ الْمَالِ).

يعنى قلب الشيخ كامل الحب لطول الحياة للمال محتكم كاحتكام قوة الشباب في شبابه، وقيل وصفه بكونه شاباً لوجود هذين الأمرين فيه اللذين هما في الشاب أكثر، فيه من أنواع البديع «التوسيع» وهو الإتيان بمثنى وتفسيره بمفردين
** وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ).

[أحمد: صحيح]

قال ابن حجر: "وأحسن ما رأيت في هذا قول أحمد بن نصر الداودي: الفقر والغنى محنتان من الله يختبر بهما عبادة في الشكر والصبر كما قال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف: ٧] وقال تعالى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥] وثبت أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يستعيد من شر فتنة الفقر ومن شر فتنة الغنى. ثم ذكر كلاماً طويلاً حاصله أن الفقير والغنى متقابلان لما يعرض لكل منهما في فقره وغناه من العوارض فيمدح أو يذم والفضل كله في الكفاف لقوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} [الإسراء: ٢٩] وقال -صلى الله عليه وسلم-: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) وأما الحديث الذي أخرجه الترمذي: (اللهم احبني مسكينا وامتنى مسكينا الحديث) فهو ضعيف [فتح الباري بتصرف]

** وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي: الْمَالُ). [الترمذي: صحيح]

** وقال عليه السلام: (مَا ذُنُوبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرْفِ لِدِينِهِ).

** قال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة: يا بني عليكم بالمال واصطناعه، فإنه منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم.

** قال الحسن البصري: لكل أمة وثن يعبدونه، وصنم هذه الأمة الدينار والدرهم.
** وقال الحسن: إذا أردت أن تعلم من أين أصاب الرجل ماله، فانظر فيم أنفقه،
فإن الخبيث ينفق في السرف.

** قال أبو ذرّ: أموال الناس تشبه الناس، وعن أبي ذر أيضاً: إنما مالك لك، أو
للوارث أو للجائحة، فلا تكن أعجز الثلاثة.

** قال أئكثم بن صئفي: من ضعف عن كسبه اتكل على زاد غيره.
** قال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يكسب المال ليكفّ به وجهه، ويؤدّي
به أمانته، ويصل به رحمه.

** قالوا للمسيح: يا روح الله أخبرنا عن المال؟ فقال: المال لا يخلو صاحبه من
ثلاث خلال: إما أن يكسبه من غير حله، وإما أن يمنعه حقه، وإما أن يشغله إصلاحه
عن عبادة ربه.

** قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ.. ولكنّ التقيّ هو السعيد

** قال عمار الكلبي:

الفقر يزري بأقوامٍ ذوي حسبٍ ... وربما ساد جِبْسُ [اللئيم] القوم بالمال

** وفيه يقول:

أصون عرضي بمالي لا أدنّسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمال إن أودى فأجمعه ... ولست للعرض إن أودى بمحتال

** وقال حاتم الطائي:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

أماويّ إنَّ المال غادٍ ورائحُ ... ويبقى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ

** وقال آخر:

واطلب المال بحرصٍ ... وأسرع المشي إليه

كلُّ من كان غنياً ... سلّم الناس عليه

وإذا كان فقيراً ... فُقدَ البرُّ لديه

وثياب المرء أعوانٌ ... له بين يديه

** وقال آخر:

إذا قلَّ مال المرء قلَّ صفاؤه ... وضائق عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدري وإن كان حازماً ... أقدَّامه خيرٌ له أم وراؤه
إذا قلَّ مال المرء لم يرض عقله ... بنوه ولم يغضب له أولياؤه
فإن مات لم يفقد ولم يحزنوا له ... وإن عاش لم يسرر صديقاً بقاؤه

** وقال أبو اليقظان: ما ساد في الجاهلية مملق إلا عتبة بن ربيعة.

** قال إبراهيم النخعي: إنما أهلك الناس فضول الكلام وفضول المال.

** وقال النمر بن توبل:

خاطر بنفسك كي تصيب رغبةً ... إنَّ الجلوس مع النساء قبيح
فالمال فيه تجلَّةٌ ومهابةٌ ... والفقير فيه مذلَّةٌ وفضوح

** وقال آخر:

ويزري بعقل المرء قلَّةُ ماله ... تحمِّقه الأقسام وهو لبيب

** وقال الحرابي وهو أبو يعقوب:

العيش لا عيش إلا ما قنعت به ... قد يكثر المال والإنسان مفتقر

** وقال محمود الوراق:

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى ... ولم أر مثل المال أرفع للنذل

ولم أر عزّاً لامرئٍ كعشيرةٍ ... ولم أر ذلاًّ نأى عن الأهل

ولم أر من عدمٍ أضرَّ على الفتى ... إذا عاش بين الناس من عدم العقل

** وقال آخر:

الفقر يزري بأقوامٍ ذوي حسبٍ ... وقد يسود غير السيِّد المال

** وقال أبو العتاهية: والناس حيث يكون المال والجاه

باب جامع القول في الغنى والفقير

** روى الترمذي بسند حسن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟) فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعدّ خمساً وقال: (اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما أحب للناس ما أحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب).

** وروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)

** قال أوس بن حارثة: خير الغنى القناعة، وشر الفقر الضراعة.

** قال فضيل بن عياض: إنما الفقر والغنى بعد العرض على الله.

** أنشدنا الرياشي:

ما شقوة المرء بالإقتار تُقْتَرُهُ ... ولا سعادته يوماً بإكثار

إنَّ الشَّقِيَّ الذي في النَّارِ منزله ... والفوز فوز الذي ينجو من النَّارِ

** قال جعفر بن محمد: العز والغنى يجولان في الأرض، فإذا أصابا موضعاً يدخله التَّوَكُّلُ أوطناه.

** كان يقال: الشكر زينة الغنى، والعفاف زينة الفقر.

** وقالوا: حقُّ الله واجب في الغنى والفقر، ففي الغنى العطف والشكر، وفي الفقر العفاف والصبر.

** كان يقال: سوء حمل الغنى يورث مقتاً، وسوء حمل الفاقة يضع شرفاً.

** كان يقال: الغنى في النفس، والشرف في التواضع، والكرم في التقوى.

** قال الشاعر:

قد أنطق الدرهم بعد عيٍ ... أناساً طالما كانوا سكوتا

فما عادوا على جارٍ بخيرٍ ... ولا رفعوا لمكرمة بيوتاً

كذاك المال ينطق كلَّ عيٍّ ... ويترك كلَّ ذي حسبٍ صموتا

** وقال آخر:

نطقت مذ استفدت المال حتى ... كأنك عالمٌ ذلقُ اللسانِ

وشجّعك الذي قد كان قدماً ... يسميك الجبان ابن الجبانِ

** وقال حماد الراوية: أفضل بيت من الشعر قيل في الأمثال:

يقولون يستغني ووالله ما الغنى ... من المال إلا ما يعفُّ وما يكفي

** قال عبد الله بن الأهمم: من ولد في الفقر أبطره الغنى.

** كان يقال: خصلتان مذمومتان: الاستطالة مع السخاء، والبطر مع الغناء.

** كان يقال: لا تدع على ولدك بالموت، فإنه يورث الفقر.

** وقال آخر:

لعمرك إنَّ القبر خيرٌ من الفقر ... لمن كان ذا يسرٍ وعاد إلى عسر

ولعروة بن الورد:

دعيني للغنى أسمى فأبني ... رأيت الناس شرُّهم الفقيرُ

وأحقُّهم وأهوئهم عليهم ... وإن أمسى له كرمٌ وخيرُ

يباعده الخليل وتزدريه ... حليلته وينهره الصَّغيرُ

وتلقَى ذا الغنى وله جلالٌ ... يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليلٌ عيبه والعيب جَمٌ ... ولكن للغني ربُّ غفور

** وقالوا: بقدر ما يعطى الغنى من الإيسار، يعطى من الإجلال، وبقدر ما ينزل

بالفقر من فقر يذهب بهاؤه وتتضع منزلته، حتى يتهمه من كان يأمنه، ويسيء به الظن

من كان يثق به. ومحاسن الغني مساوي الفقير، إذا كان جواداً قالوا: مبذر، وإن كان لسناً

قالوا: مهذار، وإن كان شجاعاً، قالوا: أهوج، وإن كان حليماً صموتاً، قالوا: عيٌّ بليد،

وكل شيء هو للغني مدح هو للفقير ذم.

** قال الشاعر:

لعمرك إنَّ المال قد يجعل الفتى ... سنياً وإنَّ الفقر بالمرء قد يُزري

فما رفع النَّفس الدنيئة كالغنى ... ولا وضع النَّفس الكريمة كالفقر

** وقال أبو العتاهية:

أجلك قومٌ حين صرت إلى الغنى ... فكلُّ غنيٍّ في العيون جليل
إذا مالت الدنيا إلى المرء رغبْتُ ... إليه ومال النَّاس حيث يميل

** وقال ابن سعدان:

تقنَّع بما يكفيك والتمس الرِّضا ... فإنَّك لا تدري أتصبح أم تَمسي
فليس الغنى عن كثرة المال إنَّما ... يكون الغنى والفقر من قبل النَّفس

** وقال محمود الوراق:

لبست صروف الدَّهر كهلاً وناشئاً ... وجرَّبت حاله على العسر واليسرِ
فلم أر بعد الدِّين خيراً من الغنى ... ولم أر بعد الكفر شراً من الفقرِ

** ولحمود الوراق:

يا عائب الفقر ألا ترُدَّ جِرْ ... عيبُ الغنى أكثرُ لو تعتبرُ
من شَرَفِ الفقر ومن فضله ... على الغنى إن صحَّ منك النَّظر
أنَّك تعصي كي تنال الغنى ... ولست تعصي الله كي تفتقر

** وفي رواية أخرى:

أنَّك تعصي الله ترجو الغنى ... ولست تعصي الله كي تفتقر

** وقال بعض الحكماء في ذم الغنى: طالب الغنى طويل العناء، دائم النَّصب، كثير
التعب، قليل منه حظُّه، خسيس منه نصيبه، شديد من الأيام حذره، ثم هو بين سلطان
يرعاه، ويفغر عليه فاه، وبين حقوق تجب عليه، يضعف عن منعها، وبين أكفاء وأعداء
ينالونه ويحسدونه ويغنون عليه، وأولاد يملُّونه ويودون موته، ونوائب تعتريه وتخزنه.

** وقال الخليل بن أحمد:

ما أسمح الثُّسك بتسأل ... وأقبح البخل بذي المالِ
من كان محتاجاً إلى أهله ... هان على ابن العمِّ والحالِ
ما وقع الإنسان في ورطةٍ ... أزرى به من رقةِ الحالِ

** قيل لبعض الحكماء: ما بالناس نجد من يطلب المال من العلماء أكثر ممن يطلب العلم من ذوي الأموال؟ قال: لمعرفة العلماء بمنافع المال، وجهل ذوي الأموال بمنافع العلم.

** قال الشاعر:

ألم تر أنّ الفقر يزرى بأهله ... وإنّ الغنى فيه العلاء والتّجملُ

باب الدين

** روى مسلم عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبي قتادة أنه سمعه يحدث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقال رجل يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كيف قلت قال أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك). وفي رواية: (فإن جبريل سارني بذلك)

** وروى أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ)

** وروى أحمد -بسنده صحيح- عن سمرة، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- صلى الفجر، فقال: "هاهنا من بني فلان أحد؟" ثلاثا، فقال رجل: أنا، فقال: (إن صاحبكم محبوس عن الجنة بدينه).

** وقال -عليه السلام- بعد أن فتح الله عليه وأفاء الله على المسلمين: (من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ديناً فعلي) [الطبراني وفيه مقال]

وفي البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من ترك مالا فلورثته ومن ترك كالا فالينا)

وفي الترمذي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ضياعا فالني» [صحيح]

وفي رواية لأحمد: (من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضيعة فالني، وأنا ولي من لا ولي له، أفك عنه، وأرث ماله، والحال ولي من لا ولي له، يفك عنه، ويرث ماله)

[حديث جيد رجاله ثقات]

وروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل هل ترك لدينه فضلاً فإن حدث أنه ترك لدينه وفاءً صلى وإلا قال للمسلمين صلوا على صاحبكم فلما فتح الله عليه الفتح قال: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين فترك ديننا فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته)

** كان يقال: لا هم إلا هم الدين، ولا وجع إلا وجع العين.

** قال عمر بن الخطاب: إياكم والدين، فإن أوله هم وآخره حرب.

** قال جعفر بن محمد: المستدين تاجر الله في الأرض.

** قال عمر بن عبد العزيز: الدين وقْر [ثقل] طالما حملة الكرام.

** قال عمرو بن العاص: من كثر صديقه كثر دينه.

** قيل لمحمد بن المنكدر: أتحنجُ وعليك الدين؟! قال: الحج أقضى للدين. يريد

الدعاء فيه والله أعلم.

** كان يقال: الدين رق، فلينظر أحدكم أين يضع رقه.

** كان يقال: الأذلة أربعة: النمام، والكذاب، والفقير، والمديان.

** كان يقال: حرية المسلم كرامته، وذله دينه، وعذابه سوء خلقه.

** كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يعامل الناس بالعينه، فإذا

حلت دراهمه ركب حماراً يقال له شارب الريح، فيقف على غرمانه فيقول:

بنو عمنا أدوا الدراهم إنما ... يفرق بين الناس حبُّ الدراهم

وقال آخر:

فما شأن ديني إذ يحلُّ عليكم ... أرى الناس يقضون الديون ولا يقضى

لقد كان ذاك الدين نقداً وبعضه ... لمرضٍ فما أديت نقداً ولا عرضاً

ولكنما هذا الذي كان منكم ... أماني ما لاقت سماءً ولا أرضاً

فلو كنت تنوين القضاء لدينا ... لأنسات لي بعضاً وعجلت لي بعضاً

** كان يقال: الدين هم بالليل وذل بالنهار، وإذا أراد الله أن يذل عبده جعل في

عنقه ديناً.

باب الاقتصاد والرفق

** قال الله -عز وجل-: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} [الإسراء: ٢٩]

** وقال: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: ٦٧].. فهذا أدب الله تعالى.

** روى أحمد -بسند ضعيف- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ) أي: ما افتقر من أنفق قصداً، ولم يجاوزه إلى الإسراف. قاله السندي.

** كان يقال: ثلاثٌ من حقائق الإيمان: الاقتصاد في الإنفاق، والإنصاف من نفسك، والابتداء بالسلام.

** كتب بعض الصالحين إلى بعض إخوانه: كل مارده العقل، وناله الفضل فجميلٌ حسن.

** قال عبد الله بن عباس: الهدي الصّالح، والسّمّت الحسن، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة.

** قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفِقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ) [البخاري].

** وقال -صلى الله عليه وسلم-: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفِقَ)

** قال عمر بن الخطاب: لا يقل مع الإصلاح شيء، ولا يبقى مع الفساد شيء.
** قال المتلمس:

وإصلاح القليل يزيد فيه ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

** سئل بعض العلماء عن السكينة، فقال: هي السكون عما الحركة فيه، والعجلة لا يحمدها الله ولا يرضاها.

** قال الشاعر:

عليك بأوساط الأمور فإنّها ... نجاةٌ ولا تركب ذلولاً ولا صعباً

** وقال آخر:

لا تذهبن في الأمور فرطاً ... لا تسألن إن سألت شططاً.. وكن من الناس جميعاً

وسطاً

** قال أعرابي للحسن: يا أبا سعيد؟؟ علمني ديناً وسوطاً لا ذاهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً. قال له الحسن: أحسنت، خير الأمور أوسطها.

** قال محمود الوراق:

إني رأيت الصبر خير معولٍ ... في النَّابِاتِ لمن أراد مُعَوِّلاً
ورأيت أسباب القُنُوعِ منوطةً ... بعُرى الغنى فجعلتها لي مَعْقِلاً
فإذا نبا بي منزلٌ لا يُرْتَضَى ... جاوزته واخترت عنه منزلاً
وإذا غلا شيءٌ عليّ تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

** لبعض المتأخرين من البخلاء يوصي ابنه:

إذا ما كنت في بلدٍ غريباً ... وخفت من أن تبوء بغير مال
فلا تبسط يديك وكل قليلاً ... يفوتك كلُّ يومٍ في اعتدال
وذبَّ عن الدرّاهم كلَّ حينٍ ... وكثرتها وقيل في العيال
وقل في كل شيءٍ تشتهيه ... من الأشياء هذا الشيء غال
فترك المال للأعداء خيرٌ ... لربِّ المال من ذلِّ السُّؤال

** عن نصر بن علي الجهضمي قال: دخلت على أمير المؤمنين المتوكل فإذا هو يمدح الرفق فأطنب، فقلت: يا أمير المؤمنين أنشدني الأصمعي في الرفق. فقال هاته يا نصر، فقلت:

لم أر مثل الرفق في لينة ... أخرج العذراء من خدرها
من يستعن بالرفق في أمره ... قد يخرج الحية من جحرها

** قال سابق:

إنَّ التُّرُقَ للمقيم موافقٌ ... وإذا يسافر فالترُّقُ أوفق
لو سار ألف مدججٍ في حاجةٍ ... لم يلحقها إلا الذي يترُّق

باب السفر والاعتراب

** روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه فإذا قضى أحدكم همته فليعجل إلى أهله)

** وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: تلقوا الحاج ولا تشيعوهم.

** وروي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - [ومنهج من يرفعه] قال: من سعادة المرء أن تكون زوجته موافقة، وأولاده أبراراً، وإخوانه صالحين، وورثته في بلده الذي فيه أهله.

** مكتوب في التوراة: ابن آدم؟ أحدث سفراً أحدث لك رزقاً.

** قالت العرب: من أجذب انتجع.

** قيل لأعرابي أين منزلك؟ قال: بحيث ينزل الغيث.

** من أمثال العامة: البركات مع الحركات.

** وقالوا: ربما أسفر السفر عن الظفر.

** قال البحري:

وإذا الزمان كساك حلّة معدم.. فالبس لها حلل النوى وتغرب

ونوى الشيء: جد في طلبه

** وقال آخر:

إنّ الغريب بأرض لا عشير بها... كبائع الرّيح لا يعطى به ثنا

** وقال سابق:

لا ألفينك ثاوياً في غربة... إنّ الغريب بكلّ سهم يُرشق

** وقال آخر:

فلم أر عزّ المرء إلاّ عشيرة... ولم أر ذلاًّ مثل نأي عن الأهل

** قالوا: ترك الوطن أحد اليسارين.

** قالوا: إذا كنت في غير بلدك، فلا تنس نصيبك من الذل.

** قالوا: الغريب كغرس ذابل ماتت أرضه، ونفد شربه.

** قال بعض العقلاء: أعرف بيتاً قد بيّت أكثر من مائة ألف رجل في المساجد،
وفي غير أوطانهم، وهو:

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تمش ذا يسارٍ أو تموت فتعدرا

** قال خالد بن صفوان: في السفر ثلاثة معان: الأول الغرم، الثاني القدرة،
والثالث الرحيل.

** كان يقال: فقد الأحبة غربة.

** وقال لبيد بن ربيعة:

لعمرك ما يدريك إلا تظنّياً ... إذا رحل السُّفار من هو راجعُ

لعمرك ماتدري الطَّوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطَّير ما الله صانعُ

** أراد أعرابي السفر فقال لامرأته - وقيل إنه الحطيئة -:

عُدِّي السنين لغيبتي وتصبّري ... وذري الشُّهور فإنَّهنَّ قصار

فأجابته:

اذكر صَبَابتنا إليك وشوقنا ... وارحم بناتك إنَّهنَّ صغار

فأقام وترك سفره.

** قال امرؤ القيس:

وقد طوّفت في الآفاق حتّى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

** وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلِي:

طربت إلى الأصبية الصِّغار ... وهاجك منهم قرب المزار

وكلُّ مسافرٍ يزداد شوقاً ... إذا دنت الدِّيار من الدِّيار

** قال عوف بن محمّل: عادت عبد الله بن طاهر إلى خراسان، فدخلنا الرُّي في

السحر فإذا قمرية تغرد على فنن شجرة، فقال عبد الله: أحسن والله أبو كبير في قوله:

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضرٌ ... وغصنك ميّاد ففيم نوح

ثم قال: يا عوف أجزها. فقلت: شيخ كبير، وحملت على البديهة، وهي معارضة أبي

كبير، ثم انفتح لي شيء، فقلت:

وَأَرْقِي بِالرَّيِّ نوح حمامةٍ ... فنحت وذو الشَّجو القريحِ ينوح
على أُمَّها ناحت ولم تَدُرْ عِبْرَةً ... ونحت وأسراب الدُّموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون أفراسي مهامه فيح
** كان يقال: من لم يرزق ببلدة فليتحول إلى أخرى.

** وقال آخر:

لا تصحبن رقيقاً لست تأمنه ... شرُّ الرِّفيق رقيقٌ غير مأمون
أنشد نبطويه:

خاطر بنفسك لا تقعد بمعجزةٍ ... فليس حرٌّ على عجزٍ بمعذورٍ
إن لم تنل في مقامٍ ما تطالبه ... فأبل عذراً بادلاجٍ وتهجيرٍ
لن يبلغ المرء بالإحجام همته ... حتَّى يباشرها منه بتغيير

** خرج الشافعي الفقيه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في بعض أسفاره، فضمه الليل إلى
مسجد، فبات فيه، وإذا في المسجد قوم عوامٍ يتحدثون بضروب من الخنا وهجر المنطق،
فتمثل:

وأنزلي طول النوى دار غربةٍ ... إذا شئت لاقيت امرأةً لا أشاكله

** قال شريك: كان يقال: إن أنجى النَّاس من البلايا والفتن، من انتقل من بلدٍ إلى
بلد.

** قيل لبعضهم: أيُّ سفرٍ أطول؟ فقال: من كان في طلب صاحبٍ يرضاه، أو
درهمٍ حلالٍ يكسبه.

** قال حاتم الطائي:

إذا لزم النَّاس البيوت وجدتهم ... عماءً عن الأخبار خُرُقَ المكاسب

باب التحول عن مواطن الذل

** عَنْ حُدَيْفَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ» قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ» [الترمذي: صحيح]
** وقال المتلمس:

إِنَّ الهوان حمار البيت يألفه ... والحرُّ ينكره والفيل والأسدُ
ولا يقيم بدار الذلِّ يألفها .. إلاَّ الذليلان غير الحيِّ والوتد
هذا على الخسف مربوطٌ برُمَّته ... وذا يشجُّ فما يأوي له أحد
** أنشد أبو عبيد عن الأصمعي:

إذا كنت في دارٍ يهينك أهلها ... ولم تك مكبولاً بها فتحول
** وقال قيس بن الخطيم:

وما بعض الإقامة في ديارٍ ... يعيش بها الفتى إلاَّ بلاء
** وقال المغيرة بن حنبل:

وفي الدهر والأيام للمرء عبرةٌ ... وفي الأرض عن دار الأذى مُتَرَحِّحُ
** وقال الحسين بن الضحاك، أو أبو العتاهية:

هممٌ تقاذفت الخطوب بها ... فهرعن من بلد إلى بلد
** وقال أبو الفتح البستي:

وطول الماء في مستقرِّه ... يغيِّره لوناً وريحاً ومطعماً
** وقال أبو الفتح الشذوني:

إذا ما الحرُّ هان بأرض قومٍ ... فليس عليه في هربٍ جناحُ
وقد هنَّا بأرضكم وصرنا ... لقيَّ في الأرض تذروه الرِّيحُ
اللقي: ما طرح على الأرض لعدم قيمته
** وقال آخر:

وإذا الدِّيار تنكَّرت عن حالها ... فدع الدِّيار وأسرع التَّحويلاً

ليس المقام عليك حقاً واجباً ... في منزلٍ يدع العزيز ذليلاً

** وقال بشار بن برد:

وكنت إذا ضاقت عليّ محلةٌ ... تيمّمت أخرى ما عليّ تضيق
وما خاب بين الله والنّاس عاملٌ ... له في النّقى أو في المحامد سوق
ولا ضاق فضل الله عن متعقّفٍ ... ولكنّ أخلاق الرّجال تضيق

** وقال آخر:

خَلِطُ فهذا زمانٌ فيه تخليطُ ... والنّاس صنّفان محرومٌ ومغبوطُ
ولا تقم ببلادٍ لا انتفاع بها ... فالأرض واسعةٌ والرّزق مبسوطُ
ولا تكن غرّةً ترضى بغير رضى ... فإنّ رزقك عند الله مخلوطُ

** وقال آخر:

اصبر على حدث الزّمان فإنّما ... فرج الشّدائد مثل حلّ عقالٍ
وإذا خشيت تعذّراً في بلدةٍ ... فاشدد يديك بعاجل التّرحال
إنّ المقام على الهوان مذلّةٌ ... والعجز أضعف حيلة المحتال

** وقال يحيى بن حكم الغزال:

وإنّ مقامي شطر يومٍ بمنزلٍ ... أخاف على نفسي به لكثيرُ
وقد يهرب الإنسان من خيفة الردى ... فيدركه ما خاف حيث يسير

** ولي حين رحلت من إشبيلية:

وقائلةٌ مالي أراك مرحّلاً ... فقلت لها: صه واسمعي القول مجملاً
تنكّر من كنا نسرُّ بقربه ... وعاد رزُعافاً بعدما كان سلسلاً
وحقّ لجارٍ لم يوافقه جاره ... ولا لاءمته الدّار أن يترحّلا
بليت بخفضٍ والمقام ببلدةٍ ... طويلاً لعمرى مُخلقٌ يورث البلا
إذا هان حرٌّ عند قومٍ أتاهم ... ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلاً
ولم تضرب الأمثال إلّا لعالمٍ ... ولا عوتب الإنسان إلّا ليعقلاً

** وقال ابن حازم، أو ابن بسام:

وإن نبا منزلٌ بحرٍّ ... فمن مكانٍ إلى مكان

لا يلبث الحرُّ في مكانٍ ... ينسب فيه إلى هوان
الحرُّ حرٌّ وإن تعدَّت ... عليه يوماً يد الزَّمان
والنَّذل نذلٌ وإن تكفَى ... وصار ذا منطِقٍ وِشان
فاسترزق الله واستعنه ... فإنَّه خير مستعان

باب التوديع والفرق

** روى أحمد - بسند ضعيف - عن عبد الله بن عمر عن عمر - رضي الله عنه -
عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : أنه استأذنه في العمرة فأذن له، وقال: (يا أخي، لا
تنسنا من دعائك) وقال بعد في المدينة: (يا أخي، أشركنا في دعائك). فقال عمر: ما
أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس، لقوله: (يا أخي).
** وكان عبد الله بن عمر إذا ودع رجلا يقول: استودع الله دينك، وأمانتك،
وخواتم عملك.

** قال الشعبي: السنة إذا قدم رجل من سفر، أن يأتيه إخوانه فيسلموا عليه، وإذا
خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم ويغتنم دعائهم.
** ودع شعبة بن الحجاج رجلا خارجاً إلى الحج فقال له: أما إنك إن لم تعدّ اللحم
ذلاً، ولا السفه شرفاً، سلم حجك.
** ودع عبد الله بن المبارك رجلاً، فقال:

ونحن ننادي أنّ فرقة بيننا ... فراق حياة لا فراق ممات

** وقال آخر:

لم أنس يوم الرّحيل موقفها ... وطرفها في دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة ... تركتني هكذا وتنطلق

** أنشدني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله، قال أنشدني أبو بكر بن محمد ابن
عبد الله بن الصّيدلاني، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل الأخفش:

سقياً ورعيّاً وإيماناً ومغفرةً ... للباقيات علينا حين نرتحل
يبكي علينا ولا نبكي على أحدٍ ... نحن أغلظ أكباداً أم الإبل

** وقال آخر:

أحجاج بيت الله في أيّ هودجٍ ... وفي أيّ خدرٍ من خدوركم قلبي
أبقى نخيل الجسم في أرض غربةٍ ... وحاديكم يحدو بقلبي مع الركب

** وقال آخر:

أيا عجباً ممن يودّع إلفه ... يمدّ يداً نحو الفراق فيسرع
هممت بتوديع الحبيب فلم أطق ... فودّعته بالقلب والعين تدمع

** وقال آخر:

أقيم وتظعنين وأنت روحي ... وهل جسدٌ يعيش بغير روح
لئن كان الفراق غداً فإنّي ... سأحمل لا أشكُّ إلى ضريحي
تعالى بعد فرقتنا لنبكي ... فإنّي نائحٌ أبداً فنوحي

وهذا باب أكثر فيه أهل الظرف، فرأيت اختصار

** وقال آخر، وهو نبطويه:

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشّباب وفرقة الأحباب

** وقال أبو عوانة: كنت أجالس أبا العتاهية فأراد الخروج إلى مكة فودعني وقال:

إن نعش نجتمع وإلاّ فما ... أشغل من مات عن جميع الأنام

** قالت أعرابية لابن لها، وقد ودعته وهو يريد سفراً: امض مصاحباً مكلوفاً، لا

أشمت الله بك عدواً، ولا أرى محببك فيك سوءاً.

** ودع أعرابي رجلاً، فقال كبت الله لك كل عدوّ إلا نفسك، وجعل خير عمملك،

ما ولى أجلك.

باب الزيارة والعيادة

** في الموطأ قال مالك؛ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (إِذَا عَادَ الرَّجُلُ الْمَرِيضَ حَاضَ الرَّحْمَةَ. حَتَّى إِذَا قَعَدَ عِنْدَهُ قَرَّتْ فِيهِ أَوْ نَحَوَ هَذَا). [رواه مالك بلاغا وإسناده منقطع] شبه الرحمة بالماء إما في الطهارة أو في الشيوخ والشمول.

ورواه أحمد حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا هَالُلُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ - يَعْنِي الْحَبْطِيُّ - أَبُو هِشَامٍ، قَالَ: أَخِي هَارُونُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ حَدَّثَنِي قَالَ: أَتَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَمْرَةَ، إِنَّ الْمَكَانَ بَعِيدٌ، وَنَحْنُ يُعْجِبُنَا أَنْ نَعُودَكَ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (أَيُّمَا رَجُلٍ عَادَ مَرِيضًا، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ، غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ) قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الصَّحِيحُ الَّذِي يَعُودُ الْمَرِيضَ، فَالْمَرِيضُ مَا لَهُ؟ قَالَ: (تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ) [صحيح لغيره].

وقيل: "زر غباً تزدد حباً" .. الغبُّ: من أورد الإبل: أن ترد الماء يوماً وتدعه يوماً ثم تعود، فنقله إلى الزيارة وإن جاء بعد أيام ما يقال غبَّ الرجل إذا جاء بعد أيام. أخذه الشاعر فقال:

إذا شئت أن تقلى فزر متواتراً ... وإن شئت أن تزداد حباً فزد غباً

** قال خارجة بن زيد النحوي: دخلت على محمد بن سيرين بيته زائراً له فوجدته جالساً بالأرض، فألقى إليّ وسادة فقلت له: إني قد رضيت لنفسي ما رضيت لنفسك. فقال: إني لا أرضى لك في بيتي ما أرضى لنفسي، واجلس حيث تؤمر، فلعل الرجل في بيته يكره أن تستقبله.

** قال بشار:

لا تجعلن أحداً عليك إذا ... أحببته وهويته رباً
وصل الخليل إذا شغفت به ... واطو الزيارة دونه غباً
فلذاك خيرٌ من مواصلة ... ليست تزيدك عنده قرباً
لكن يملك ثم تدعو باسمه ... فيقول: ها، وطالما ليّ

** وقال آخر:

عليك بإقلال الزّيارة إنّها ... تكون إذا ما دامت إلى الهجر مسلّكا

فإني رأيت الغيث يُسأم دائماً ... ويُسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

** قال قيس بن سعد بن عبادة: أتى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زائراً

فوقف ببابنا.

** قال ابن المعتز:

وقف في الطّريق نصف الزّياره

** كان يقال: امش ميلاً وعد عليلاً، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثة

أميال، وزر في الله.

** قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (كان فيمن قبلكم رجل يزور أخاً له

في الله بقرية أخرى، فأرصد الله على مدرجه ملكاً فلما انتهى إليه قال له: أين تريد؟

قال: أريد قرية كذا. قال: وما حاجتك فيها؟ قال: زيارة أخ لي في الله. قال: وهل غير

ذلك؟ قال: لا. قال: فهل عليك من نعمة تريبها، أو تشكرها؟ قال: لا، إلا أنه أحبني

في الله فأحبهته فيه. قال: فإني رسول الله إليك، مخبرك أنه يحبك كما أحبت فيه).

** قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم أذن

لي فيها فزوروها فإنها تذكّر الآخرة، ولا تقولوا هجراً).

** كان سفيان بن عيينة يقول: لا تعمل الأقدام في الزيارة إلا إلى أقدارها، وينشد:

فضع الزّيارة حيث لا يزرى بها ... كرم المزور ولا يعاب الزّائر

** وقال العباس بن الأحنف:

يقرب الشّوق داراً وهي نازحة ... من عاجل الشّوق لم يستبعد الدّارا

أزورك لا أكافئكم بجفوتكم ... إنّ المحبّ إذا لم يُستزر زارا

باب العيادة أيضاً

** قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ).
[أحمد، صحيح]

** وفي رواية مسلم: (عائد المريض في مخرفة الجنة حتى يرجع) المخرفة: هي سكة بين صفيين من نخل يجترف من أيهما شاء. أي يجتني، وقيل: المخرفة الطريق. أي أنه على طريق تؤديه إلى الجنة.

** وقال عليه السلام: (عائد المريض يخوض الرحمة، فإذا قعد عنده غمرته). [تقدم
تخرجه]

** قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (من حقّ المسلم على المسلم أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض ويشمته إذا عطس، ويشيع جنازته إذا مات ويجيبه لطعامه إذا دعاه).

** وقال طاووس: "أفضل العيادة أخفها".

** وذكر أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن الحجاج - يعني بن أرتاة - عن المنهال عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: "من دخل على مريضٍ لم تحضر وفاته، فقال: أسأل الله العظيم، ربَّ العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات شفي".

** قال عبد الله بن مصعب الزبيري:

مالي مرضت فلم يعدني عائداً ... منكم ويمرض كلبكم فأعود
فسمي عائداً الكلب.

** وللشافعي الفقيه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وقد اشتكى بمصر شكوى عاده فيها بعض إخوانه، فلمسوا جبينه، وقالوا له: أنت بخير ونحو هذا، فقال:

أقول لعائدي وشجعوني ... وغرهم فتور حمي جبريني
تعزوا بالتصبر عن أخيكم ... فضجوا بالبكاء وودعوني
فلم أدع الأنين لقل سقمي ... ولكي ضعفت عن الأنين

سأصبر للحمام وقد أتاني ... وإلاّ فهو آتٍ بعد حين
وإن أسلم يمت قبلي حبيبٌ ... وموت أحبّي قبلي يسوني

باب الحجاب

** قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (من ولي من أمور الناس شيئاً فاحتجب عن حاجتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة وعن حاجته، وخلصته وفاقته).
[صحيح أبي داود والترمذي بنحوه]

الخلعة - بالفتح الفقر وفي المثل: الخلعة تدعو إلى السلة. أي الفقر يدعو إلى السرقة. واختلف في اتخاذ الحجاب للحاكم فمنعه الشافعي وأجازه آخرون. وقال جماعة يستحب لدفع الأشرار ومنع المستطيل وترتيب الخصوم، ودوامه مكروه أو حرام إن تعطل الفصل بين الناس.

** وفي مسند أحمد حدثني أبو حسن، أن عمرو بن مرة قال لمعاوية: يا معاوية، إني سمعت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: (ما من إمام أو وائل يغلق باباً دون ذوي الحاجة والخلعة والمسكنة، إلا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وخلصته ومسكنته). قال: فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس.

** حجب معاوية أبا الدرداء يوماً وحبسه عند بابه، فقيل له: يا أبا الدرداء! ويفعل هذا بك وأنت صاحب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ فقال: من يأت أبواب السلطان يقيم ويقعد.

** حجب أعرابي عند باب سلطان فقال:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولن يكرم النفس الذي لا يهينها

** حدثني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبيد الله الصيّدلاني، قال: حدثنا علي بن سليمان الأخفش، قال: أنشدني بعض أصحابنا:

في كل يوم لي ببابك وقفَةٌ ... أطوى إليها سائر الأبواب

فإذا جلست وغبت عنك فإنه ... ذنب عقوبته على البواب

** استأذن أبو سفيان على عثمان - رضي الله عنه -، فأبطأ إذنه، فقيل حجبتك أمير المؤمنين؟ فقال: لا عدمت من قومي من إذا شاء حجب.

** قال زياد لحاجبه: يا عجلان! إني ولّيتك ما وراء بابي، وعزلتك عن أربعة: طارق الليل فشرّ ما جاء به، وخبر رسول صاحب الثغر فإنه إن تأخر ساعة أبطل عمل سنة، وهذا المنادي الصلّاة وصاحب الطعام فإنّ الطّعام إذا أعيد عليه التّسخين فسد.

** قال مروان لابنه عبد العزيز - حين ولّاه مصر - يا بنيّ مر حاجبك يخبرك من حضر بابك كلّ يوم، فتكون أنت تأذن وتحجب، وآنس من دخل عليك بالحديث فينبسط إليك، ولا تعجل بالعقوبة إذا أشكل عليك الأمر، فإنّك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها.

** وكان يقال: لا تقم على باب حتى تدعى إليه.

** أقام رجل على باب كسرى سنة، فلم يؤذن له، فقال له الحاجب: اكتب كتاباً وخففه أوصله لك. فقال: لا أزيد على أربعة أسطر، فكتب في السطر الأول: الأمل والضرورة أقدماني عليك، وفي السطر الثاني: ليس مع العدم صبر على الطلب، وفي السطر الثالث: الرجوع بلا فائدة شماتة الأعداء وفي السطر الرابع: إما نعم مثمرة، وإما لا مؤنس. فوقع كسرى تحت كل سطر بأربعة آلاف درهم، فانصرف بستة عشر ألف درهم.

** قال بعض الأكاسرة لحاجبه: لا تحجب عني أحداً إذا أخذت مجلسي فإن الوالي لا يحجب إلا عن ثلاث: عي يكره أن يطلع عليه، أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله، أو ريبة.

** وقد جمع منصور الفقيه هذا المعنى في أقل نظم، فقال:

وطول الحجاب مخبّر... عن عيّ صاحبه وبخله

فإذا الفتى لم يستبن... هذا تبين ضعف عقله

** قصد إبراهيم بن المهدي يحيى بن خالد فحجبه، فكتب إليه إبراهيم:

إني أتيتك للسلام ولم... أنقل إليك حاجة رجلي

فحجبت دونك مرّتين وقد... تشتدّ واحدة على مثلي

باب المصافحة وتقبيل اليد والفم

** كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، إذا صافح رجلاً لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده من يده.
** قال أبو مخلد: المصافحة تجلب المحبة.
** كان يقال: تحية المؤمنين المصافحة والسلام.
** قال الشاعر:

قد يمكث الناس دهوراً ليس بينهم ... ودُّ فيزرعه التسليم والُّطف

** لما حضر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بني قريظة، وأرادوا النزول على حكم سعد بن معاذ وكان قد تخلف بالمدينة لجرح أصابه بعث إليه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلما قدم عليه قال للأَنْصار: (قوموا إلى سيّدكم). [أحمد بسند صحيح]
** قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمَثَلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ). [أحمد بسند صحيح]

ومذهب الحديثين أنه جائز للرجل أن يكرم القاصد إليه إذا كان كريم القوم، أو عالمهم، أو من يستحق البرّ منهم بالقيام إليه أو يرضى بذلك منهم.
** تناول أبو عبيدة بن الجراح يد عمر ليقبّلها، فقبضها، فتناول رجله فقال: ما رضيت منك بتلك فكيف بهذه!!

** دخل عقّال بن شبة على هشام بن عبد الملك، فأراد أن يقبّل يده فقبضها، وقال: مه فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هلوع، ومن العجم إلا خضوع.
** قال الحسن: قبلة يد الإمام العدل طاعة.

** كان يقال: قبلة الرجل زوجته الفم، وقبلة الوالد ولده الرأس، وقبلة الأمّ الولد الخدّ، وقبلة الأخت الأخ العنق.

** قال عليّ بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: قبلة الوالد عبادة، وقبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة، وقبلة الرجل أخاه دين.

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ:
(لِكُلِّ بَنِي آدَمَ حَظٌّ مِنَ الزَّيْنِ، فَالْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا
الْبَطْشُ، وَالرَّجْلَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا الْمَشْيُ، وَالْفَمُّ يَزْنِي، وَزِنَاهُ الْقُبْلُ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى
وَيَتَمَتَّى، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ) [إسناده صحيح على شرط مسلم]

** قال الهيثم بن عديّ قال لي صالح بن حيّان: من أفقه الشعراء؟ فقلت: اختلف
في ذلك. فقال: أفقه الشعراء وضّاح اليمن، حيث يقول:

إذا قلت هاتي ناوليني تبسّمت ... وقالت معاذ الله من فعل ما حرم
فما نوّلت حتّى تضرّعت عندها ... وأعلمتها ما أرخص الله في اللّمم

باب الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

** ذكر ابن الأنباري عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، قال: الرّسول والرّسيل والرّسالة سواء.

** كان عبد الملك بن مروان إذا ولى رجلاً البريد، سأل عن صدقه وعفته وأمانته، وقال: إن كذبه يشكك في صدقه، وشوّه يحمّله على كتمان الحق، وعجلته تهجم به على ما يندمه ويؤثمه.

** قالوا: الرّسول قطعة من المرسل.

** قال عمرو بن العاص: ثلاثة دالّة على صاحبها: الرّسول على المرسل، والهدية على المهدي، والكتاب على الكاتب.
** قال صالح بن عبد القدوس:

إذا كنت في حاجةٍ مرسلًا ... فأرسل حكيمًا ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى ... فشاور لبيبًا ولا تعصه
** سمع الخليل بن أحمد رجلاً ينشد بيت صالح هذا:
إذا كنت في حاجةٍ مرسلًا ... فأرسل حكيمًا ولا توصه
فقال: هو الدرهم.

** وقال آخر:

وما أرسل الأقوام في حاجةٍ ... أمضى ولا أنفع من درهم
يأتيك عفواً بالذي تشتهي ... نعم رسول الرّجل المسلم
** وقال الراجز:

ما مرسلٌ أنجح فيما نعلم ... من طبقٍ يهدي وهذا الدرهم
** وقال منصور الفقيه:

أرسلت في حاجةٍ رسولاً ... يكنى أبا درهمٍ فتمت
ولو سواه بعثت فيها ... لم تحظ نفسي بما تمت

باب الهدية

** وروى أحمد عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ، وَلَوْ دُعِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَأَجَبْتُ) [إسناده صحيح]

** وروى أحمد عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَقُولُ: (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْفِرَنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةً) [إسناده صحيح] يعني الظلف

و** كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقبل الهدية، ويثيب عليها أفضل منها.

** وقال أبو هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: "الْهُدْيَةُ رِزْقٌ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ قَبِلَهَا فَإِنَّمَا يَقْبَلُهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ رَدَهَا فَإِنَّمَا يَرُدُّهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"

** قال رجل لأبي ذر: فلان يقرئك السلام. فقال: هدية حسنة، وحمل خفيف.

** وقال علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة.

** وعن الهيثم بن عدي، قال: كان يقال: ما ارتضى الغضبان، ولا استعطف السلطان ولا سلبت الشحناء، ولا دفعت المغارم، ولا توقّي المخذور، ولا استعمل المهجور بمثل الهدية والبر.

** قال يونس بن عبيد: أتيت ابن سيرين يوماً ومعني خبيص، فقلت: قولوا له: يونس بالباب. فقال - وأنا أسمع - قولوا له: قد نام. فقلت: إن معي خبيصاً. قال: كما أنت حتى أخرج إليك.

** قال الشاعر:

هدايا الناس بعضهم لبعض ... تولد في قلوبهم الوصالا

وتزرع في الضمير هوىً ووداً ... ويكسوهم إذا حضروا جمالا

** قال أبو عوانة: قلت للأعمش: يا أبا محمد! إن عندي بطة سمينة، أفتكون عندي في الدار؟ قال: وما تصنع بعنائي؟! ابعث بها إلى الدار.

** قال قتادة: يُعرف سَخف الرجل في سَخف هديته. قال ذلك في نعل أهديت إليه.

** وقال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: كانت الهدية فيما مضى هدية، أما اليوم فهي رشوة.

** وقال كعب الأحمار: قرأت فيما أنزل الله على بعض أنبيائه: الهدية تفتقأ عين الحكيم.

باب الجار

** روى أحمد في المسند عن عائشة، قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ، إِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: (إِلَى أَقْرَبِهِمَا بَابًا مِنْكَ) [إسناده صحيح]

** وفي البخاري عن أَبِي شُرَيْحٍ، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ)، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ). وفي رواية: (بَوَائِقُهُ) أي شروره وغوائله

** وفي البخاري عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (مَا زَالَ يُوصِيَنِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ). توقعت أن يأتيني بأمر من الله تعالى، يجعل الجار وارثاً من جاره كأحد أقربائه، وذلك من كثرة ما شدد في حفظ حقوقه والإحسان إليه.

** كان داود عليه السلام يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارٍ سَوْءٍ، عَيْنُهُ تَرَعَانِي، وَقَلْبُهُ لَا يَنْسَانِي.

** مكتوب في التوراة: إِنَّ أَحْسَدَ النَّاسِ لِعَالَمٍ وَأَنْعَاهُ عَلَيْهِ قَرَابَتُهُ وَجِيرَانُهُ.

** وقال عكرمة: أَزْهَدُ النَّاسِ فِي عَالَمٍ جِيرَانُهُ.

** قال رجل لسعيد بن العاص: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْبُبُّكَ. فقال له: وَلَمْ لَا تَحْبِبِّي وَلَسْتُ بِنَجَارٍ لِي وَلَا ابْنِ عَمٍّ.

** كان يقال: الْحَسَدُ فِي الْجِيرَانِ وَالْعَدَاوَةُ فِي الْأَقْرَابِ.

** روى يحيى بن يحيى الباجي، قال حدثني محمد بن الفضل المكي. قال حدثني أبي عن إبراهيم عن عبد الله، قال: مَرَّ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِقَيْنَةٍ تَغْنِي شَعْرَ مُسْلِمٍ:

أَنْتِ أَخْتِي وَأَنْتِ حَرَمَةٌ جَارِي... وَحَقِيقٌ عَلَيَّ حِفْظُ الْجَوَارِ

إِنَّ لِلْجَارِ إِنْ تَغَيَّبَ غَيْبًا... حَافِظًا لِلْمَغِيبِ وَالْأَسْرَارِ

مَا أَبَالِي أَكَانَ لِلْبَابِ سِتْرٌ... مَسْبِلٌ أَمْ بَقِي بَغِيرِ سِتَارِ

فقال مالك: علموا أهليكم هذا ونحوه.

** وعن مالك، أيضاً، قال مالك بن أنس، قال أبو حازم: كان أهل الجاهلية أحسن جواراً منكم، فإن قلت: لا. فبيننا وبينكم قول شاعرهم:

ناري ونار الجار واحدة ... وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضرَّ جاراً لي أجاوره ... ألا يكون لبيته ستر
أعمى إذا ما جارتني برزت ... حتى يوارى جارتني الخدر
قال أبو عمر: هذا الشاعر مسكين الدارمي.

** وقال آخر:

أقول لجاري إذ أتاني معاتباً ... مدلاً بحقٍ أو مدلاً بباطل
إذا لم يتصل خيري وأنت مجاوري ... إليك فما شرِّي إليك بواصل
** من كلام عليّ رحمه الله: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق، أخذه الشاعر فقال:

يقولون قبل الدار جارٌ مجاورٌ ... وقبل الطريق النهج أنس رفيق
** وقال آخر:

اطلب لنفسك جيراناً تجاورهم ... لا تصلح الدار حتى يصلح الجار
** وقال آخر:

يلوموني أن بعث بالرخص منزلي ... ولم يعرفوا جاراً هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فإنها ... بجيرانها تغلو الديار وترخص
** قال الحسن البصري رحمه الله: إلى جنب كل مؤمن، منافق يؤذيه.

** قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك.

** قال عليّ للعباس -رضي الله عنه- ما بقي من كرم أخلاقك؟ قال: الإفضال على الإخوان وترك أذى الجيران.

** كان يقال: ليس من حسن الجوار ترك الأذى، ولكنه الصبر على الأذى.

** قال منصور الفقيه يمدح بعض إخوانه من جيرانه:

يا سائلي عن حسينٍ وقد مضى أشكاله

أقل ما في حسينٍ ... كفُّ الأذى واحتماله

باب الضيف

** روى البخاري في الأدب المفرد عن المقدم أبي كريمة الشامي قال: قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفَنَائِهِ فَهُوَ دَيْنٌ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ، فَإِنْ شَاءَ اقْتَضَاهُ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ» [صححه الألباني]

** وفي رواية أحمد وعن المقدم بن معد يكرب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفَنَائِهِ مُحْرُومًا، كَانَ دَيْنًا لَهُ عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ اقْتَضَاهُ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ)

** وفي المعجم الكبير للطبراني عن المقدم بن معد يكرب قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ، فَإِنْ أَصْبَحَ مُحْرُومًا بِفَنَائِهِ وَجَبَتْ نُصْرَتُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَأْخُذُوا لَهُ بِحَقِّهِ مِنْ زَرْعِهِ وَضَرْعِهِ، لِمَا حُرِّمَهُ مِنْ حَقِّ الضَّيْفَةِ)

** وفي لفظ: (مَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ، فَلَهُ أَنْ يُعَقِبَهُمْ بِمِثْلِ قَرَاهِ). رواهما أحمد، وأبو داود بسند صحيح

** وفي البخاري عن أبي شريح العدوي قال: سَمِعْتُ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ). قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ).

** وفي رواية للبخاري عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلَا يَجِلُّ لَهُ، أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُجْرَجَهُ). (يثوي) يقيم. (يجرجه) يضيق عليه، حساً ومعنى.

** قيل للأوزاعي: رجل قدّم إلى ضيفه الكامخ [إدام خصه بعضهم بالمخللات التي تستعمل لتشهي الطعام] والزيتون، وعنده اللحم والعسل والسمن؟ فقال: هذا لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

** قال أبو ذؤيب:

لا درّ درّي إن أطعمت نازلهم ... خبز الشعير وعندي البرّ مكنوز

** قال نافع: كان ابن عمر إذا نزل على قوم لا يأكل لهم شيئاً فوق ثلاث، ويقول بعد الثلاث: أمسكوا عنا صدقتكم، ويقول لي: أنفق من عندك.

باب المعروف

** في البخاري عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - ما، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ).

(المعروف) اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب إليه، وكل ما ندب إليه الشرع من وجوه الإحسان، وترك ما نهى عنه من القبائح.
(صدقة) له أجر صدقة.

** وقال البخاري حدثنا سعيد بن أبي بريدة بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه، عن جدّه قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ). قالوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ). قالوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: (فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ). قالوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: (فليأمر بالخير، أو قال: بالمعروف). قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: (فليمسك عن الشرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ).

** وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ). [البخاري]

** وروى أحمد عن أبي السليل، عن أبي تيممة الهجيمي قال إسماعيل مرة: عن أبي تيممة الهجيمي عن رجل من قومه، قال: لقيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض طرق المدينة، وعليه إزار من قطنٍ مُنْبَتَرٍ [وفي بعض النسخ منتشر] الحاشية، فقلت: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: " إِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ تَحِيَّةَ الْمَوْتَى، إِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ تَحِيَّةَ الْمَوْتَى، إِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ تَحِيَّةَ الْمَوْتَى، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ " مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا هَكَذَا. قَالَ: سَأَلْتُ عَنِ الْإِزَارِ، فَقُلْتُ: أَيْنَ أَتَزَرُّ؟ فَأَقْنَعَ ظَهْرَهُ بِعَظْمٍ سَاقِهِ، وَقَالَ: " هَاهُنَا أَتَزَرُّ، فَإِنَّ أَبَيْتَ فَهَاهُنَا أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ أَبَيْتَ فَهَاهُنَا فَوْقَ الْكَعْبَيْنِ، فَإِنَّ أَبَيْتَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُحْتَالٍ فَخُورٍ "

قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَعْرُوفِ، فَقَالَ: " لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ صِلَةَ الْحَبْلِ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ شِسْعَ النَّعْلِ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تُنَحِّيَ الشَّيْءَ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ يُؤْذِيهِمْ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْطَلِقًا، وَلَوْ

أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنَّ تُؤْنِسَ الْوَحْشَانَ فِي الْأَرْضِ، وَإِنْ سَبَّكَ رَجُلٌ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فِيكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ فِيهِ نَحْوَهُ، فَلَا تَسْبَهُ فَيَكُونَ أَجْرُهُ لَكَ وَوَزْرُهُ عَلَيْهِ، وَمَا سَرَ أُوذُنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ، فَاعْمَلْ بِهِ، وَمَا سَاءَ أُوذُنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ فَاجْتَنِبْهُ " [إسناده صحيح]

** وفي رواية لأحمد عن جابر بن سليم، أو سليم بن جابر قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فإذا هو جالس مع أصحابه، قال: فقلت: أيكم النبي؟ قال: فإمّا أن يكون أوّماً إلى نفسه، وإمّا أن يكون أشار إليه القوم، قال: فإذا هو محتب برودة قد وقع هدبها على قدميه، قال: فقلت: يا رسول الله، أجفو عن أشياء، فعلمني. قال: " اتق الله، ولا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وإياك والمخيلة، فإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر يعلمه فيك، فلا تعيره بأمر تعلمه فيه، فيكون لك أجره وعليه إثم، ولا تشتمن أحداً." [حديث صحيح]

** رواية لأحمد أيضاً حدّثنا أبو جري الهجيمي، قال: أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: فقلت: يا رسول الله، إنّا قوم من أهل البادية، فعلمنا شيئاً ينفعنا الله به. قال: " لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تُكلم أخاك ووجهك إليه مُنْبَسِطاً، وإياك وتَسْبِيلَ الإزار، فإنه من الخيلاء، والخيلاء لا يُحبها الله وإن امرؤ سبَّك بما يعلم فيك، فلا تسبه بما تعلم فيه، فإن أجره لك ووباله على من قاله " [إسناده صحيح]

** وأيضاً قال أحمد عن أبي تيممة الهجيمي، عن رجل من بلهجين قال: قلت: يا رسول الله، إلام تدعو؟ قال: " أدعو إلى الله وحده، الذي إن مسك ضرر فدعوته، كشف عنك، والذي إن ضللت بأرض قفر فدعوته، ردّ عليك، والذي إن أصابتك سنة فدعوته، أنبت عليك " قال: قلت: فأوصني. قال: " لا تسب أحداً، ولا ترهدن في المعروف، ولو أن تلقى أخاك وأنت مُنْبَسِطٌ إليه وجهك، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وانتزرت إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة " [إسناده صحيح]

** وقال البخاري في «الأدب المفرد» عن قبيصة بن بُرمة الأسدي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: (أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ) [قال الألباني: صحيح لغيره]

** قال عيسى عليه السلام: استكثروا من شيء لا تمسه النار. قالوا: وما هو يا روح الله؟ قال: المعروف.

** قال عبد الله بن عباس: ما رأيت رجلاً أوليته معروفاً إلا أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيت رجلاً فرط إليه مني شيء إلا أظلم ما بيني وبينه.

** قال زيد بن علي بن حسين: ما شيء أفضل من المعروف ولا ثوابه ولا كلٌّ من رغب فيه يقدر عليه ولا كلٌّ من قدر عليه يؤذن له فيه، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن تمت السعادة للطالب والمطلوب منه.

** قال ابن عباس: المعروف أيمن زرع، وأفضل كنز، ولا يتم إلا بثلاث خصال: بتعجيله وتصغيره وستره. فإذا عجل هني، وإذا صغر فقد عظم، وإذا ستر فقد تمّم. قال بعضهم:

إنَّ ابتداء العرف مجدُّ باسقٍ ... والمجد كلُّ المجد في استتمامه

إنَّ الهلال يروق أبصار الورى ... حسناً وليس كحسنه لتمامه

** قال القاسم بن معن، قال رجل لعون بن عبد الله بن عتبة: ما السخاء؟ قال: التآني للمعروف. قال فما البخل؟ قال: الاستقضاء على الملهوف.

** قال ابن عباس: لا يزهّدنك في المعروف كفرٌ من كفر، فإنه يشكرك عليه من لم يصنعه.

** وكان يقال: في كل شيء سرفٌ إلا في المعروف.

** قال حبيب:

وإذا امرؤٌ أهدي إليك صنيعَةً ... من جاهه فكأثما من ماله

** كان يقال: لا يزهّدنك في المعروف دمامة من يسديه إليك، ولا ينبو بصرك عنه، فإن حاجتك في شكره ووفائه لا منظره، وإن لم يكن أهله فكن أنت أهله.

** قال الشاعر:

ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه ... فحلّو وأما وجهه فجميل

** كان يقال: من أسلف المعروف كان ربحه الحمد.

** قال عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: في كل شيءٍ سرفٌ إلا في ابتناء المكارم

أو اصطناع معروف، أو إظهار مروءة.

** كان يقال: كما يتوخّى للوديعه أهل الأمانة والثقة، كذلك ينبغي أن يتوخّى

بالمعروف أهل الوفاء والشكر.

** وكان يقال: إعطاء الفاجر يقوّيه على فجوره، ومسألة اللئيم إهانة للعرض،

وتعليم الجاهل زيادة في الجهل، والصنّيعه عند الكفور إضاعة النعمة، فإذا هممت بشيء

من هذا، فارتد الموضع قبل الإقدام على الفعل.

** مكتوب في التوراة: افعل إلى امرئ السوء خيراً يجزك شراً.

** كان يقال: صاحب المعروف لا يقع، فإذا وقع أصاب متكئاً.

** كان الحجاج بن يوسف يقول: خير المعروف ما أنعشت به الكرام.

** كان يقال: من لم يرب معروفه فكأنه لم يصطنعه.

** كان يقال: أحي معروفك بإماتته.

** كتب أرسطو طاليس إلى الإسكندر: املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة

منها، وطلبك ذلك منها بالإحسان أدوم بقاء لإحسانك منه باعتسافك، وأعلم أنك إنما

تملك الأبدان فتخطّها إلى القلوب بالمعروف، واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول،

قدرت على أن تفعل، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل.

** كان يقال: اتق أن يسدّ عنك طريق المعروف بالكفر أو بالمنّ، فإن المنّ يفسد

الصنّيعه والكفر يحوها، والشكر يحوها والشكر يجلب النعمة.

** قال الشاعر:

أفسدت بالمنّ ما أوليت من حسنٍ ... ليس الكريم بما أسدى بمنّان

** قال معاوية ليزيد: يا بني اتخذ المعروف منالا عند ذوي الأحساب تشتمل به

مودتهم، وتعظم في أعينهم، وتكف به عاديهم، وإياك والمنع، فإنه ضد المعروف.

** كان يقال: حصاد من يزرع المعروف في الدنيا، اغتباط في الآخرة.

** ذم أعرابي رجلاً، فقال: كان سمين المال، مهزول المعروف.

** قال الزهيري: من زرع معروفاً حصداً خيراً، ومن زرع شراً حصداً ندامة.

** قال الشاعر:

من يزرع الخير يحصد ما يسرُّ به ... وزارع الشرِّ منكوسٌ على الرَّأس

** قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف.

** ولابن دريد وقيل إنه أنشدها:

وما هذه الأيامُ معارةٌ ... فما اسطعت من معروفها فتزوّد

فإنك لا تدري بأيةِ بلدةٍ ... تموت ولا ما يحدث الله في غد

** قال بُرْجُمُهر: خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر، واحتسب فيه الأجر، وارتهن

فيه الشكر، واسترقّ فيه الحرّ.

** جمع كسرى مرابته وعيون أصحابه، فقال لهم: على أي شيء أنتم أشد ندامة؟

قالوا: على وضع المعروف في غير أهله، وطلب الشكر ممن لا يشكره.

** قال الشاعر:

وزهدني في كلِّ خيرٍ منعه ... إلى النَّاسِ ماجرت من قلةِ الشُّكر

** قال المهلب: عجبت لمن يشتري الممالك بماله، ولا يشتري الأحرار بمعروفه.

** وقال: ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام فأكرم حرّاً تملكه.

** قال المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

** قال عبد مناف: دواء من لم يصلحه الإكرام الهوان.

** وقال محمود الوراق:

فكّرت في المال وفي جمعه ... فكان ما يبقى هو الفاني

وكان ما أنفقت في أوجه ال ... برّ بمعروفٍ وإحسان

هو الذي يبقى وأجزى به ... يوم يجازى كلُّ إنسان

ومن فساد العرف إحصاؤه ... وذكره في كلِّ إبان

فانشر إذا أوليت عرفاً وإن ... أوليته فاستر بنسيان

باب الشكر

** روى أبو داود في سننه: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ، حَدَّثَنِي عُمَارَةُ بْنُ غَزِيَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ، مِنْ قَوْمِي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلَيجز به، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنْ شُرْحَبِيلَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَهُوَ شُرْحَبِيلُ يَعْنِي رَجُلًا مِنْ قَوْمِي كَأَنَّهُمْ كَرِهُوا فَلَمْ يُسَمُّوهُ» [صححه الألباني]

وقال الأرنؤوط: حديث حسن لغيره. وهذا إسناد ضعيف فيه رجل مبهم، وقد بينه أبو داود بإثر الحديث، فقال: هو شرحبيل، وشرحبيل هذا: هو ابن سعد الأنصاري، ضعفه غير واحد من الأئمة، لكنه يُعتبر به كما قال الدارقطني. وله طريق آخر حسن في المتابعات عند ابن عدي

** وفي سنن الترمذي عن أسامة بن زيد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ" [إسناده صحيح على شرط مسلم]

** وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ) [أحمد،

صحيح]

** وفي التفسير: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلًا مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ﴾

[سبأ: ١٣]. قالوا: الطاعات كلها شكر، وأفضل الشكر الحمد.

** وفي قوله في نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، قالوا:

كان لا يقوم، ولا يقعد، ولا يلبس ثوباً، ولا يأكل ولا يشرب إلا حمد الله، فأثنى عليه الله بذلك.

** مكتوب في التوراة: اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال

للنعم إذا شكرت، ولا مقام لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير.

** قال أبو نخيلة:

شكرتك إنَّ الشُّكرَ حبلٌ من التُّقى ... وما كلُّ من أوليته نعمةً يقضي
وأحييت من ذكري وما كنت خاملاً ... ولكن بعض الذكر أنه من بعض
** قال حذيفة بن اليمان: ما عظمت نعمة الله على أحد إلاَّ ازداد حقَّ الله عليه
عظماً.

** قال عروة بن الزبير: من لم يعرف سوء ما يبلى لم يعرف خير ما يولى.
** قال جعفر بن محمد: ما أنعم الله على عبد نعمة فعرّفها بقلبه وشكرها بلسانه
فما يبرح حتى يزداد.

** قال ابن عباس: لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه مثله.
** قيل لسعيد بن جبیر: المجوسيّ يوليني خيراً فأشكره؟ قال: نعم
** وقال آخر:

فلو كان يستغني عن الشُّكر ماجدٌ ... لعزّة ملكٍ أو علوّ مكان
لما ندب الله العباد لشكره ... فقال اشكروني أيُّها الثَّقَلان

** قال عمر بن عبد العزيز: ذكر النعمة شكر.
** قال جعفر بن محمد: من لم يشك الجفوة لم يشكر النعمة.
** قال سليمان التيمي: إن الله - عز وجل - أنعم على عباده بقدر طاقته، وكلفهم
من الشكر بقدر طاقتهم.

** قالوا: كلَّ شكر وإن قلّ، ثمّن لكل نوال وإن جلّ.
** كانت هند بنت المهلب تقول: إذا رأيتم النعمة مستدبرة فبادروها بالشكر قبل
حلول الزوال.

** قال أبو العباس المبرد: هذا معنى لطيف، يقول: إن الله عز وجل لا يحمد إلا
بتوفيقه، فيجب أن يحمد على التوفيق، ثم يجب في الحمد الثاني ما يجب في الحمد الأول
أبدأً إلى حيث لا نهاية، ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله:

إذا أنت لم تزد على كلّ نعمةٍ ... قد آتاها شكراً فليست بشاكر
** قال رجل من قريش لأشعب الطمع: يا أشعب! أحسنت إليك فلم تشكر!
فقال: إن معروفك خرج من غير محتسب إلى غير شاكر.

** قالوا: لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه.

** وقال آخر:

دنوت للمجد والسَّاعون قد بلغوا ... جهد النفوس وشدُّوا دونه الأزرا

وساوروا المجد حتَّى ملَّ أكثرهم ... وعانق المجد من وقي ومن صبيرا

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتَّى تلعق الصِّبرا

** قال جعفر بن محمد: ما من شيء أسرُّ إليَّ من يد أتبعها أخرى، لأنَّ مع الأواخر

يقطع لسان شكر الأوائل.

باب في طلب الحاجات

** روى أحمد: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، حَدَّثَنَا بُرَيْدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِنَّهُ سَأَلَهُ سَائِلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (اشْفَعُوا تُؤَجَّرُوا، وَلِيَقْضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ) [صحيح]

** وفي رواية لأحمد: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ ذُو الْحَاجَةِ، قَالَ: (اشْفَعُوا تُؤَجَّرُوا، وَلِيَقْضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ) وَقَالَ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَقَالَ: (الْحَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أَمَرَ بِهِ طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ). (اشفعوا) توسلوا في قضاء حاجة من طلب أو سأل. (تؤجروا) يكن لكم مثل أجر قضاء حاجته.

** وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم: إِنِّي أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ رَفَعْتَهَا إِلَى اللَّهِ قَبْلَكَ، فَإِنْ أَدْنَى اللَّهُ فِيهَا قَضَيْتَهَا وَحَمَدْنَاكَ، وَإِنْ لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ فِيهَا لَمْ تَقْضِهَا وَعَذْرُنَاكَ.

** قال معاوية يوماً لعمر بن العاص: لي إليك حاجة. قال: ولي إليك حاجة يا أمير المؤمنين. قال: تهب لي الوهط. قال: هو لك يا أمير المؤمنين. قال معاوية: اذكر حاجتك قال: ترده علي.

** قال جعفر بن محمد: حاجة الرجل إلى أخيه فتنة لهما، إن أعطاه شكر من لم يعطه، وإن منعه ذم من لم يمنعه.

** قال خالد بن صفوان: لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها، ولا تطلبوها في غير حينها، ولا تطلبوا مالا تستحقون منها، فإن من طلب مالا يستحق استوجب الحرمان.

** كان يقال: إذا طلب العاقل إلى كريم حاجة انقضت، لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن، والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع.

** كان يقال: إذا أحببت أن تطاع، فلا تسل مالا يستطاع.

** قال رجل للأحنف: أتيتك في حاجة لا تزرؤك ولا تنكؤك. قال: إذاً لا تقضى،
أمثلي يؤتي فيما لا يرزأ ولا ينكأ.

** قال رجل للعباس بن محمد، أو لعبد الله بن عباس: أتيتك في حاجة صغيرة،
قال: فاطلب لها رجلاً صغيراً.

** قيل لآخر: أتيتك في حاجة. قال: اذكرها، فإن الحرّ يقوم بصغير الحاجات
وكبيرها.

** كان يقال: لا تستعن على حاجة بمن هي طعمته، ولا تستعن بكذاب، فإنه
يقرب البعيد ويباعد القريب، ولا تستعن على رجل بمن له إليه حاجة.

** قال ابن المقفع: الحاجة يعتري صاحبها الخيفة من مكانين: الاستقبال بها قبل
وقتها، والثاني حتى تفوت، وأنشد:

وقد يفوت أناساً بعض ما طلبوا ... عند التأيي فكان الحزم لو عجلوا

** قال أبو فزارة الغاضري: أصل العبادة ألا تسأل سوى الله حاجة، فلكل أحد في
الله عوض من كل أحد، وليس لأحد من الله عوض بأحد.

** سأل رجل مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير حاجة، فقال: من كانت له إني حاجة
فليكتبها في رقعة، فإني أرغب بوجوهكم عن مكروه السؤال.

** كان يقال: لا تصرف حوائجك إلى من معيشته في رءوس المكايل والموازين.

** وقال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

أأطلب حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

كريم لا يغيّره صباح ... عن الفعل الجميل ولا مساء

إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرّضه الثناء

** وقال جرير يخاطب عمر بن عبد العزيز:

أذكر الضّرّ والبلوى التي نزلت ... أم أكتفي بالذي بلّغت من خبري

** كان يقال: من بكر يوم السبت في حاجة، كان حقاً على الله قضاؤها.

** قال بشار بن برد:

بكرًا صاحبي قبل السحور ... إنَّ جلَّ النَّجَاح في التّبكير

** قالوا: من صبر على حاجة ظفر بها، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له.
** الإلحاح لا يصلح ولا يحمل إلا على الله عز وجل. قال مؤرق العجلي: سألت
ربي حاجة عشرين سنة، فما انقضت لي ولا يئست منها.
** كان بنو يربوع يوصون أولادهم، فيقولون: استعينوا على الناس في حوائجكم
بالتثقيل فذلك أنجح لكم.
** سئل بعض الحكماء حاجة فامتنع، فعوتب في ذلك، فقال: لأن يحمر وجهي مرة
خير من أن يصفر وجهي مراراً.

باب السلطان والسياسة

** روى البخاري عن عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته). قال: وحسبت أن قد قال: (والرجل راعٍ في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته).

** عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (سبعة يُظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل) [البخاري]

** وفي سنن ابن ماجه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول: بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين) [حديث حسن]

** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلنا يديه يمين المقسطون على أهلهم، وأولادهم، وما أولوا). [صحيح ابن حبان]

** عن أبي سعيد -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أيما امرئ لم يحط رعيته بالنصيحة حرم الله عليه الجنة» [ترتيب الأمالي الخميسية للشجري]

** قال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-: لا يصلح هذا الأمر إلا شدة في غير عنف، ولين في غير ضعف.

** قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: لن يقيم أمر الناس إلا امرؤ حصيف العقدة بعيد الغور، لا يطلع الناس منه على غوره، ولا يخاف في الله لومة لائم.

** وعن عمر -رضي الله عنه- قال أيضاً: لا يقيم أمر الله إلا رجل يتكلم بلسانه كله، يخاف الله في الناس، ولا يخاف الناس في الله.

** ولعليّ بن أبي طالب في أول كتاب كتبه: أما بعد، فإنه أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشتري، وبسطوا الجور حتى اقتدي.

** قال مجاعة بن مرارة الحنفي لأبي بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه، ضاعت الأمور.

** قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: الملك والدين أخوان، لا غنى بأحدهما عن الآخر فالدين أس، والملك حارس فما لم يكن له أس فمهذوم، وما لم يكن له حارس فضائع.

** وفي سنن أبي داود قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (وَلَا يُؤْمُ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يُجْلَسُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [صحيح]

** كان يقال: شرّ الأمراء أبعدهم من العلماء وشر العلماء أقربهم من الأمراء.

** قال أبو بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما في يديه، ورغبه فيما يد غيره، وأشرب قلبه الإشفاق على ما عنده، فهو يحسد على القليل، ويتسخط على الكثير.

** وليّ عليّ بن أبي طالب عمّ المختار بن أبي عبيد عكبرا، وقال له بين يدي أهلها: استوف منهم خراجهم، ولا تجدن عندك ضعيفاً ولا رخصة. ثم قال له: رح إليّ، قال: فرحت إليه، فقال لي: قد قلت لك بين أيديهم ما قلت، وهم قومٌ خدعٌ، وأنا الآن آمرك بما إن قبلته وإلا أخذك الله به دوني، وإن بلغني خلاف ما أمرتك به عزلتك، لا تتبعنّ لهم رزقاً يأكلونه، ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا تضربن رجلاً منهم سوطاً في طلب درهم، ولا تقمه في السجن في طلب درهم، فإننا لم نؤمر بذلك، ولا تستعرو لهم دابة يعملون عليها، فإن أمرنا أن نأخذ منهم العفو.

** قال عمرو بن العاص لابنه: يا بني!! احفظ عني ما أوصيك به، إمام عدل خير من مطر وبل، وأسدّ حطوم خيرٌ من إمام ظلوم، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم.

** وفي رسالة أردشير بن بابك إلى الملوك بعده:

من أردشير ملك الملوك، إلى الملوك الكائنين بعده: الخراج عمود المملكة بكنفه تعيش الرعية، وتحفظ الأطراف والبيضة، فاختراروا للعمل عليه أولى الطينة الحرة، من ذوي العقل والحكمة، وكفّوهم بسني الأرزاق يحموا أنفسهم من الارتفاق، فما استغزر بمثل العدل، ولا استنزر بمثل الجور.

** ومن كلام الفرس في هذا الباب: لا ملك إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

** ومن قولهم أيضاً: مثل الملك الذي يأخذ أموال رعيته ويحجف بهم، مثل من يأخذ الطين من أصول حيطانه، فيطين به سطوحه فيوشك أن تقع عليه البيوت.

** ومن كلامهم أيضاً، وينسب إلى أرسطاطاليس: العالم بستانٌ سياجه الدولة، الدولة سلطان تحيه به السنة، السنة سياسة يسوسها الملك، الملك راع يعصده الجيش، الجيش أعوان يكنفهم المال، المال رزق تجمععه الرعية، الرعية عبيدٌ يتعبدهم العدل، العدل مألوفٌ وهو صلاح العالم.

** قال عبد الملك بن عمير: كان مكتوباً في مجلس زياد الذي يجلس فيه للناس بالكوفة، في أربع زوايا بقلم جليل: الوالي شديدٌ في غير عنف، لئن في غير ضعف، العطية لأربابها والأرزاق لأوقاتها، البعوث لا تجمر، المحسن يجازى بإحسانه، والمسيء يؤخذ على يديه. فكان كلما رفع رأسه قرأه.

** قال قتيبة بن مسلم: ملاك الأمر في السلطان: الشدة على المذنب، واللين للمحسن، وصدق القول.

** قال أشجع بن عمرو السلمي:

لا يصلح السلطان إلا شدة... تغشى البريء بفضل ذنب المجرم

** قال الوليد بن عبد الملك لأبيه عبد الملك: يا أمير المؤمنين! ما السياسة؟ فقال:

هيبة الخاصة مع شدة [ربما شدة] عفتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف منها.

** قال مسلمة بن عبد الملك: ما حمدت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز، ولا ذممتها

على مكروه ابتدأته بحزم.

** قال معاوية لابنه يزيد: أعط من أتاك صادقاً بما تكره، كما تعطي من أتاك بما تحب، واعلم أنه إذا أعطى الأمير على الهوى لا على الغنى فسد ملكه.

** قيل لأنوشروان: إنك اصطنعت فلاناً ولا نسب له. فقال: اصطناعنا له نسبه.

** قال أبو جعفر المنصور: الذي عليّ للرعية أن أحفظ سُبُلهم، فينصرفون آمنين في سبيلهم ولا يصدّون عن حجهم، وقضاء نسكهم، وأن أضبط ثغورهم، وأحصنها من عدوهم وأن أختار قضاةم، وأعزل بالحق كيلا يصل ظلم بعضهم إلى بعض، وأن أرفع أقدار فقهاءهم وعلماهم، وأكف جهالهم عن حكماهم.

** كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: صف لي الفتنة حتى كأني أراها رأي العين. فكتب إليه: لو كنت شاعراً لوصفتها لك في شعري، ولكني أصفها لك بمبلغ رأيي وعلمي، الفتنة تلقح بالنجوى، وتنتج بالشكوى، فلما قرأ كتابه، قال: إن ذلك لكما وصفت، فخذ من قبلك بالجماعة، وأعطهم عطايا الفرقة، واستعن عليهم بالفاقة، فإنها نعم العون على الطاعة، فأخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضى لسبيله.

** قال بعض الحكماء من ملوك الفرس، لحكيم من حكماء مملكته: أي الملوك أحزم؟ قال: من غلب جدّه هزله، وقهر لبّه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخذعه رضاه عن خطئه، ولا غضبه عن كيده.

** لما أراد عمرو بن العاص المسير إلى مصر، قال له معاوية: إني أريد أن أوصيك. قال: أجل. فأوص. قال: انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدها، وطغيان السفلة فاعمل في قمعها، واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع.

** قال بعض الحكماء: الرعية للملك كالروح للجسد، فإذا ذهب الروح فني الجسد.

** وروى الهيثم بن عديّ، عن مجالد، عن الشعبي، قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: دلّوني عن رجل أستعمله فقد أعياي أمر المسلمين. قالوا له: عبد الرحمن بن عوف، قال لهم: ضعيف، قالوا له: فلان. قال: لا حاجة لي به. قالوا: فمن تريد؟ قال:

رجل إذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم، وإذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم. قالوا: ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي. قال: صدقتم.

** قال أبو عمر: والربيع بن زياد هذا، كان فاضلاً جليلاً في قومه، ولأه معاوية خراسان، فاستكتب الحسن بن أبي الحسن فكان كاتبه، فلما بلغه قتل معاوية حجر بن عدي، قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل، فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات.

** كتب بعض ملوك العجم إلى ملك آخر منهم: قلوب الرعية خزائن ملوكها، فما أودعوها فليعلموا أنه فيها.

** قال الإسكندر لأرسطا طاليس: أوصني. قال: فانظر من كان له عبيد فأحسن سياستهم فوله الجند، ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله الخراج.

** وقال بعض الحكماء: لا تصغر أمر من جاء يحاربك، فإنك إن ظفرت لم تحمد وإن عجزت لم تعذر.

** قيل لكسرى ذي الأكتاف، وكان ضابطاً لمملكته: بم ضبطت ملكك؟ قال: بثمان خصال، لم أهزل في أمر ولا نهي، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً، ووليت للغنى لا للهوى، وعاقبت للأدب لا للغضب، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة من غير ضغينة، وملاؤها محبة من غير جراءة، وأعطيتها القوت، ومنعتها الفضول.

** قال عبد الملك بن عمير: سمعت زياداً وهو يخطب، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي ملكنا، ونذود عنكم بفيء الله الذي حوّلنا، فلنا عليكم الطاعة فيما أحسنًا، ولكم العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا بطاعتكم ومحض وِدنا بمناصحتكم، ومهما قصرت فيه من أداء حقكم فلن أقصر في ثلاث: لست محتجباً عن ذي حاجة ولو أتاني طارقاً بليل، ولا مجمراً لكم جيشاً، ولا حابساً عنكم عطاء ولا رزقاً لإبانة، فادعوا الله لأئمتكم بالصلاح، فإنهم ساستكم المذّبون وكهفكم الذي إليه تأوون، فإن تصلحوا يصلحوا، ولا تشعروا قلوبكم بغضتكم فيشتدّ غيظكم، ويطول حزنكم، ولا تدركوا حاجتكم، فإنه لو استجيب لكم فيهم كان شراً لكم، نسأل الله أن يعين كلاً على كل.

** كان يقال: ينبغي للملك أن يعمل بثلاث خصال: تأخير العقوبة عند الغضب، وتعجيل مكافأة المحسن بإحسانه، والعمل بالأناة فيما يحدث له، فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان: المسارعة إلى الطاعة، وفي الأناة انفساح الرأي وإيضاح الصواب.

** كان يقال: من سعى بدليل في التدبير لم يقعد به إلا سابق قضاء لا يملك.
ذكر المبرد قال: كان بعض عقلاء ملوك الفرس إذا شاور من قد رتبهم لمشورته فقصروا في الرأي، دعا الذين قد وكلهم في أرزاقهم فعاقبهم، فيقولون: يخطئ أهل مشورتك فتعاقبنا نحن. فيقول: نعم. إنهم لم يخطئوا إلا بتعلق قلوبهم بأرزاقهم فإذا اهتموا لحاجتهم أخطأوا.

** قال بعض الحكماء لبعض الملوك: أوصيك بأربع خصال ترضى بهن ربك، وتصلح معهن رعيتك: لا يغرّنك ارتقاء السهل إذا كان المنحدر وعراً، ولا تعدن وعداً ليس في يديك وفاؤه، واعلم أن الأمور بغتات فبادر، واعلم أن الأعمال جزاء، فاتق العذاب.

** قال زياد: كمال الرأي شدة في غير إفراط، ولين في غير إهمال.
** ضرب مصعب بن الزبير وجه الأسقف بالقضيب، فقال: إني أجد في الإنجيل: لا ينبغي للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يلتمس الحلم، ولا ينبغي له أن يكون جائراً ومن عنده يلتمس العدل.

** سألت بنو إسرائيل موسى -عليه السلام- أن يعرفهم الزمان الذي يرضى فيه الله عن الناس، فقال: إذا استعمل منهم الهين البر الحير.

** وفي خبر آخر: علامة رضا الله عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم، وأن ينزل الغيث في أوانه، وعلامة سخطه عليهم أن يولى عليهم شرارهم، وينزل عليهم الغيث في غير أوانه.

** قال معاوية لابن الكوّاء: صف لي الزمان، فقال: أنت الزمان إن تصلح يصلح، وإن تفسد يفسد.

** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ: السُّلْطَانُ، وَالْعُلَمَاءُ) [فوائد تمام، ولم أقف على تخريج له]

** قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: كُلَّ مَلِكٍ غَدُورٍ، وَكُلِّ دَابَّةٍ شَرُودٍ، وَكُلِّ امْرَأَةٍ خُنُونٍ.
** قَالَ الْأَعُورُ السَّلْمِيُّ: يَا مَعْشَرَ بَنِي سَلِيمٍ أَنْذِرْكُمْ السُّلْطَانَ فَإِنَّهُ أَصْبَحَ صَعْبًا حَنُوطًا [حنط الميت طيبه بالكافور] يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الصَّبِيَّ، وَيَفْتَرِسُ كَمَا يَفْتَرِسُ الْأَسَدُ.

** قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: لَقَدْ كُنْتُ أَمْشِي فِي الزَّرْعِ فَأَتَقِي الْجَنْدَبَ أَنْ أَقْتَلَهُ، وَإِنَّ الْحِجَاجَ الْيَوْمَ لِيَكْتَبُ إِلَيَّ بِقَتْلِ فَنَامٍ مِنَ النَّاسِ فَمَا أَحْفَلُ بِذَلِكَ.
** قَالَ بَعْضُ الْوَلَاةِ لِأَعْرَابِيٍّ: قُلِ الْحَقُّ وَإِلَّا أَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا، فَقَالَ وَأَنْتَ فَاعْمَلْ بِهِ، فَمَا تَوَعَّدَكَ اللَّهُ بِهِ أَشَدُّ مِمَّا تُوَعَّدُنِي بِهِ.

** قِيلَ لِمَلِكٍ زَالَ عَنْهُ مَلِكُهُ: لَمْ زَالَ عَنْكَ مَلِكٌ؟ قَالَ: لِمُدَافِعَتِي عَمَلِ الْيَوْمِ إِلَى غَدٍ.

** قَالَ ابْنُ شَبْرَمَةَ: مَنْ أَكَلَ مِنْ حَلْوَاتِهِمْ انْحَطَّ فِي أَهْوَائِهِمْ.
** قَالَ كَسْرَى لَوْزِيرِهِ: إِيَّاكَ أَنْ تَدْخُلَ عَلَيَّ كَثِيرًا فَأَمْلِكُ فَتَثْقُلَ عَلَيَّ حَوَائِجُكَ، وَلَا تَطُلُ الْغَيْبَةَ عَنِّي فَأَنْسَاكَ.

** قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ زَالَ عَنِ ابْصَارِ الْمَلُوكِ زَالَ عَنِ قُلُوبِهِمْ.
** قَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ: أَشَقَى النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ صَاحِبُهُ، كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ إِلَى النَّارِ أَسْرَعَهَا احْتِرَاقًا.

** قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْمُلُوكَ بِلَاءٌ حَيْثَمَا حَلُّوا ... فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَفْنَائِهِمْ ظُلٌّ
وَمَا تَرِيدُ بِقَوْمٍ إِنْ هُمْ سَخَطُوا ... جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضِيَتْهُمْ مَلُؤُوا
وَإِنْ مَدَحْتَهُمْ ظَنُّوكَ تَخَدَعَهُمْ ... وَاسْتَثْقَلُوكَ كَمَا يَسْتَثْقِلُ الْكَلُّ
فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَنِ أَبْوَابِهِمْ أَبَدًا ... إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلٌّ

** قالوا: السلطان كالنار، من تباعد منها لم ينل من دفتها شيئاً، ومن تقرب منها أحرقتة.

** ذكر أعرابي الملوك فقال: الملك أقرب ما تكون إليه أخوف ما تكون منه، شاهده يظهر حبك، وغائبه يبتغي غيرك.

** قال المأمون: لو كنت مع العامة لم أصحب السلطان.

** قال العباس بن محمد المنصور: يا أمير المؤمنين؟ إنما هو سيفك ودرعك، فادرع بدرعك من شكرك، واحصد بسيفك من كفرك.

** قالوا: لا تغتر بالأمير إذا غشك الوزير.

** ومنهم من قال: لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير.

** جلس معاوية يأخذ البيعة على الناس من عليّ. فقال رجل يا أمير المؤمنين إنا نطيع أحياءكم، ولا نبرأ من موتاكم. فالتفت معاوية إلى المغيرة بن شعبة فقال: رجل فاستوص به خيراً.

** كان يقال: إذا نزلت من الوالي بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الخنا والملق، ولا تكثرنّ له الدعاء في كل كلمة فإن ذلك يشبه الوحشة، وعظمه ووقره في الناس.

** قال الشعبي: أخطأت عند عبد الملك بن مروان في أربع: حدثني بحديث يوماً فقلت: أعده عليّ فقال: أما علمت أن أمير المؤمنين لا يستعاد. وقلت له حين أذن لي عليه: أنا الشعبي فقال: ما أدخلناك حتى عرفناك. وكنيت عنده رجلاً، فقال أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أمير المؤمنين. وحدثني بحديث فسألته أن يكتبه. فقال: إنا نكتب ولا نكتب.

وهذا الخبر عندي غير صحيح، لأن المحفوظ عن الشعبي أنه قال: ما استعدت حديثاً قط. ولا تشبه سائر الحكاية أخلاق الشعبي.

** قال الشعبي: قال لي عبد الملك جنبي ثلاثاً وأورد عليّ ما شئت، لا تطرني في وجهي، فأنا أعلم بنفسي، وإياك أن تغتاب عندي أحداً، واحذر أن أجد عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبداً.

وهذا مأخوذ من قول العباس لابنه عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.

** قال عبد الله بن عباس، قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنين -يعني عمر بن الخطاب- يدنيك دون أصحاب محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاحفظ عني ثلاثاً: لا يجدنّ عليك كذباً، ولا تغتابن عنده مسلماً، ولا تفشين له سرّاً. فقيل له: يا ابن عباس كل واحدة خير من ألف، فقال: كل واحدة خير من عشرة آلاف.

** قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لهي إذ ولاه الحمى: يا هني اضمم جناحك، واتق دعوة المظلوم.

** قال المهلب لابنه: يا بني اخفض جناحك واشتدّ في سلطانك، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن.

** كان يقال: ثلاثة من عازهم رجعت عزّته ذلاً، السلطان والوالد والعالم.

** كان يقال: أربعة تشتد معاشرتهم المتواني، والفرس الجموح، والسلطان الشديد المملكة والعالم.

** بصق عبد الملك يوماً فقصر بصاقه، فوقع فوق البساط، فقام رجل من المجلس يمسحه بثوبه. فقال عبد الملك: أربعة لا يستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والضيف، والدابة. وأمر للرجل بصلة.

** كتب إلى عمر بن عبد العزيز -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عامل له: إنّ مدينتنا قد احتاجت إلى مرّمة. فكتب إليه عمر: حصّن مدينتك بالعدل، ونقّ طريقها من الظلم.

** قال معاوية بن أبي سفيان: من وليناه من أمورنا شيئاً فليجعل الرفق بين الأمانة والعدل.

** قال محمد بن كعب القرظي: قال لي عمر بن عبد العزيز: صف لي العدل يا ابن كعب. قلت: بخٍ بخٍ، سألت عن أمر عظيم. كن لصغير الناس أباً، ولكبيرهم ابناً، وللمثل منهم أخاً، وللنساء كذلك، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتكون من العادين.

** كان يقال: ليس شيء أحسن عند الله من حلم إمام ورأفته.

** قال زياد لابنه عبيد الله يا بني: إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له، واصفح صفحاً جميلاً، ولا تريّن متهاكاً عليه، ولا منقبضاً عنه.

** قال مالك: قيل لأبي الدرداء: يرُدُّك معاوية، وأنت صاحب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فقال اللَّهُمَّ غَفِرًا. من يأت أبواب السلطان يقيم ويقعد.
** قال معاوية: لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي.

** قال معاوية يوماً، وقد ذكر من كان قبله: أما أبو بكر فهرب عن الدنيا، وهربت عنه. وأما عمر فأقبلت إليه وهرب منها، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابته منه، وأما أنا فقد داستني الدنيا ودستها.

** قال ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: سكت عن عليّ، وأنا أقول: وأما عليّ فأصابته الدنيا منه ولم يصب منها.

** وروي عن عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: إني لأستعمل الرجل، وأدع خيراً منه، وذلك أني أستعمله لأن يكون أنقص عيباً وأوسع رأياً، وأشدّ جرأة، وأصبر على الجوع والعطش.

** وقد روي هذا مرفوعاً إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

** كان يقال: يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحاً أحوج ما تكون الأرض إليه.

** قال المهلب: خير الولاية من كان في رعيته كأنه غائب عنها، وهو شاهد فيها وكان المحسن في أيامه آمناً والمسيء خائفاً.

** وقال بعض الحكماء الناس يحبون سلطانهم على الدين، والتواضع ولين الجانب، وينقادون لشدة الطيش.

** قال بعضهم:

ليس في كلّ ساعةٍ وأوان ... تنهياً صنائع الإحسان

فإذا أمكنت فبادر إليها ... حذراً من تعذُّر الإمكان

** كان زياد إذا أتى بصاحب زلة، أحرَّ عقوبته أياماً يسأل عن قضيته مخافة الزيادة

في العقوبة.

** صعد عبد الملك المنبر، فقال في خطبته: يا معشر رعيتنا سألتمونا سيرة أبي بكر وعمر، ولم تسيروا فينا ولا في أنفسكم سيرة رعية أبي بكر وعمر، ولكن نسأل الله أن يعين كلاً على كل.

** تعرّض رجل للحسن بن سهل، فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذي أحسنت إليّ عام كذا فقال الحسن: مرحباً بمن توسل إلينا بنا.

وهذا عندي مأخوذ من قول معاوية: أحب الناس إلي، من له عندي يد ثم أحبهم إليّ بعده من لي عنده يد.

** قال الشعبي: دخلت يوماً على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله، فقلت: أصلح الله الأمير، أنت على فعل مالم تفعل أقدر منك على ما فعلت، ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة. قال: صدقت يا شعبي. وأمر بالرجل إلى السجن.

** قال المأمون: تحتل الملوك لأصحابهم كل شيء إلا ثلاث خصال: القدح في الملك، وإفشاء الأسرار، والتعرض للحرم.

** روى ابن دريد، عن ابن أخي الأصمعي، عن عمه عن أبي عمرو بن العلاء أنه دخل على سليمان بن علي، فسأله عن شيء فصرفه عنه، فغضب سليمان بن علي فخرج أبو عمرو وهو يقول:

أنفت من العار عند الملوك ... وإن أكرموني وإن قرّبوا

إذا ما صدقتهم خفتهم ... ويرضون مني بأن يكذبوا

** قيل للعتابي: لم لا تخدم الأمير؟ أو لا تكتب للأمير، فقال: لأني رأيتني يعطي رجلاً ألف مثقال بلا خصلة، ويرمي آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنب، فلا أدري أي الرجلين أكون عنده، مع أن الذي أعطي في ذلك، أكثر من الذي آخذ - يريد مهجته - وركوب الغرر فيها معه.

** قيل لأعرابي: من أنعم الناس عيشاً؟ قال: من لم يعرف السلطان ولم يعرفه السلطان، وكان في كفاف وغنى.

وأما أهل الآخرة فطريقتهم الإعراض عنهم، وترك معاشرتهم.

** قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: حدثونا أن الحسن البصري نظر إلى قوم صحبوا السلطان واتسعت دنياهم، فقال: ما تنظرون إليهم، فوالله لئن كانوا من أهل الجنة لقد عجل لهم قليل من كثير ذخرهم، ولئن كانوا من أهل النار لقد أعطوا قليلاً من كثير صرف عنهم فأتاهم، فارحموا ولا تغبطوا.

** شكت الرعية بعض العمال، فارتضى العامل بسهل بن عاصم فسأله الأمير: فقال: ما في عاملك ما يشتكي إلا أن الله أمر بأمرين، امتثل فينا أحدهما وترك الآخر، قال الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}، فعدل فينا ولم يحسن إلينا، وفي العدل بغير إحسان عطب الرعية، فقال له الأمير: صدقت قد وليتك مكانه.

** ومن كلام ابن المعتز في هذا الباب:

لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خاشعة، وجسم متعب، ودين منثلم.

من شارك السلطان في عز الدنيا، شاركه في ذل الآخرة.

فساد الرعية بلا ملك، كفساد الجسم بلا روح.

إذا زادك الملك إيناساً فزده إجلالاً.

لا تلبس بالسلطان في وقت التباس الأمور عليه واضطرابها، فإن البحر لا يكاد

يسلم راكمه في حال سكونه، فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه.

ريح السلطان على قوم سموم، وعلى قوم نسيم.

الملك حقُّ الملك، من نشر أنواع الفضل وبسط أنواع العدل، وجانب المطامع

الرديئة، والمطامع الدنيئة.

** قال مطرف: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم،

وسوء منقلبهم.

** سئل رجل من بني أمية عاقل، فقيل له: أخبرنا عن أول شيء كان بدء زوال

ملككم، فقال: سألت فاسمع، وإذا سمعت فافهم. تشاغلنا عن تفقد ما كان تفقده

يلزمننا، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعها، وأبرموا أموراً أسروها عنا، فظلمت

رعبتنا، ففسدت نياتهم لنا، وجذب معاشنا فخلت بيوت أموالنا، وقل جندنا فزالت

هيبتنا، واستدعاهم أعداؤنا فظاهروهم علينا، وكان أكثر الأسباب في ذلك استتار
الأخبار عنا.

** أنشدني أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب لنفسه:

إذا ما الله شاء صلاح قوم ... أتاح لهم أكابر مصلحينا
ذوي رأيٍ ومعرفةٍ وفهمٍ ... وإعداد لما قد يحذرونا
فلم يستأثروا بكثير جمعٍ ... وكانوا للمصالح مؤثرينا
ويسرهم لفعل الخير فيما ... إليهم من أمور المسلمينا
وإن يشأ الإله فساد قومٍ ... أتاح لهم أكابر معتدينا
ذوي كبرٍ ومجتهلٍ وجبنٍ ... وإهمالٍ لما يتوقعونا
فظلوا يشرهن ويجمعونا ... وليسوا في العواقب يفكروننا
وجاروا حيثما أمروا بعدلٍ ... كأن قد قيل كونوا جائريننا
** وقال الأفوه الأودي:

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهَّاهم سادوا
إذا تولَّى سراة القوم أمرهم ... نما على ذاك أمر القوم وازدادوا
تلقي الأمور بأهل الرأي قد صلحت ... وإن تولت فبالأشرار تنقاد
[سراة القوم، خيارهم]

** من الأمثال في السلطان وصحبته

إذا رغب الملك عن العدل رغب الرعية عن الطاعة.
لا صلاح للخاصة مع فساد العامة، ولا نظام للدَّهْماء مع دولة الغوغاء.
الحكم ميزان الله في الأرض.
كلُّ الناس أحقاء بالسجود لله عزَّ وجلَّ، وأحقَّهم بالسجود لله والتواضع له من
رفعه الله عن السجود لأحد من خلقه.
كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان.
لا رحم بين الملوك وبين أحد.
للملوك بدوات.

الملك عقيم.
الملك يبقي على الكفر، ولا يبقي على الظلم.
سكر السلطان أشد من سكر الشراب.
السلطان كالنار: إن باعدتها بطل نفعها، وإن قاربتها عظم ضررها.
جاور ملكاً أو بحراً.
صاحب السلطان كراكب الأسد، يهابه الناس وهو لمركبه أهيب.
أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية.
السُّلطان كالسُّوق ما نفق فيها جلب إليها.
إن كان البحر كثير الماء فإنه بعيد المهوى.
السُّلطان إذا قال لعماله: هاتوا، فقد قال: خذوا.
الناس على دين الملك.
عفو الملوك أبقى للملوك.
من خدم السلطان خدمه الإخوان.
ثلاثة لا أمان لهم: السلطان والبحر والزمان.
من تحسنى مرقاة السُّلطان أحرقت شفتاه ولو بعد حين.
مثل أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلاً ثم وقعوا منه، فكان أبعدهم في المرتقى
أقربهم من التلف.

باب الكتاب والكتابة

** روى البخاري حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو: أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ) ** وروى أحمد بسند صحيح عَنْ عَمْرٍو بْنِ تَعْلَبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يَفِيضَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ، وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ، وَتَفْشُو التِّجَارَةُ).

** قال الحسن البصري: لقد أتى علينا زمان وإنما يقال: تاجر بني فلان وكاتب بني فلان، ما يكون في الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد، قال الحسن: لقد كان الرجل يأتي الحي العظيم فلا يجد به كاتباً.

** وفي الحديث المرفوع: " فشؤ القلم، وفشو التجارة من أشراط الساعة " يعني بقوله فشو القلم: ظهور الكتابة وكثرة الكتاب.

** وروى عن بعض أهل التفسير في قول الله عز وجل حاكياً عن يوسف عليه السلام: {اجعلي على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليمٌ}. قال كاتب حاسب.

** كتب لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جماعة منهم: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعلي وعثمان، وحنظلة الأسدي، ومعاوية، وعبد الله بن الأرقم، وكان كاتبه المواظب له في الرسائل والأجوبة زيد بن ثابت، وأمره رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يتعلم السريانية ليحيب عنه من كتب إليه بها، فتعلمها في ثمانية عشر يوماً.

** قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لكتابه عبيد الله بن أبي رافع: إذا كتبت فألن دواتك، وأطل من قلمك، وفرج بين السطور، وقارب بين الحروف.

** كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: إذا كتبت فارقوا الأقلام، وأقلوا الكلام واقتصروا على المعاني، وقاربوا بين الحروف، تكتفوا من القراطيس بالقليل.

** قالوا: القلم أحد اللسانين.

** قالوا: الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً.

** قال المأمون: الخط لسان اليد، وهو أفضل أجزاء اليد.

** قال بعض الملوك: للكاتب الناصح ثلاث خصال: رفع الحجاب عنه، وإتمام الوشاة عليه، ودفع غائلة العدو عنه.

** قال ابن القريّة: خط القلم يقرأ بكل مكان، وفي كل زمان، ويترجم كل لسان، ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان.

** قال أبو ساسان حزين بن المنذر: ما رأيت بارياً لا يقيم الخط إلا رأيته لا يقيم الشعر.

** قيل لنصر بن سيار: فلان لا يخطّ، قال: تلك الزمانة الخفية.

** قال بعض البلغاء: صورة الخط في الإبصار سواد، وفي الأنصار بياض، وهذا عندي مأخوذ من قول ابن المعتز: القلم يخدم الإرادة، ولا يمل الاستزادة، على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضيء.

** أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب غضب عليهم، فكتب إليه بعضهم من طريق السجن:

أطال الله عمرك في صلاح ... وعزّ يا أمير المؤمنين
بعفوك نستجير فإن تجرنا ... فإنك رحمة للعالمينا
ونحن الكاتبون وقد أسأنا ... فهبنا للكرام الكاتبينا

وذكر هذا الخبر الحارث بن أسامة في كتابه المعروف بكتاب الخلفاء، وفي أخبار المنصور: أن أحزاباً من الكتاب ترددوا في ديوان داره، فأمر بإحضارهم وتقدم من تأديبهم، فقال واحد منهم، وهو يضرب: أطال الله عمرك، وذكر الأبيات الثلاثة فعفا عنهم وأمر بتخليتهم.

** قال ابن القاسم: سئل مالك عن النصراني أيستكتب؟ قال: لا أرى ذلك، وذلك أن الكاتب يستشار، فيستشار هذا في أمور المسلمين!، ما يعجبني أن يستكتب.

** قال بعض الحكماء لبنيه: يا بني تزيوا بزّي الكتاب، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة.

** قدم كتاب أبي عبيدة على عمر بن الخطاب، وعنده أبو موسى، فقال له: يا أبا موسى! ادع كاتبك حتى يقرأ كتاب أبي عبيدة بالفتح. فقال: إنه لا يدخل المسجد. قال:

ولم، أجنبُّ هو؟ قال: لا. ولكنه نصرانيّ، فصاح عليه صيحة وانتهره، قال: عزمت عليك إلا عزلته، ثم قال: لا تقرّبوهم بعد أن أبعدهم الله، ولا تكرموهم بعد أن أهانهم الله، ولا تشاوروهم بعد أن جهّلهم الله، قال أبو موسى: فعزلته وطرّدته.

** قال أبو عمر رحمه الله: كيف يؤتمن على سر أو يوثق به في أمر، من دفع القرآن وكذب النبي عليه السلام.

** استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء، فأذن له، فلما دخل عليه رأى بين يديه رجلاً يهودياً كاتباً، كانت له منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته، فلما رآه الفقيه قال - وقد كان المأمون أوماً إليه بالجلوس - : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس قال: نعم، فأنشده:

إنَّ الَّذِي شَرِّفْت من أَجْلِهِ ... يَزْعَمُ هَذَا أَنَّهُ كاذِبٌ

وأشار إلى اليهودي، فخرّج المأمون ووجم، ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودي مسحوباً على وجهه، وأنفذ عهداً باطّراحه وإبعاده، وألاً يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله.

واسم الكتاب بالفارسية ديوان، أي شياطين، لحذقهم بالأموال ولطفهم، فسمي الديوان باسمهم.

باب الظلم والجور

** قال الله عز وجل: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]

** وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]

** وفي صحف إبراهيم عليه السلام: اتق دعوة المظلوم، فإنه لا أردّها، ولو كانت من كافر أقول: وعزتي وجلالي لأنصرتك ولو بعد حين.
** وقد روي من كلام علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "ما تبالي حسنت جوراً أو دخلت فيه، وفتحت عدلاً، أو خرجت منه".

** الظلم في وضع كلام العرب: وضع الشيء في غير موضعه، وأخذ المرء ما ليس له، ومن ذلك قولهم: "من أشبه أباه فما ظلم"، أي ما وضع الشبه في غير موضعه.
فكل مسيء ظالم، تقول العرب للمسيء المفرط في الإساءة: هذا أظلم من حية، وأظلم من ذئب.

** قال عمرو بن بحر: لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً، وهي تقصد كل بيت يصلح لها من بيوت الخشاش والهوام فيهرب أهله عنه ويحلونه لها خوفاً منها.
** ويقولون أيضاً: هو أظلم من ذئب، وأظلم من ورن، كما يقولون: أظلم من حية، وذلك أن الورل يقوى على الحيات كلها، ويأكلها أكلاً ذريعاً، وكل شدة يلقاها ذو جحر من الحية تلقى مثل ذلك من الورل، والورل ألطف بدناً من الضب، ولكنه أشد من الضب وأجود سلاحاً، وله شحمة والأعراب يستطيون لحم ذنبه، والورل دابة خفيفة الرأس والحركات ذاهباً وجائياً، ويميناً وشمالاً، وليس شيء بعد العطاء شيء أكثر تلفتاً منه، وبراشن الورل أقوى من براشن الضب، حكى ذلك كله عمرو بن بحر.

** قال: ومن أمثال العرب: من استرعى الذئب ظلم

** قال بعض الحكماء: أعجل الأمور عقوبة وأسرعها لصاحبها: سرعة ظلم من لا ناصر له إلا الله، ومجاورة النعم بالتقصير، واستطالة الغني على الفقير.

** روي عن مجاهد أنه قال: المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة.

** شهد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الجاهلية حرب الفجار، وظهرت العرب على الفرس يوم ذي قار، فسر بذلك رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأنهم كانوا فيها مظلومين.

فأما حرب الفجار فكانت بين بني عامر بن صعصعة وبين قريش، وذلك أن بني عامر بن صعصعة طالبوا أهل الحرم من قريش وكنانة، بجريرة البراض بن قيس في قتله عروة الرجال، وكان البراض خليعاً فاتكاً، فأقامهم إلى حربهم، فألزمهم ذنب غيرهم ظالمين لهم، فلذلك شهدها رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لأنهم دافعوا عن أنفسهم وديارهم وأموالهم، ونصروا بحضور النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكذلك نصرت العرب على فارس يوم ذي قار برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

** قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي: كانت وقعة ذي قار قبل وقعة بدر بأشهر، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالمدينة، فلما بلغه ذلك، قال: "هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم".

** قال هشام: حدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: ذكرت وقعة ذي قار عند النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: "ذلك أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم".

[قال ابن حجر في الإصابة: يوم ذي قار من أيام العرب المشهورة كان بين جيش كسرى وبين بكر ابن وائل، وذكر ابن الكلبي أنها كانت بعد وقعة بدر بأشهر، وساق الحديث عن أبي صالح عن ابن عباس، وقال في نهايته (وبي نصروا) والخبر أخرجه البخاري في الكبير عن خليفة عن محمد ابن سواء عن الأشهب. التاريخ الكبير]

** خرج الأضبط بن قريع السعدي من بني سعد، فجاور ناساً، فلما رأى مذهبهم وظلمهم لم يحمدهم ورجع إلى قومه، وقال: بكل واد بني سعد، فأرسلها مثلاً.
** ومن أمثالهم: من لم يكن ذئباً أكلته الذئاب، وكان الشعبي إذا تمثل بذلك يقول: ومن ذا الذي يرضى أن تأكله الذئاب.

** ولعبيد بن أيوب وكان قد تاب فظلم، فهم بمراجعة الضلال، فقال:

ظلمت الناس فاعترفوا بظلمي ... فتبت فأزعموا أن يظلموني

فلست بصابرٍ إلا قليلاً ... فإن لم يراعوا راجعت ديني

** قال زهير:

.. ومن لا يظلم النَّاسَ يظلم

** أخذه ابن دريد فقال:

من ظلم النَّاسَ تحاموا ظلمه ... وعزَّ عنه جانباه واحتمى

** وقال المتنبي:

والظُّلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عَقَّةٍ فلعلَّه لا يظلم

** وله أيضاً:

ومن عرف الأيام معرفتي بها ... وبالنَّاسِ روى رحمه غير راحم

وهذه الأخلاق أخلاق الفساق، ومن لم يتأدب بأدب القرآن، ولا استن بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة، وأين قول المتنبي من قول محمود الوراق:

إني وهبت لظالمي ظلمي ... وغفرت ذاك له على علمي

ورأيته أسدى إليّ يداً ... فأبان منه بجهله حلمي

** وله أيضاً:

اصبر على الظُّلم ولا تنتصر ... فالظُّلم مردودٌ على الظَّالم

وكل إلى الله ظلموماً فما ... ربي عن الظَّالم بالنَّائم

** وقال آخر:

نامت جفونك والمظلوم منتبّه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

** وقال آخر:

وما من يدٍ إلا الله فوقها ... ولا ظالمٌ إلا سبيلي بظالم

** وقال آخر:

تأنّ ولا تعجل وكن مترفقاً؟ ... وكن راحماً بالنَّاسِ تبلى براحم

** كان يقال: إذا دعتك الضرورة إلى ظلم من هو دونك فاذكر قدرة الله تعالى

على عقوبتك، فأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

** قال كعب لعمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ما: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، قال كعب: والذي نفسي بيده إنها كذلك إلا من حاسب نفسه ما بينهما حرف. يعني في التوراة.

** خرج عمر بن عبد العزيز يوماً، فقال: ما شاء الله! كان الوليد بن عتبة بالشام، والحجاج بالعراق وقرّة بن شريك بمصر، وعثمان بن حيّان بالحجاز، ومحمد بن يوسف باليمن، امتلأت الأرض ظلماً وجوراً.

** وقال أبو العتاهية:

أما والله إنَّ الظُّلمَ لَوُمٌّ ... وما زال المسيء هو الظُّلوم
إلى ديّان يوم الدّين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا ... غداً عند الإله من المعلوم
وكتب بها مع يحيى بن خالد بن برمك.

** قال الشاعر:

إذا جار الأمير وكاتباه ... وقاضي الأرض داهن في القضاء
فويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

باب العفو والتجاوز وكظم الغيظ

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا) [مسلم]

** وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ) [أحمد بسند صحيح]

** (وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ) [البخاري]

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ صَفِيٌّ وَخَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، صَاحِبُ هَذِهِ الْحِجْرَةِ: (مَا نُزِعَتِ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ) [مسند أبي يعلى بسند حسن]

** وَرَوَى أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: (ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَيَلْ لَأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيَلْ لِلْمُصْرَبِينَ الَّذِينَ يُصْرَبُونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

** وَفِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ): هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

** وَفِي الْأَثَرِ الْمَرْفُوعِ أَنَّهُ: "يَنَادِي الْمُنَادِي فِي بَعْضِ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ: لِيَقُمْ مَنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَا يَحْمَدُ لَهُ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مِنْ عَفَا."

** وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَقِيلُوا ذَوِي الْأَهْيَاتِ عَثْرَاتِهِمْ إِلَّا الْخُدُودَ). [أبو داود: صحيح]

** قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَفْضَلُ الْعَفْوِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ، وَأَفْضَلُ الْقَصْدِ عِنْدَ الْجُدَّةِ.

** قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ: لِأَنَّ يَخْطِئُ الْإِمَامُ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَخْطِئَ فِي الْعَقُوبَةِ.

** قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: لِأَنَّ أُنْدَمَ عَلَى الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُنْدَمَ عَلَى الْعَقُوبَةِ.

** طلب عبد الملك بن مروان رجلاً فأعجزه ثم ظفر به، فقال رجاء بن حيوة: يا أمير المؤمنين! قد صنع الله ما أحببت من ظفرك به، فاصنع ما أحبَّ الله من عفوك عنه.
** قال رجل للمنصور حين ظفر بأهل الشام، وقد أجلبوا عليه وخالفوه مع عبد الله ابن علي: الانتقام عدلٌ، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيين ولا يبلغ أرفع الدرجتين.
** كان يقال: أولى الناس بالعتو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

** قال المهلب بن أبي صفرة: خير مناقب الملوك العفو.
** قال المأمون: وددت أن أهل الجرائم عرفوا رأبي في العفو، فسلمت لي صدورهم.

** قال معاوية رحمه الله: ما وجدت شيئاً ألدَّ عندي من غيظٍ أتجرعه، ولم يعرف قيمة الأبهة من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ.

** اعتذر رجل إلى الهادي فقال: يا أمير المؤمنين! إقرارى بما ذكرت يوجب عليّ ذنباً لم أجنه، وردي عليك لا أقدم عليه لما فيه من التكذيب لك، ولكني أقول:
فإن كنت ترجو في العقوبة راحةً ... فلا تزهدن عند المعافاة في الأجر فعضا عنه.

** قال منصور الفقيه:

وقال نبينا فيما رواه ... عن الرحمن في علم الغيوب
محال أن ينال العفو من لا ... يمنُّ به على أهل الذنوب

** وقال آخر:

فهبني مسيئاً كالذي قلت ظالماً ... فعتفو جميل كي يكون لك الفضل

فإن لم أكن للعفو أهلاً لسوء ما ... أتيت به جهلاً فأنت له أهل

سئل ثعلب عن معنى: فهبني مسيئاً، قال: معناه اعددني مسيئاً.

** قال محمد بن علي بن حسين: من كظم غيظاً يقدر على إمضائه حشا الله قلبه إيماناً وروي هذا مرفوعاً إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

**ومما ينسب إلى عمرو بن العاص:

وبعض انتقام المرء يزري بعقله ... وإن لم يقع إلا بأهل الجرائم
وذكر ذنوب الوغد ترفع ذكره ... فدعه صريع النوم تحت القوادم

**وقال أعرابي:

يا ربّ قد حلف الأقبام واجتهدوا ... أيماهم أنني من ساكني النار
أيحلفون على عمياء ويجهم ... جهلاً بعفو عظيم العفو غفّار

باب الغضب

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:
(لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ). [مسلم]
** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
أَوْصِنِي، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ"، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ". [البخاري]
** أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: اذْكُرْنِي عِنْدَ غَضَبِكَ، اذْكُرْكَ عِنْدَ غَضَبِي، فَلَا أَحْمَقُ
فِي مَنْ أَحْمَقُ، وَإِذَا ظَلَمْتَ فَارْضَ بِنَصْرَتِي لَكَ، فَإِنَّهَا خَيْرٌ مِنْ نَصْرَتِكَ لِنَفْسِكَ.
** قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَبَاعِدُكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ أَلَا تَغْضَبُ.
** أَنشُدْ ثَعْلَبُ:

متى ترد الشفاء بكلِّ غيظٍ ... تكن ممَّا يغيظك في ازدياد

** قَالَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: أَعْطَيْنَا مَا أَعْطَى النَّاسَ وَمَا لَمْ يَعْطُوا،
وَعَلَّمْنَا مَا عَلَّمَ النَّاسَ وَمَا لَمْ يَعْلَمُوا، فَلَمْ نَرِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ،
وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَخَشْيَةِ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.
** قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إِنَّمَا يَعْرِفُ الْحَلْمَ سَاعَةَ الْغَضَبِ.
وعنه أيضاً: عدوُّ العقل الغضب.
** كَانَ يُقَالُ: أَوَّلُ الْغَضَبِ جَنُونٌ، وَآخِرُهُ نَدَمٌ وَلَا يَقُومُ عَزُّ الْغَضَبِ بِذَلِّ الْإِعْتِدَارِ.
** وَرَوَى: كُلُّ الْعَطْبِ فِي الْغَضَبِ.

** قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ: لِأَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ السَّرِيعُ الْغَضَبُ سَرِيعَ الْفَيْئَةِ، وَيَكُونُ بَطِيءَ
الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْئَةِ؟ قَالَ: لِأَنَّ الْغَضَبَ كَالنَّارِ فَأَسْرَعُهَا وَقُودًا أَسْرَعُهَا خُمُودًا.
وهذا الخبر أصح عن عبد الله بن حسن، حكاية عن كسرى، ذكره ابن عائشة
القرشي التيمي عنه. قال: قيل لعبد الله بن حسن: ما بال الرجل الحديد أسرع رجعةً من
البطيء؟ فقال: سئل كسرى عن ذلك، فقال: مثلهما مثل النار في الحطب، أسرعها
وقوداً أسرعها خموداً.

** أراد المنصور خراب المدينة لإطباق أهلها على حربته مع محمد بن عبد الله بن حسن، فقال له جعفر بن محمد: يا أمير المؤمنين! إن سليمان أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف قدر فغفر، وقد جعلك الله من قبيل الذين يعفون وبصفحون فطفئ غضبه وسكت.

** شهد سوار القاضي مجلس أبي جعفر المنصور يوماً فرآه قد غضب على أهل البصرة، فقال له: يا أمير المؤمنين! لا تغضب لله بما يغضب الله.

العرب تمدح بترك الغضب.

** كان يقال: من أغضبته أنكرته.

** قالوا: إذا غضب الرجل فليستلق، وإذا أعيا فليرفع رجله.

باب الرجاء والخوف

** عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، دَخَلَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ» [ابن ماجه وحسنه الألباني]

** قال أبو الدرداء: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل.

** قال مطرف بن عبد الله الشَّخِير: لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لا اعتدلا.

** قال لقمان لابنه: يا بني ارج الله رجاءٍ لا تأمن فيه مكره، وخف الله مخافة لا تأيسنَّ فيها من رحمته، فقال: كيف أستطيع ذلك، وإنما لي قلب؟ فقال يا بني! إن المؤمن كذي قلبين قلب يخاف به، وقلب يرجو به.

** قال علي بن أبي طالب: خذوا عني هذه الكلمات، فلو رحلتم فيها المطي حتى أنضيتموها لم تبلغوها: لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه.

** كان يقال: من خاف الله ورجاه آمنه خوفه، ولم يجرمه رجاءه.

** وقف محمد بن سليمان على قبر أبيه، فقال: اللهم إني أمسيت أخافك عليه وأرجوك له، فحقق رجائي، وآمن خوفي عليه.

** قال مسلم بن يسار: ما أدري فيم خوف امرئ ورجاؤه إذا لم يمنعه من ركوب شهوة إن عرضت له، أو لم يصبراه على مصيبة إن نزلت به.

** كتب بعض العلماء إلى بعض إخوانه: أما بعد، فإنه من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.

** للحسن بن هانئ وتنسب للشافعي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ما، والله أعلم:

خف الله وارجوه لكلِّ عظيمَةٍ ... ولا تطع النَّفْسَ اللَّجُوجَ فتندما

وكن بين هاتين من الخوف والرجا ... وأبشر بعفو الله إن كنت مسلما

وفيها:

فلما قسا قلبي وضافت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلما

** وقال أعرابي، وقد أدخله البعيث في شعره:

وإني لأرجو الله حتى كأنما ... أرى بجميل الظنِّ ما الله صانع

** قرأت على سعيد بن نصر، أن قاسم بن أصبغ حدثهم، قال حدثنا عبد الله ابن رُوَّاح المدائني، قال يزيد بن هرون، قال: حدثنا أبو موسى التميمي، قال: توفيت النَّوار امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة وخرج فيها الحسن، فقال للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم يا أبا فراس؟ قال: شهادة ألاَّ إله إلاَّ الله منذ ثمانين سنة، فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني أشدَّ من القبر التهاباً وأضيقا

إذا جاءني يوم القيامة قائداً ... عنيفاً وسواقاً يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا

قال: فبكى وأبكى.

باب العافية والبلاء

** روى الترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ). قالوا: فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: (سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ). هذا حديثٌ حَسَنٌ.

** وروى البخاري عن هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ) أَي يَبْتَلِهِ بِالْمَصَائِبِ، لِيَطْهَرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ فِي الدُّنْيَا، فَيَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى نَقِيًّا.

** وفي سنن الترمذي عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيَبْتَلِي الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرُحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرَكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

والأحاديث عنه - صلى الله عليه وسلم - في هذا الباب كثيرة جداً.

** قال عيسى عليه السلام: إنما الناس مبتلى ومعافى، فإذا رأيتم أهل البلاء فارحموهم، وسلوا الله العافية.

** قال علي بن الحسين: ما صاحب البلاء الذي قد طال به أحقّ بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء.

** قال مطرف بن الشَّحِير: لأن أعافى فأشكر، أحب إليّ من أن أبتلى فأصبر، قال مطرف: ونظرت في النعمة التي لا يشوبها كدر فإذا هي العافية.

** قال سليمان التيمي: إن المؤمن ليبتلى ويعافى، فيكون بلاؤه كفارةً واستعتاباً، وإن الكافر ليبتلى ويعافى فيكون مثل بغير عقل، لا يدري فيم عقل ولا لم أرسل.

** قال منصور الفقيه:

رأيت البلاء كقطر السماء ... وما تنبت الأرض من ناميه

فلا تسألن: إذا ما سألت ... إهلك شيئاً سوى العافية

** قال أَكْثَمُ بن صَيْفِي: العافية الملك الحفيّ.

** كان يقال: لا خير في بدن لا ينكأ ولا في مال لا يرزأ.

** كان يقال: من عمل بالعافية فيمن هو دونه رزقها ممن هو فوقه.

** قال بشار بن برد:

إني وإن كان جمع المال يعجبني ... فليس يعدل عندي صحّة الجسد

في المال زينّ وفي الأولاد مكرمةً ... والسُّقْم ينسيك ذكر المال والولد

** قال إبراهيم النّخعي: كانوا يكرهون أن يسألوا الله العافية بحضرة المبتلى.

باب المرض والطب

** في سنن ابن ماجة بسند صحيح عن أسامة بن شريك قال: شهدت الأعراب يسألون النبي -صلى الله عليه وسلم-: أعلينا حرج في كذا؟ أعلينا حرج في كذا؟ فقال لهم: "عباد الله! وضع الله الحرج، إلا من اقترض من عرض أخيه شيئاً، فذاك الذي حرج". قالوا: يا رسول الله! هل علينا جناح أن نتداوى؟ قال: "تداؤوا عباد الله، فإن الله [سبحانه وتعالى] لم يضع داءً إلا وضع معه شفاءً، إلا الهرم". قالوا: يا رسول الله! ما خير ما أعطي العبد؟ قال: "خلق حسن".

** قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من خير ما تداويتم به الحجامة".
في مسند أحمد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن كان في شيء مما تداؤون به خير، ففي الحجامة) [حسن]

** قال محمد بن سيرين كنا بسباط المدائن، فمر بي رجل، فقيل لي: هذا حجم كسرى، فدعوته فقلت له: أنت حجمت كسرى؟ قال: نعم. قال وكم حجمته؟ قال: واحدة. قلت: ولم اقتصر على واحدة؟ قال: كان يقول: آخذ من الدواء أدناه، فإن كان نافعاً من نفعه، وإن كان ضاراً لم أكن استكثرت من ضرره.

** روى النزال بن سبرة عن علي، أنه قال: من ابتداء غداءه بالملح أذهب الله عنه كل داءه، ومن أكل إحدى وعشرين زبينة كل يوم لم يرفي جوفه شيئاً يكرهه، واللحم يثبت اللحم، والثريد طعام العرب، ولحم البقر داء، ولبنها دواء، وسمنها شفاء، والشحم يخرج مثله من الداء. قال النزال: أظنه يريد شحم البقر.

** قال علي -رضي الله عنه-: وما استشفى بأفضل من السمن، والسمن يذيب البدن، أو قال: الجسد، ولم تستشف النفساء بشيء أفضل من الرطب، والسواك وقراءة القرآن يذهب البلغم، ومن أراد البقاء - ولا بقاء - فليباكر الغداء، وليخفف الرداء، وليقل غشيان النساء. قيل له: يا أمير المؤمنين وما خفة الرداء؟ قال: خفة الدين.

** قال شريح: امش بدائك ما حملك.

** قال حسبان بن خريم بن الأغر: دع الدواء ما احتمل جسمك الداء.

** سئل الحارث بن كلدة طبيب العرب: ما الدواء الذي لا داء فيه؟ قال: هو ألا يدخل بطنك طعام وفيه طعام.

** قال غيره: هو أن يقدم الطعام إليك وأنت تشتهي، ويرفع عنك وأنت تشتهي.
** قالوا: ثلاثة تقتل: الحمّام على الكظّة، والجماع على البطن، والإكثار من أكل القديد اليابس.

** كانوا يقولون: لو أمات العليل الداء أعاشه الدواء.
** قال الربيع بن خيثم: ذكرت عاداً وثمود وأصحاب الرسّ وقروناً بين ذلك كثيراً، كانت فيهم الأدوية، وكانت فيهم الأطباء، فلا المداوي بقي ولا المداوي.
** وقيل له في علته: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: قد نظر إلي الطبيب. فقيل له: ما قال لك؟ فقال إنّي فعال لما أريد.
** وهذا نحو قول أبي الدرداء وقد قيل له: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال الطبيب أمرضني.

** ولأبي العتاهية، ويروى لغيره:
إنّ الطّبيب بطّبه ودوائه ... لا يستطيع دفاع مكروه أتى
ما للطّبيب يموت بالدّاء الذي ... قد كان يبرئ مثله فيما مضى
** ولعلي بن الجهم:
كم من عليلٍ قد تخطّاه الرّدى ... فنجا ومات طبيبه والعوّد
** وقال أبو العتاهية:

نعى لك ظلّ الشّباب المشيب ... ونادتك باسم سواك الخطوب
وقبلك داوي المريض الطّبيب ... فعاش المريض ومات الطّبيب
يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف ترى حال من لا يتوب
** جاء في الخبر: "من كان به مرض قديم فليأخذ درهماً حلالاً، فليشتر به عسلاً ثم ليشره بماء السماء فإنه يبرأ بإذن الله".

باب الطاعة والمعصية

** قال الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وقيل في تأويل أولي الأمر قولان: أحدهما أمراء السرايا كان يرسلهم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والآخر العلماء.

** وفي البخاري قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنِ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنِ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ).

** قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ) [البخاري]

** قال عبد الله بن مسعود في قول الله عزوجل: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ}: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى.

** وقال قتادة، مثل ذلك وزاد عليها: "فاتَّقوا اللَّهَ ما استطعتم".

** قال الهلالي: من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه، ومن تعزز بمعصية الله، أذاقه الله ذلاً بحق.

** قال علي بن عبد الله بن عباس: من لم يجد نقص الجهل في عقله، وذل المعصية في قلبه، ولم يستبن موضع الخل من لسانه عند كلال حده، فليس ممن يرغب عن ذنبه، ولا ينزع عن حال معجزة، ولا يكثر لفضل ما بين حجة وشبهة.

** قال جعفر بن محمد: من نقله الله عزوجل من ذل المعاصي إلى عز الطاعة أغناه بلا مال، وآنسه بلا أنيس وأعزه بلا عشيرة.

** قال الحسن: لا يغرك توطيهم رقاب المسلمين، وإن هملجت بهم خيولهم ورفرفت بهم ركابهم، إن ذل المعصية في قلوبهم، أبي الله إلا أن يذل من عصاه.

** كان يقال: من أحبك نهاك ومن أبغضك أغراك.

** قال العتبي: خطب يزيد بن الوليد فأرجز وقال: أيها الناس! الأمر أمر الله، والطاعة طاعة الله، فأطيعوني ما أطعت الله، يغفر الله لي ولكم.

** قالت هند: الطاعة مقرونة بالحب، فالمطيع محبوب، وإن نأت داره، وقلت آثاره، والمعصية مقرونة بالبغضة، فالعاصي ممقوت، وإن مسَّتْك رحمته، ونالك معروفه.

** كتب ابن السَّمَاك إلى أخ له: أفضل العبادة الإمساك عن المعصية، والوقوف عند الشبهة، وأقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة، وقاله سفيان بن عيينة.

** ذكر إبليس عند أبي حاتم، فقال: وما إبليس! فوالله لقد عصى فما ضرَّ، وأطيع فما نفع.

** قال محمود الوراق وتنسب إلى الشافعي:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محالٌ في القياس بديع
لو كان حبُّك صادقاً لأطعته ... إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيع
في كل يوم يتديك بنعمةٍ ... منه وأنت لشكر ذاك مضيع

باب الغيبة والنميمة

** قال الله عزوجل: {ويبل لكل همزة لمزة}، قال مجاهد: هو الطعان الآكل لحوم الناس.

** قال الله عزوجل: ﴿وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُّ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]

** وروى أحمد بسند حسن عن أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ)

** قال عمر بن الخطاب: من أدى الأمانة، وكف عن أعراض المسلمين فهو الرجل.

** وقع بين سعد وخالد كلام، فذهب رجل يقع في خالد عند سعد فقال سعد: مه، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا.

** وفي المسند بسند حسن عن أبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: مَا الْغَيْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ". قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ، أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: " إِنْ كَانَ فِي أَخِيكَ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ "

** وفي المسند بسند حسن بشواهد عن شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا، ذُكِرَ اللَّهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْرِقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَاءَ الْعَنْتِ).

** قال رجل لابن سيرين: إني وقعت فيك، فاجعني في حلّ، قال: لا أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك.

** قال رجل للحسن البصري: إني اغتبت فلاناً وإني أريد أن أستحله فقال: لم يكفك أن اغتبتته حتى تريد أن تبهته.

** قال حذيفة: كفارة من اغتبه أن تستغفر له.

** قال عبد الله بن مبارك لسفيان بن عيينة: التوبة من الغيبة أن تستغفر لمن اغتبه، قال سفيان: بل تستغفره مما قلت فيه: قال ابن المبارك: لا تؤذه مرتين.

** قال عدي بن حاتم: الغيبة مرعى اللئام.

** قال أبو العتاهية: الصائم في عبادة ما لم يغتب.

** قال ابن محيريز: ما من ذنبٍ أجدر أن تجده من الرجل - وإن أعجبك - من

الغيبة.

** قال أبو حاتم: أربح التجارة ذكر الله، وأخسر التجارة ذكر الناس.

** قال الفضيل بن عياض: ذكر الناس داء، وذكر الله شفاء.

** سمع قتيبة بن مسلم رجلاً يغتاب آخر، فقال: لقد مضغت مضغة طالما لفظها

الكرام.

** سمع أعرابي رجلاً يقع في الناس، فقال: قد استدلت على عيوبك بكثرة ذكرك

لعيوب الناس، لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها.

** كان يقال: ظلم منك لأخيك أن تقول أسوأ ما تعلم فيه.

** قال أبو عاصم النبيل: لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين له.

** قال الحجاج بن الفرافصة: قلت لمجاهد: الرجل يكون وقاعاً في الناس، فأقع

فيه، أله غيبة؟ قال: لا. قلت: من ذا الذي تحرم غيبته؟ قال: رجلٌ خفيف الظهر من

دماء المسلمين، خميص البطن من أموالهم، أخرس اللسان عن أعراضهم، فهذا حرام

الغيبة، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له، ولا غيبة فيه.

** قال رجل لعمر بن عبيد: إنني لأرحمك مما يقول الناس فيك. قال: فما تسمعي

أقول فيهم؟ قال: ما سمعتك تقول إلا خيراً. قال: إياهم فارحم.

** قال عتبة بن أبي سيفيان لابنه عمرو: يا بني نزه نفسك عن الحنا، كما تنزه

لسانك عن البذاء، فإن المستمع شريك القائل.

** قالت الحكماء: حسبك من شرِّ سماعه.

** قال الله عز وجل: {سماعون للكذب أكالون للسُّحت}.

** قال عبد الله بن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر - يدينك ويقربك، فاحفظ عني ثلاثاً: إياك أن يجرب عليك كذبة، وإياك أن تفشي له سرّاً، وإياك أن تغتاب عنده أحداً، ثم قال: يا عبد الله! ثلاثاً وأيّ ثلاث. فقال له رجل: يا ابن عباس كلُّ واحدةٍ خير من ألف. فقال: بل كلُّ واحدةٍ خيرٌ من عشرة آلاف.

** وفي البخاري قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ("لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ) أي نمام.

** وقالوا: قبول السّعاية شرٌّ من السّعاية، لأن السّعاية دلالة والقبول إجازة.

** قال يحيى بن أبي كثير: يفسد النّمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة.

** وقال معاذ بن جبل: إذا كان لك أخ في الله فلا تماره، ولا تسمع فيه من أحد، فرما قال لك ما ليس فيه فحال بينك وبينه.

** تنقّص ابن عامر بن عبد الله بن الزبير عليّ بن أبي طالب، فقال له أبوه: مهلا يا بني لا تنقّصه، فإن بني مروان شتموه ستين سنة، فلم يزد الله بذلك إلا رفعة، وإن الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا، وإن الدنيا لم تبني شيئاً إلا عادت على ما بنت فهدمته.

** كان يقال: المعرّض بالناس اتقى صاحبه، ولم يتق ربه.

** قال موسى عليه السلام: يا ربّ إن الناس يقولون فيّ ما ليس فيّ، فاجعلهم يا ربّ يقولون فيما فيّ. فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى لم أجعل ذلك لنفسي، فكيف أجعله لك.

** قال المسيح عليه السلام: لا يحزنك قول الناس فيك، فإن كان كاذباً كانت حسنة لم تعملها، وإن كان صادقاً كانت سيئة عجلت عقوبتها.

باب البغي والحسد

** عن أبي بكر، -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال رسولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِثْلُ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ) [أبو داود بسند صحيح]

** روي عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: لو بغى جبلٌ على جبلٍ، لَدَكَّ الباغِي منهما.

** قال الشاعر:

ذر البغي إنَّ البغي موبق أهله ... ولم يعدم الباغِي من النَّاسِ مصرعا

** قال عمر بن الخطَّاب: ما كانت على أحد نعمةٌ إلا كان لها حاسد، ولو كان الرجل أقوم من القدح لوجد له غامزاً.

** قال ابن مسعود: لا تعادوا نعم الله عزَّوجل. قيل: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

** قال الحسن البصري: ليس أحدٌ من خلق الله إلا وقد جعل معه الحسد، ومن لم يجاوز ذلك إلى البغي والظلم لم يتبعه منه شيء.

** وعن أنس بن مالك أنه مرَّ على ديار خربةٍ خاوية، قال: هذه أهلُكها وأهلك أهلها البغي والحسد، إن الحسد ليطفئ نور الحسنات، والبغي يصدِّق ذلك أو يكذبه، فإذا حسدتم فلا تبغوا.

** قيل للحسن: يا أبا سعيد! أيحسد المؤمن؟ قال: لا أمَّ لك! أنسيت إخوة يوسف.

** قال بعض الحكماء: البغي من فروع الحسد، وأقدم الناس على البغي من جهل المعرفة بسرعة نصر الله لمن بغى عليه.

** وقالوا: ثلاثةٌ عائدة على فاعلها: البغي والمكر والنكث.

** قال الله عزوجل: {إِنَّمَا بَغِيكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ}، وقال: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}، وقال تعالى: {وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ}.

** وقال يزيد بن الحكم:

والبغي يصرع أهله ... والظلم مرتعه وخيم

** روى البخاري عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا، فسلطه علىهلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها).

** روى أبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب - أو قال: العشب) [حديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف]

** عن عبد الله بن عمرو قال: قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أي الناس أفضل؟ قال: (كل محموم القلب، صدوق اللسان)، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما محموم القلب؟ قال: (هو التقي التقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد).
[الصحيحة: ٨٩٣٩]

** كان يقال: أقبح الأشياء بالسلطان اللجاج، وبالحكام الضجر، وبالفقهاء سخافة الدين، وبالعلماء إفراط الحرص، وبالمقاتلة الجبن، وبالأغنياء البخل، وبالفقراء الكبر وبالشباب الكسل، وبالشيوخ المزاح، وبجماعة الناس التباغض والحسد.
** كان يقال: كادت الفاقة تكون كفراً، وكاد الحسد يغلب القدر، والهـم نصف الهرم، والفقـر الموت الأكبر.

** قال علي بن أبي طالب في خطبة خطبها على المنبر بالكوفة: ما لنا ولقريش بلى. وهم، إن الله فضلنا فأدخلهم في فضلنا.

** قال علي بن أبي طالب، قال إبليس لجنوده: ألقوا بين الناس التحاسد والبغي، فإنهما يعدلان الشرك.

** كان يقال: أول ما عصى الله به في السماء والأرض الحسد والحرص. ذهبوا إلى أن إبليس حسد آدم فلم يسجد له، وحرص آدم على الخلود فأكل من الشجرة، وحسد ابن آدم أخاه حين تقبل منه قربانه فقتله.

** قال أبو الدرداء: مكتوب في التوراة: إن أحسد الناس لعالم وأبغاهم عليه قرابته وجيرانه.

** كان يقال: الحسد في الجيران، والعداوة في الأقارب.

** قال ثمامة بن الأشرس في أحمد بن خالد:

أفكّر ما ذنبي لديك فلا أرى ... عليّ سبيلاً غير أنّك حاسد

** قال بكر بن عبد الله المزني: حظك من الباغي حسن المكاشرة، وذنبيك إلى

الحاسد دوام النعمة.

** قال عبد الله بن المقفع: إن الحسد خلق ديني ومن دناءته أنه موكل بالأدنى

فالأدنى.

** قال معاوية بن أبي سفيان: كل الناس أرضيته إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا

زواها.

** قال معاوية بن أبي سفيان: ليس في خلال الشر أشر من الحسد، لأنه قد يقتل

الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.

** كان يقال: الحاسد إذا رأى نعمة بهت، وإذا رأى عثرة شمت.

** قال الخليل بن أحمد: لا شيء أشبه بالمظلوم من الحاسد.

** وقال حبيب:

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ ... طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فما جاورت ... ما كان يعرف فضل عرف العود

** وقال أبو القاسم الداعية: أدنى الأعراض عرض لا يرتع فيه دم.

باب السَّبَابِ وَالْمَشَاتِمَةِ

** في مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ) [إسناده صحيح]

** وفي المسند عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (الْمُسْتَبَانَ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ) [إسناده صحيح]

** قال بعض الحكماء: ما استبَّ رجلان إلا غلب الأملهما.

** قال الزبير بن بدر: خصلتان كبيرتان في امرئ السوء: شدة السبِّ، وكثرة اللطم.

** كان يقال: الغالب في الشر مغلوب.

** شتم رجلٌ أبا ذر، فقال له: يا هذا لا تغرقنَّ في شتمنا ودع للصالح موضعا، فإننا لا نكافئ من عصى الله فينا، بأكثر من أن نطيع الله فيه.

** قال أبو مسلم صاحب الدعوة، عصبة الأشراف تظهر بأفعالها، وعصبة الأدياء تظهر بالسنتها.

** وفي سنن الترمذي بسند صحيح عن ابن عمر، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إِنَّ اللهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ). قال: وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه، وقال فيه عمر - أو قال ابن الخطاب فيه، شك خارجة - إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر

** كان يقال: ظنُّ الحكيم كهانة. ويروى هذا لمعاوية -رضي الله عنه-.

** سئل بعض العرب عن العقل، فقال: الإصابة بالظنون، ومعرفة ما لم يكن بما كان.

** قال علي بن أبي طالب: لله درّ ابن عباس إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق.

** كان يقال: صحة الظن أول اليقين.

** سمع أعرابي رجلاً يقول: إن الله تعالى يتولى محاسبة عباده بنفسه. فقال الأعرابي: إن الكريم إذا تولى شيئاً أحسن فيه.

** قال ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عزوجل.

** قيل لبعض العلماء: من أسوأ الناس حالاً؟ قال: من اتسعت معرفته، وضافت مقدرته، وبعدت همته، وأسوأ منه حالاً: من لم يثق بأحد لسوء ظنه ولم يثق به أحد لسوء فعله.

** قال غيره من الحكماء: حسب البعيد المهمة أن تكون غايته الجنة.

** قال أبو حازم: العقل التجارب، والحزم سوء الظن.

** قال الحسن البصري: لو كان الرجل يصيب ولا يخطئ، ويحمد في كل ما يأتي لداخله العجب.

** قال عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أفرس الناس كلهم - فيما علمت - ثلاثة: العزيز في قوله لامرأته حين تفرّس في يوسف: {أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً}، وصاحبة موسى حين قالت: {يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين}. وأبو بكر حين تفرّس في عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ما فاستخلفه.

** نظر إياس بن معاوية يوماً، وهو بواسط، في الرحبة إلى آجرة، فقال: تحت هذا الآجرة حيّة، فنزعوا الآجرة فإذا تحتها حيّة منطوية، فسئل عن ذلك فقال: إنّي رأيت ما بين الآجرتين ندياً من بين تلك الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس.

** قال عمرو بن بحر: إذا نظر الأعرابي موضع منتفخ في أرض مستوية، فإذا رآه يتصدع في هَيْل، وكان تفتحه مستويّاً علم أنها كمأة وإن خلط في التصدع والحركة علم أنها دابة، فاتقى مكانها.

** نظر إياس بن معاوية يوماً إلى صدع في الأرض، فقال: في هذا الصدع دابة. فنظروا فإذا فيه دابة، فقال: إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات.

** قال معن بن زائدة: ما رأيت قفا رجل قطّ إلا عرفت عقله، فقال له الفضل بن شهاب: فإن رأيت وجهه؟ قال: فذلك حينئذ في كتاب أقرأه.

** مر إياس بن معاوية ذات يوم بماء، فقال: أسمع صوت كلب غريب، قيل له: كيف عرفت ذلك؟ قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره من الكلاب. قالوا: فإذا كلب غريب مربوط، والكلاب تنبحه.

** قال وهب بن منبه خصلتان إذا كانتا في الغلام رجيت نجابته: الرهبة والحياء.
** قال غيره: إذا استثقل الصبي الأدب، وضج من الحصر إلا أنه إذا حفظ وعي، وإذا فهم أدّى، كان ذلك ممن يرجى.

** قال غيره: إذا كان الغلام حازماً في الخلاء، فطيع اللسان في الملاء، يبغض التعليم، ويوارب المعلم، ويقدم أباه على أمه، ويؤخر خاله على عمه، وكنيته أحب إليه من اسمه، فإنه يرجى خيره وينتظر عزّه.

** وقال ابن الزيات: إذا رأيت الصبي يحب عاجل المكروه من غير أن يعرف عاجل المنفعة فهو مضعوف، قاله إذ رأى ابنه عمر يحب الكتاب فاغتم له، فسئل عن ذلك، فقال ما ذكرنا، قال أبو عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: قوله عندي هذا ليس بشيء.

** وقال غيره: يستدل على نجابة الصبي بشيئين الحياء وحب الكرامة، أما الحياء فهو خير كله، وأما حب الكرامة فيدعو إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل.

** قال عمرو بن العاص: أنا للبدية ومعاوية للأناة، والمغيرة للمعضلات، وزياد لصغار الأمور وكبارها.

** أراد يوسف بن عمر بن هبيرة أن يولي بكر بن عبد الله المزني القضاء، فاستعفاه، فأبى أن يعفيه، فقال: أصلح الله الأمير، ما أحسن القضاء، فإن كنت كاذباً فلا يحلّ لك أن تولّي الكاذبين، وإن كنت صادقاً، فلا يحلّ أن تولّي من لا يحسن.

** قال رجل من الأعراب ضير النظر لابنته، وهي تقوده في المرعى: يا بنية انظري كيف ترين السماء؟ قالت كأنها قرون المعزي. قال: ارعي. فرعت ساعة، فقال: انظري كيف ترين السماء؟ قالت كأنها خيل دهم تجرّ جلالها. قال: ارعي. فرعت ساعة ثم قال: انظري كيف ترين السماء؟ قالت: كأن الرباب نعام تعلق بالأرجاء من السماء، قال: ارعي. ثم قال: انظري كيف ترين السماء؟ قالت: ابيضت واسودت وودنت فكأنها عين نفسٍ تطرف. قال: أنجي ولا أراك ناجية.

باب الظنّ والزكّانة [الفراسة]

** قال الله تعالى: {إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَىٰ مِنْ الحقِّ شَيْئاً} [يونس: ٣٦]
** وقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ).

** قال عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: لا يحل لأمرئٍ مسلمٍ سمع من أخيه كلمة أن يظن بها سوءاً، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجاً.

** وقال عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: لا ينتفع بنفسه من لا ينتفع بظنه.

** قال عليّ بن طالب: حسن الظنّ بالله ألا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا ذنبك.

** عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) [مسلم]

** قال الحسن البصريّ: إنّ المؤمن إذا أحسن الظنّ أحسن العمل.

** قال أبو مسلم الخولاني: اتّقوا ظنّ المؤمن، فإنّ الله جعل الحقّ على لسانه وقلبه.

** قال عبد الله بن عباس: كفى بك ظلماً ألا تزال محاصماً، وكفى بك إثماً ألا تزال

ممارياً.

** وعن ابن مسعود: قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: ما أماري أخى أبداً، لأنّي أرى أنّي إما أن أكذبه وإما أن أغضبه.

** قال عبد الله بن حسين عليّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: المرء رائد الغضب، فأخزى

الله عقلاً يأتيك به الغضب.

** قال محمد بن عليّ بن حسين: الخصومة تمحق الدين وتنبت الشحنة في صدور

الرجال.

** كان يقال: لا تمار حليماً ولا سفيهاً، فإنّ الحليم يغلبك، والسفيه يؤذيك.

** قيل لعبد الله بن حسين: ما تقول في المرء؟ قال: يفسد الصداقة القديمة، ويحلّ العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن يكون دريئة [مرتفع ترابي كالساتر] للمغالبة والمغالبة، وأمتن أسباب القطيعة.

** قال عبد الله بن عباس لمعاوية: هل لك في المناظرة فيما زعمت أنك خاصمت فيه أصحابي؟ قال: وما تصنع بذلك؟ أشغب بك وتشغب بي، فيبقى في قلبك ما لا ينفعلك، ويبقى في قلبي ما يضرك.

** قال إبراهيم التيمي: إياكم والمخاصمات في الدين، فإنها تحبط الأعمال.

** قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل.

** قال الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل.

** قال ابن أبي الزناد: ما أقام الجدل شيئاً إلا كسره جدل مثله.

وقد أفردنا في كتاب " بيان العلم " باباً فيما تجوز فيه المناظرة والجدال، وباباً فيما تكره فيه المناظرة والمجادلة، وأوردنا فيهما من الآثار عن السلف وأئمة الخلف ما فيه كفاية وبيان، والحمد لله وهو المستعان.

** قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: من لاحى الرجال وماراهم قلت كرامته، ومن أكثر من شيء عرف به.

** وقال مسعر بن كدام الهلالي يوصى ابنه كداما:

إني منحتك يا كدام نصيحتي ... فاسمع لقول أب عليك شفيق

أما المزاحمة والمرء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق

إني بلوئهما فلم أحمدهما ... لمجاورٍ جارٍ ولا لرفيق

والجهل يزرى بالفقى في قومه ... وعروقه في الناس أي عروق

** قال أبو العباس النّاشئ:

وإذا بليت بجاهل متحاملٍ ... يجد المحال من الأمور صوابا

أوليته متى السكوت وربما ... كان السكوت على الجواب جوابا

باب المرء والخصومة والملاحاة

** عَنْ أَبِي أَمَامَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَنَا زَعِيمٌ بَبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِجًا وَبَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ» [أبو داود: صحيح]

** روى ابن ماجة عَنْ قَائِدِ السَّائِبِ، عَنِ السَّائِبِ، قَالَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كُنْتُ شَرِيكِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكُنْتُ خَيْرَ شَرِيكِ، لَا تُدَارِيَنِي، وَلَا تُمَارِيَنِي» [صحيح] (لا تداريني) من درأ بالهمز. إذا دفع. وجاء في الحديث غير مهموز ليزواج يماريني. (ولا تماريني) من المرء وهو الجدال. والمراد أنه كان شريكا موافقا لا يخالف ولا ينازع.

** قال قيس بن السائب: كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شريكِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَانَ خَيْرَ شَرِيكِ، فَكَانَ لَا يَدَارِي وَلَا يَمَارِي.

** قال معاذ بن جبل: إذا كان لك أخ في الله فلا تماره، ولا تساره الحديث.

** قال لقمان لابنه: لَا تُمَارِينَ حَكِيمًا، وَلَا تُجَادِلَنَّ جَوُوجًا، وَلَا تُعَاشِرَنَّ ظُلُومًا، وَلَا تُصَاحِبَنَّ مُتَّهَمًا.

** قال لقمان لابنه: يَا بُنَيَّ مَنْ قَصَّرَ فِي الْخُصُومَةِ حَصِمَ، وَمَنْ بَالَعَ فِيهَا أُنِّمَ، فَقُلْ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ فَلَا تُبَالِ مَنْ غَضِبَ.

** سب أعرابي أعرابياً، فسكت. فقيل له: لم سكت عنه؟ فقال: ما لي علم بما فيه، وكرهت أن أجهته بما ليس فيه.

** أعطى الحسن بن علي شاعراً، فقيل له: تعطي من يقول البهتان، ويعصي الرحمن؟ فقال: إن خير ما بذلت به من مالك ما وقيت به من عرضك، ومن ابتغى الخير اتقى الشر.

** وقد روى عن ابن شهاب مثل ذلك في شاعر مدحه فأعطاه.

** وقد كان يقال: إعطاء الشاعر من بر الوالدين.

** قال الشاعر:

اصحب الأختيار وأرغب فيهم ... ربّ من صاحبتة مثل الجرب
ودع الناس ولا تشتمهم ... وإذا شاتم فاشتم ذا حسب
إنّ من سبّ لئيمًا كالذي ... يبدّل الصّفر بأعيان الذهب

باب الكبر والعجب والتّيه

** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ» [ابن ماجه: صحيح]

** وفي البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

** وفي حديث آخر: (لا ينظر الله إلى من جر ثوبه بطراً). [ابن ماجه: صحيح]

** قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (وَلَكِنَّ الْكِبْرَ أَنْ يُسَفِّهَ الْحَقُّ، وَيَغْمِضَ النَّاسَ) [جمع الجوامع]

** قال محمد بن علي بن حسين: يا عجباً من المختال الفخور الذي خلق من نطفه، ثم يصير جيفة ثم لا يدري بعد ذلك ما يفعل به.

** قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: سمعت أحمد بن يوسف، وذكر رجلاً كان يذهب بنفسه في التيه، فقال: يتيه فلان، وما عنده فائدة ولا عائده ولا رأي جميل.
** قيل لعيسى عليه السلام: طوبى لبطن حملك، فقال: طوبى لمن علمه الله كتابه، ولم يكن جباراً.

** قال مالك بن دينار: كيف يتيه من أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قدرة، وهو فيما بين ذلك حاملٌ عذرة.

كان يقال: لولا ثلاثٌ سلم الناس: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.
** قال جعفر بن محمد: علم الله عز وجل أن الذنب خير للمؤمن من العجب، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنوب.

** قال بلال بن سعيد: إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً فقد تمت خسارته.

** قال بعض الحكماء: البلية التي لا يؤجر عليها المبتلى بها: العجب، والنعمة التي لا يحسد عليها: التواضع.

** كان يقال: لا شيء أكلم للمحاسن من العجب والتّيه.

** قال علي بن محمد: إنما أهلك الناس العجلة والعجب، ولو ثبتوا ولم يعجلوا لم يهلك منهم أحد.

** قال ابن أبي ليلى: ما رأيت ذا عجب قطّ إلا اعتراني بعض دائه.

يريد أنه يبعثه علي مكافأته بالتكبر عليه.

** قال بعض الحكماء: من استطاع أن يمنع نفسه أربعاً كان جديراً ألا ينزل به

مكروه: العجلة، واللجاجة، والتواني، والعجب.

باب التواضع والإنصاف

** قال بعض الحكماء: رأس الحكمة طاعة الله، وتقديم حسن النية، وعراها التواضع في الحق، والإنصاف في المناظرة، والإقرار بما يلزم من الحجّة، وثمرتها حفظ الثواب، في العاجلة، والنجاة في العاقبة، وحقّها العمل بها، وألّا تمنع من مستحقّها، وأن توقر أوعيتها لوقارها.

** قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: ما من أحدٍ إلّا وفي عنقه حكمةٌ موكل بها ملك، يقول الله به: إن تواضع عبدي فارفعه، وإن ارتفع فضعه.

** قال بكر بن عبد الله المزني: ما أرى امرءًا إلّا رأيت له الفضل عليّ، لأني من نفسي على يقين، وأنا من الناس على شك.

** قال عبد الله بن مسعود: إن من التواضع الرضا بالدون من شرف المجلس، وأن تسلّم على من لقيت.

** قال عبد الله بن المبارك: التعزّز على الأغنياء تواضع.

** كان يقال: بالتواضع تتمّ النعمة، وبالتكبر تحقّ النقمة.

** كان سليمان -عليه السلام- يجرى إلى أوضاع المجالس بني إسرائيل فيجلس معهم فيقول: مسكينٌ بين ظهراي مساكين.

** كان يقال: ثمرة القناعة الرّاحة، وثمرة التواضع المحبة.

** قال لقمان لابنه: يا بنيّ تواضع للحقّ، تكن أعقل الناس.

** قال أبو الدرداء: ليس الذي يقول الحق ويفعله بأفضل من الذي يسمعه فيقبله.

** قال بعض الحكماء: إذا نسك الشريف تواضع، وإذا نسك الوضيع تكبرّ.

** قال سالم بن قتيبة: ما تكبرّ في ولايته إلّا من كبرت عنه، ولا تواضع فيها إلّا من

كبر عنها.

** قال بعض الفلاسفة: أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب فيمن

يبعده.

** قال بُزْرَجْمَهْر: وجدنا التواضع مع الجهل والبخل، أحمد من الكبر مع الأدب والسخاء فأعظم بحسنه سترت من صاحبها سيئتين، وأقبح بسيئة غطت من صاحبها حسنيتين

** قال عبد الملك بن مروان: أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة.

** كان يقال: من حقوق الشرف أن تتواضع لمن هو دونك، وتنصف من هو مثلك، وتنبئ على من هو فوقك.

** قال ابن السَّمَاك للرشيد: تواضعك في شرفك أشرف من شرفك.

** قال جعفر بن محمد: من أنصف الناس من نفسه قضى به حكماً لغيره.

** وفي سماع أشهب، قال مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: ليس في الإنسان شيء أقل من الإنصاف.

** قال جعفر بن سعد: ما أقلّ الإنصاف، وما أكثر الخلاف، الخلاف موكل بكلّ شيء حتى القذاة في رأس الكوز، فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك، وإذا أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت.

باب الرأى والمشورة

- ** روى ابن ماجة بسند صحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (المستشار مؤتمن)
- ** قال الحسن: إن الله لم يأمر نبيه بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم، ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة.
- ** قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل.
- ** قيل لرجل من بني عيس. ما أكثر صوابكم؟! قال: نحن ألفٌ وفينا حازم واحد، ونحن نشاوره ونطيعه، فصرنا ألف حازم.
- ** قال عامر بن الظرب: الرأى نائم والهوى يقظان، فلذلك يغلب الهوى الرأى.
- ** كان يقال: بإجالة الفكرة يستدرّ الرأى المصيب.
- ** كان علي بن أبي طالب يقول: رأى الشيخ خير من مشهد الغلام.
- ** قال بُزْجُمَهر: حسب ذا الرأى، ومن لا رأى له أن يستشير عالماً ويطيعه.
- ** مرّ حارثه بن زيد بالأحنف بن قيس فقال: لولا أنك عجلان لشاورتك في بعض الأمر. فقال: يا حارثه أجل، كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع والعطشان حتى ينقع، والأسير حتى يطلق، والمضلل حتى يجد، والراغب حتى يمنح.
- ** كان يقال: استشر عدوك العاقل، ولا تستشر صديقك الأحمق، فإن العاقل يتقي على رأيه الزلل، كما يتقي الورع على دينه الجرح.
- ** قال ابن المقفع: ثلاثة لا آراء لهم: صاحب الخف الضيق، وحاقن البول وصاحب المرأة السليطة.
- ** قال بعض البلغاء: لا نتيجة لرأى إلا عن طاعة ونصيحة، ولا نتيجة لمشورة إلا عن محبة ومودة.
- ** وقال بعضهم: لا تترك الأمر مقبلاً، وتطلبه مدبراً، فإن ذلك من ضعف العقل وقلة الرأى.

** كان يقال: لا تدخل في رأيك بخيلاً فيقصّر فعلك، ولا جباناً فيخوّفك مالا تخاف، ولا حريصاً فيعدك مالا يرجى.

** قال الملهب: إذا كان الرأي عند من يملكه دون من يبصره ضاعت الأمور.
** قال الحكماء: إذا كنت مستشيراً فتوخّ ذا الرأي والنصيحة فإنه لا يكتفى برأي من لا ينصح، ولا نصيحة لمن لا رأى له.

** قال أكنم بن صَيْفِي: المشورة مادة الرأي.
** قال ابن هبيرة لبعض ولده: ولا تشر على مستبدّ، ولا على عدوّ، ولا على متلون، ولا على لجوج، ولا تكون أول مستشار، ولا أول مشير، وإياك والرأي الفطير، وخف الله في المستشير، فإن التماس موافقه لؤم، وسوء الاستماع منه خيانة.
** قال سليمان -عليه السلام- لابنه: يا بني لا تقطع أمراً حتى تشاور مرشداً فإنك إذا فعلت ذلك لم تندم.

** كان يقال: من اجتهد رأيه وشاور صديقه، قضى ما عليه.
** قال عمرو بن العاص: ما نزلت بي قطّ عظيمة فأبرمتها حتى أشاور عشرة من قريش مرتين فإن أصبت كان الحظّ لي دونهم، وإن أخطأت لم أرجع على نفسي بلائمة.
** قال الأحنف: اضربوا الرأي بعضه ببعض يتولّد منه الصّواب، وتجنّبوا منه شدة الحزم، واتّمموا عقولكم، فإن فيها نتائج الخطأ، وذمّ العاقبة.
** كان يقال: خذ الأمر مقلاً، فشرّ الرأي: الدبري.

** قال بعض العرب: قبل الرمي يراش السهم.
** وقال سابق: وقبل أوان الرمي تملأ الكنانن
** وقال الفارسي: بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة.
** قال بعض الحكماء: حقيق أن يوكل إلى نفسه، من أعجب برأيه.
** قال عبد الملك: اللحن هجنة الشريف، والعجب آفة الرأي.

** قال قتيبة بن مسلم: من أعجب برأيه، لم يشاور كفيًا، ولم يوات نصيحاً.
** قال بُزْرُجْمُهر: أفره الدّواب لا غنى به عن السّوط، وأعفّ النساء لا غنى بها عن الزّواج، وأعقل الرجال لا غنى به عن المشورة.

** قال عبد الملك بن مروان: لأن أخطئ وقد استشرت أحب إليّ من أن أصيب من غير مشورة.

** قال قتيبة بن مسلم: الخطأ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة، وإن كانت الجماعة لا تخطئ، والفرقة لا تصيب.

** قال المأمون: ثلاثٌ لا يعدم المرء الرشد فيهنّ: مشاورة ناصح، ومداراة حاسد، والتحبب إلى الناس.

** كان عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: يستشير في الأمر، حتى إن كان ربما استشار المرأة، فأبصر في رأيها فضلاً.

** كان يقال: ما من قوم تماثلوا على أمرهم، ثم شاوروا امرأة إلا تبرّ الله أمرهم.
** قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة). وفي رواية أحمد (لا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمَلَّكُهُمْ امْرَأَةٌ) [صحيح]

** كان يقال: من طلب الرخصة من الإخوان عند المشورة، ومن الفقهاء عند الشبهة، من الأطباء عند المرض، أخطأ الرأي، وحمل الوزر، وازداد مرضاً.
** قال أبو عمر: الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء، والمشورة محمودة عند غاية العلماء، ولا علم أحداً رضى الاستبداد وحده، إلا رجل واحد مفتون، مخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته، أو رجلٌ فاتك يحاول حين الغفلة، ويرتصد الفرصة، وكلا الرجلين فاسقٌ مائق.

** سئل الحسن البصرى، عن قول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لا تستضيئوا بنار المشركين) فقال: أراد لا تستشيروا المشركين في أموركم ولا تأخذوا برأيهم.

باب كتمان السر وإفشائه

** قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: من كتم سره كان الخيار بيده، ومن عرّض نفسه للتّهمة فلا يلومنّ من أساء الظنّ به.

** قال عباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ما: يا بني إن أمير المؤمنين يدنيك -يعنى عمر بن الخطاب- فاحفظ عني ثلاثاً: لا تفشينّ له سرّاً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا يطلعنّ منك على كذبة.

** قال أكتّم بن صَيْفِي: إن سرّك من دمك، فانظر أين تريقه.

** كان يقال: احفظوا أسراركم كما تحفظون أبصاركم.

** وكان يقال: أكثر ما يتم به التدبير الكتمان.

** وفي مثل هذا: إن السرّ لا يسمّى سرّاً حتى يسره رجلٌ واحد إلى رجلٍ آخر.

** قال عمرو بن العاص: ما استودعت رجلاً سرّاً فأفشاه فلمته، لأني كنت به أضيق صدرّاً حين استودعته إياه.

وإلى هذا ذهب القائل حيث قال:

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه ... فعدر الذي يستودع السرّ أضيق

** قيل لرجل: كيف كتمانك للسر ... قال: أجحد المخبر. وأحلف للمستخبر.

** أسر رجل إلى رجلٍ سرّاً، فلما فرغ قال له: حفظت؟ قال: لا. بل نسيت.

باب الحرب والشجاعة والجبن

** قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْلُؤُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ) [البخاري]

** قال أبو بكر الصِّدِّيق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في كتابه إلى خالد بن الوليد: احرص على الموت توهب لك الحياة: أخذه الشاعر فقال:
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياةً مثل أن أتقدِّما
ومن هذا قول الخنساء:

نهب النفوس وهون النفوس ... عند الكريهة أوقى لها

** قال عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لبعض بني عبيس: كم كنتم في يوم كذا؟ قال: كنا مائه، لم نكثر فنتواكل ونفشل، ولم نقل فنذل. قال: فيم كنتم تظهرون علي أعدائكم، ولستم بأكثر منهم؟ قال: كنا نصبر بعض الناس هنيهة.

** قال علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، لابنه الحسن، وقد قيل لابنه محمد: يا بني! لا تدعون أحداً إلى البراز، فإنه بغي، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبته.

** وقد وفد على عمر بن الخطاب بفتح، فقال: متى لقيتم عدوكم؟ قالوا: أول النهار. قال: فمتى انهزموا؟ قالوا: آخر النهار، فقال: إن الله! وأقام الشرك للإيمان من أول النهار إلى آخره!! والله إن كان هذا إلا عن ذنب بعدى، أو أحدثه بعدكم، ولقد استعملت يعلى بن أمية على اليمن استنصر لكم بصلاحه.

** قيل لعنتر: كم كنتم يوم الفروق؟ قال: كنا ألفاً مثل الذهب الخالص، ليس فينا غيرنا، لم نكثر فنفسل، ولم نقل فنذل. لم يكن قبيل في العرب ألف فارس إلا ثلاث قبائل: مرة وعبس وبنو الحارث بن كعب.

** قال عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، لعمر بن معدي كرب: أخبرني عن السلاح. قال: سل عما شئت. قال: الرَّمح، قال: أخوك وربما خانك. قال النبيل؟ قال: منايا تخطئ وتصيب. قال: الترس، قال: ذلك المجنّ وعليه تدور الدوائر. قال: الدرع،

قال: مشغلة للرجال متعبةً للفارس، وإنما لحصن حصين. قال: السيف؟ قال: قارعتك
أَمْك على الثَّكل. قال عمر: بل أَمْك. قال: أخبرني عن الحرب، قال: مرّة المذاق، إذا
قلصت عن ساق، من صبر لها عرف، ومن ضعف عنها تلف، وهي كما قال الشاعر:
الحرب أولّ ما تكون فتية ... تسعى بزينتها لكلّ جهول
حتى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها ... عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزّت رأسها وتنكرت ... مكروهةً للشّمّ والتقبيل
** قال حذيفة بن اليمان: الفتنة تلحق بالنجوى، وتنتج بالشكوى.
** أخذ نصر بن سيار قول حذيفة هذا، والله أعلم، حين قال: إن الحرب أولها
الكلام.

** بلغ أبا الأغر أن أصحابه، وقع بينهم شر، فوجه ابنه الأغر، وقال له: يا بني كن
يداً لأصحابك على من قاتلهم، وإياك والسيف، فإنه ظل الموت، واتفق الرمح، فإنه
رسالة المنية، ولا تقرب السهام، فإنها رسل لا تؤامر من يرسلها، قال: فبم أقاتل؟ قال:
بما قال الشاعر:

جلاميد أملاء الأكفّ كأنّما ... رءوس رجالٍ حلّقت بالمواسم
** قال عمر بن الخطاب: الجرأة والجن غرائز يضعها الله حيث يشاء، فالجبان يفتر
عن أهله وولده، والجرئ يقاتل عمن لا يؤؤّب به إلى رحله.
** وروينا أن مروان بن الحكم، دعا أيمن بن خريم إلى القتال بمرج راهط، فقال له:
إن أبي وعمي شهداء بدر، وعهدوا إلى ألا أقاتل مسلماً، ثم أنشأ يقول
ولست بقاتلٍ رجلاً يصلى ... على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلى أئمي ... معاذ الله من سفه وطيش
أأقتل مسلماً في غير جرم ... فلست بنافعي ما عشت عيشي
** قيل لأسلم بن زرعة: إن انهزمت من أصحاب مرداس غضب عليك الأمير
عبيد الله بن زياد فقال: لأن يغضب عليّ وأنا حي، أحب إليّ من أن يرضى عني وأنا
ميت.

وأسلم بن زرعة هذا هو القائل وقد عبأ جيشاً عظماً ليفزع به الخوارج، فلما رأهم لم يفزعوا، وجعلوا يقبلون إليه، قال لهم: عزمتم خار الله لنا ولكم ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف عنهم.

باب الاعتذار

** قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: لا تلم أخاك على ما يكون العذر في

مثله

** قال الأحنف: إِيَّاكَ وما يعتذر منه، فَإِنَّهُ قَلَّمَا اعتذر أحدٌ فسلم من كذب.

** قال الحسن بن عليّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ما: لو أنّ رجلاً شتمني في آذني هذه،

واعتذر إلى في آذني هذه لقبلت عذره.

** وقال الأحنف: إذا اعتذر إليك معتذر، فلتلقه بالبشر.

** اعتذر إلى قتيبة بن مسلم رجل فقبل منه، ثم قال: لا يدعونك أمرٌ قد تخلصت

منه إلى الدخول فيما لعلك لا تتخلص منه.

** اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيد الله الوزير الكاتب، فأساء الاعتذار، فقال أبو عبيد

الله: ما رأيت اعتذاراً أشبه باستئناف ذنب من هذا.

** وللشافعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وقد قيل: أما تمثّل بها:

يا لهف نفسي على مال أفرّقه ... على المقلّين من أهل المروءات

إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندي من إحدى المصيبات

** قال بعض الحكماء: إِيَّاكَ وما يسبق للقلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره.

** قال الأحنف بن قيس: أسرع النَّاسَ إلى الفتنة، أقلّهم حياءً من الفرار.

باب المواعيد

** أثنى الله عز وجل على إسماعيل عليه السلام، فقال: {إنه كان صادق الوعد}
** وقال كعب: كان لا يعد أحداً إلا أنجزه، وقال: انتظر رجلاً وعده سنة كاملة.
** وروى أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - انتظر رجلاً وعده في موضع من
طلوع الشمس إلى غروبها.

** وروى عنه عليه السلام: أنه انتظره ثلاثاً، والمنتظر عبد الله بن أبي الحمساء.
** وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (مَنْ
وَعَدَهُ اللهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَابًا، فَهُوَ مُنْجِرُهُ لَهُ، وَمَنْ وَعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَابًا، فَهُوَ فِيهِ بِالْخِيَارِ)
[صححه الألباني في ظلال الجنة]

** وقال المثني بن حارثة لشيبياني: لأن أموت عطشاً أحبّ إلى من أن أخلف
موعداً.

** قال بعض الحكماء: وعد الكريم نقد، ووعد اللئيم تسويق.
** كان يحيى بن خالد يقول: المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الإخوان، ألا
تراهم يقولون: فلانٌ ينجز الوعد، وفيه بالضمان، ويصدق في المقال، ولولا ما تقدم من
حسن موقع الوعد، لبطل حسن هذا المدح.
** وكان يحيى بن خالد، يقول: إن الحاجة إذا لم يتقدمها وعدٌ تنتظر نجهه، لم
تتجاوب الأنفس سرورها، فدع الحاجة تختمر بالوعد، ليكون لها عند المصطنع حسن
موقع ولطف محل.

** ومن كلام يحيى بن خالد بن برمك أيضاً: "لا" الكريم أنجح من "نعم" اللئيم، لأنّ
"لا" الكريم، ربما كانت في وقت غضب، وإبان سامة، "ونعم" اللئيم تصدر عن تصنع
وفساد نية وقبح مآل.

** قال ابن الكلبي، عن أبيه: كان عرقوبٌ رجلاً من العماليق، فأتاه أخ له يسأله
شيئاً، فقال له عرقوب: إذا طلع نخلي فلما طلع أتاها فقال له: إذا بلح، فلما بلح أتاها،

فقال: إذا زهى، فلما زهى أتاها، فقال: إذا أرطب، فلما أرطب أتاها، فقال: إذا ثمر، فلما
ثمر جذه ليلاً، ولم يعطيه شيئاً، فضربت به العرب المثل في خلف الوعد.
** وقال غيره: عرقوب جبل مكلل بالسحاب أبداً، ولا يمطر شيئاً.
** وقال الحكماء: من خاف الكذب، أقل المواعيد.
** وقالوا: أمران لا يسلمان من الكذب، كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار.

باب عيون من المدح

** روى الترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أميناً وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) هذا حديث حسن صحيح "

** وفي البخاري عن أبي أسيد - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير). فقال سعد: ما أرى النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا قد فضل علينا؟ فقيل: قد فضلكم على كثير.

** وفي البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (خير نساء ركن الإبل صالح نساء قریش، أحناء على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده).

(صالح) من صلاح الدين، وصلاح المخالطة للزوج وغيره ممن تجوز مخالطته، وذكر اللفظ باعتبار لفظ الخبر المقدم خير. (أحناء) من الحنو وهو الشفقة، والحنانية هي التي تقوم على ولدها بعد يتمه ولا تتزوج. (أرعاه) أحفظه وأصونه. (في ذات يده) ماله المضاف إليه، وذلك بالأمانة فيه، والصيانة له، وترك التبذير في الإنفاق فيه.

** ذكر أبو بكر الصديق عند ابن عباس، فقال: كان والله بالمسلم حفيماً، وعلى الكافر قسيماً، وعن اللذة سليماً، يتواضع حيث لا توهن نصرته، ويعلو حين لا تخاف سطوته، القرآن قائده، الموت إمامه، لأن الأمر بين عينيه، وعاقبته بين يديه، رحمه الله وأحسن عنا مجازاته.

** ذكر ابن عباس أبا بكر - رضي الله عنه - ما، فقال: كان ثاني اثنين إذ هما في الغار، وثاني اثنين في العريش، وثاني اثنين في القبر.

** قال الشَّعْبِيُّ: لما مات علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قام ابنه الحسن علي قبره، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، واستغفر الله لأبيه، ثم قال: نعم أخو الإسلام كنت يا أبي، جواداً بالخلق، بخيلاً بالباطل عن جميع الخلق، تغضب حين الغضب، وترضى حين الرضا، عفيف النظر، غضيض الطرف، لم تكن مداحاً ولا شتاماً، تجود بنفسك في المواطن التي تبخل بها الرجال، صبوراً على الضراء، مشاركاً في التعماء، ولذلك ثقلت على أكتاف قريش.

** ذكر علي بن أبي طالب عند ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ما، فقال: كان والله يسكنه الحلم، وينطقه العلم.

** ذكر علي بن أبي طالب عند صعصعة بن صوحان العبدى، فقال: هو بالله عليم، والله في عينيه عظيم.

** قال معاوية لضرار الصَّدَائِي: صف لي علياً. قال: اعفني يا أمير المؤمنين. قال: لتصفنّه. قال: أما إذ لا بد من صفته، فكان والله بعيد المدى، شديدة القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة عن نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير العبرة طويل الفكرة، يقلب كفه ويحاسب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوى في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته، وأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد تمثل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الحزين، يقول: يا دينا! غرى غيري، إلى تعرضت؟ أم إلى تشوقت؟ هيهات هيهات، فد باينتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

فبكى معاوية، وقال: رحم الله أبا حسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال حزن من ذبح واحدها في حجرها.

** سئل عبد الله بن عباس عن عليّ بن أبي طالب، فقال: ما شئت من ضرر قاطع في العلم بكتاب الله، والفقّه في سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكانت له مصاهرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والتبطن في العشيرة، والنجدة في الحرب، والبدل للماعون.

** نظر عليّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، إلى زيد بن صوخان مقتولاً، فقال: والله لقد كنت ما علمت: عظيم المعونة، خفيف المؤونة.

** وقف عليّ على قبر طلحة بن عبيد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، فقال: وما تدري إذا أزمعت أمراً ... بأي الأرض يدركك المقييل
ثم قال:

فتى كان يدينه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
** وقال آخر:

إنّ للنّاس غايةً في المعالي ... وقفوا عندها وأنت تريد
قد تناهيت في الكلام والمجد ... وحزت العلى فأين تريد
** قال جبلة بن الأيهم لحسان بن ثابت: أين أنا من النعمان؟ فقال: والله لشمالك أندى من يمينه، وقفاك أحسن من وجهه، ولأملك أكرم من أبيه.
** ومن أحسن ما قيل في المدح أيضاً في النظم، قول أبي الجهم العدوى في معاوية -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

تقلّبه لتخبر حالتيه ... فتخبر منهما كراماً ولينا
نميل على جوانبه كأننا ... نميل إذا نميل على أينا

** وقول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح
والجيد من النظم لا يحصى كثرة، وحسبنا أن تأتي منه بما يقرب حفظه للمذاكرة، ويقوم بهاء مورده في المجالسة.

** قال عمرو بن أمية الضمري للنجاشي، حين وجهه إليه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أيها الملك! كأنك في الرأفة علينا منّا، لم نرجك قطّ لأمر إلا نلناه، ولم نخفك قطّ على أمر إلا أمنّا.

** ووقف حيّان بن مالك بن جعفر على قبر عامر بن الطفيل، فقال: كان والله لا يضل حتى يضل التّجم، ولا يعطش حتى يعطش البعير، ولا يهاب حتى يهاب السيل.

** مدح أعرابيُّ رجلاً فقال: كان يغني في طلب المكارم غير ضال في مصالح طريقها ولا متشاغل عنها بغيرها.

** وذكر أعرابي جلد أخيه، فقال: ما بعثته في سوادٍ إلا جلاّه ومحا، ولا في بياض إلا أزكاه وأضاءه.

** وصف أبو مهدية الأعرابي قوماً، فقال: أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجربة، ولم تغرهم السلامة المنطوية على الهلكة، ورحل عنهم التسوييف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم، فذلت ألسنتهم بالوعد، وانبسبت أيديهم بالإنجاز، فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال.

** ومدح أعرابي رجلاً فقال: كالمسك إن تركته عبق، وإن خبّأته عبق.

** مدح أعرابي رجلاً، فقال: كان إذا خرست الألسن عن الرأي حذق بالصواب كما يحذق الأريب.

** أثنى عمرو بن زياد العتكيّ على الحجاج بن يوسف عند عبد الملك بن مروان فقال: يا أمير المؤمنين! هو سيفك الذي لا ينبو، وسهمك الذي لا يطيش، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم. وكان الحجاج يقصيه فلما قال ذلك أدناه.

** قال ابن شهاب: قال لي سعيد بن المسيب: ما مات من ترك مثلك.

** ومن أحسن ما قيل في المدح نظماً، وإن كان الحسن منه كثيراً جداً، ما ذكره لي البندادي رواية عن شيوخه: أن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب رآه هشام بن عبد الملك وهو خليفة في حجة حجها، وعلى يطوف بالبيت والناس يفرجون له عند الحجر تعظيماً له، وينظرون إليه مبجلين له، فغاظ ذلك هشاماً، فقال: من هذا؟ كأنه لم يعرفه، فقال الفرزدق منكرًا لقول هشام، ومادحاً لعلي بن حسين:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... بالبيت يعرفه والحلّ والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التّقى النّقي الطّاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتمي الكرم

ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم

** هذا وذكر الفاكهي في أخبار مكة، وقال: حدثني أبو سعيد عبد الله بن شبيب، قال حدثني ابن عائشة، قال: أخبرني أبي، قال: دخل الفرزدق مكة، فإذا هو بعليّ بن عبيد الله بن جعفر يطوف بالكعبة في حلّة وهو محرم، فقال: ويحكم يا معشر أهل مكة، من هذا الرجل الذي يطوف بالبيت، فو الله ما رأيت أحسن من وجهه، ولا من حلّته، فقالوا: هذا علي بن عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولفاطمة بنت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فأنشأ يقول هذه الأبيات التي ينشدها الناس.

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم

فذكر هذه الأبيات ولم يتمّها، قال الفاكهي: ويقال إن الرجل الذي قال فيه الفرزدق هذا هو محمد بن عليّ بن حسين، قال: وحدثني أبو سعيد، قال: حدثني الزبير، قال: قيل هذا الشعر في قُثم بن العباس، قاله: بعض شعراء أهل المدينة، وزاد في الشعر بيتين أو ثلاث منها قوله:

كم صارخ بك مكروبٍ وصارخةٍ ... يدعوك يا قثم الخيرات يا قثم

وأما قوله في الخبر الأول: ولفاطمة بنت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فإن عليّ بن عبد الله أمه زينب عليّ بن أبي طالب، وأمّها فاطمة بنت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقول من قال: إن هذا الشعر قيل في عليّ بن عبيد الله بن جعفر، أو في محمد بن علي بن حسين أصح عندي من قول من قال: إنه في عليّ بن حسين، لأن علي بن حسين توفي سنة ثلاث أو أربع وتسعين، وهشام بن عبد الملك إنما ولى الخلافة سنة خمس ومائة، وعاش خليفةً عشرين سنة، وجائز أن يكون الشعر للحر بن عبد الله في محمد بن علي بن حسين، وممكن أن يكون للفرزدق في محمد ابن علي بن حسين بن أبي جعفر - وإن كان له في أبيه علي بن حسين - فلم يكن هشام يومئذ خليفةً كما قال

أبو علي في روايته، وأما قول الزبير: إنه قيل في قثم ابن عباس، فليس بشيء، وإنما ذاك شعر قيل في قثم على قافية هذا الشعر وعروضه ليس هو هذا.

** قال عبدة بن الطبيب في قيس بن عاصم المنقري: عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

** وذكر رجل عند الحسن، فقال: كان له خشوع الصابرين وبهاء الملوك.

** قال عبد الله بن مسعود: لا تعجلن بمدح أحد ولا بذمه، فإنه رب من يسرك

اليوم يسوئك غدا.

** قال علي بن حسين: إذا قال فيك رجلٌ مالا يعلم من الخير، أوشك أن يقول

فيك ما يعلم من الشر.

باب عيون من الذم

** روى البخاري عن عائشة: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: (بُسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبُسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ). فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهَدْتَنِي فَحَاشَا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّعَاءَ شَرِّهِ).

** قال الحسن: ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر.

** كان يقال: من أظهر عيب نفسه فقد رگاها.

** ذم بعض البلغاء رجلا، فقال: ما الحمام على الإصرار، والدّين على الإقتار، وشدة السقم في الأسفار، بآلم من فلان.

** قيل لأعرابي: ما تنقم من أميرك؟ قال: يقضى بالعشوة، ويأكل الرّشوة، ويطيل النّشوة.

** قال ثعلب: النّشوة بالفتح: السكر، والنّشوة بالكسر: الريح.

** ذم رجل رجلا، فقال: كان والله سيئ الرّوية، قليل التقية، شديد السعاية، ضعيف النكاية.

** ذم خالد بن صفوان شبيب بن شيبه، فقال: أنت والله ممن إذا سأل ألحف، وإذا سئل سوّف، وإذا حدّث حلف، وإذا وعد أخلف، تنظر نظر حسود، وتعرض إعراض حقود.

** مر سفيان الثوري - رضي الله عنه -، بقوم في السوق أو غيرها، فقال لمن معه أما ترون النعمة عند غير أهلها كأنها مسخوط عليها

** ذم رجل رجلا فقال: ذلك أعيما ما يكون عند جلسائه، أبلغ ما يكون عند نفسه.

** لعمر بن سليمان البجلي في إسماعيل بن عبد الله أخي خالد بن عبد الله
القسري: لو كنت ماء كنت ماء آسناً .. أو كنت مرعى لم يردك الورد
** مر عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، يقوم يتبعون رجلا أخذ في ريبة، فقال:
لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في الشر.

باب العقل والحمق

أما العقل فقد أوردت في معناه واشتقاقه والدلالة عليه، وما جاء في ذلك من النثر والنظم كتاباً كافياً، ونوردها هنا من صفات العاقل والأحمق ما تحسن به المذاكرة، ويجعل إيرادها في المجالسة إن شاء الله تعالى.

** قيل: "حق على العاقل أن يكون له أربع ساعات، ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يناجي فيها ربه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجعل، فإن هذه الساعة عونٌ له على هذه الساعات، وإجمام للقلوب.

وحق على العاقل ألا يظعن إلا في إحدى ثلاث: زاد لمعاده، ومرة لمعاشه، أو لذة في غير محرم. وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مالكاً للسانه، مقبلاً على شأنه".

** أوحى الله تعالى إلى موسى -عليه السلام-: أتدرى لم رزقت الأحمق؟ قال: لا قال: ليعلم العاقل أن الرزق ليس باحتيال.

** قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ثلاثٌ من حرمهنّ فقد حرم خير الدنيا والآخرة: عقلٌ يداري به الناس، وحلمٌ يردّ به السفیه، وورعٌ يحجزه عن المحارم). [العقل وفضله لابن أبي الدنيا]

** افتخر رجلان عند علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، فقال: أنتفخران بأجساد بالية، وأرواح في النار؟! إن يكن لكما عقلٌ فلكما أصل، وإن لم يكن لكما خلق فلكما شرف، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم، وإلا فالحمار خير منكما، ولستما خيراً من أحد.

** وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: العاقل من لم يجرمه نصيبه من الدنيا حظّه من الآخرة.

** قال علي بن أبي طالب في وصيته لابنه: لا مال أعوذ من العقل، ولا قفر أشدّ من الجهل، ولا وحده أوحش من العجب، ولا مظاهرة كالمشاوره، ولا حسب كحسن الخلق.

** كان يقال: إذا كان علم الرجل أكثر من عقله، كان قميناً أن يضروه علمه.
** قال عمرو بن العاص: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، ولكنه الذي يعرف خير الشرين.

** قال العتبي: العقل نوعان، فأحدهما ما تفرد الله بصنعتة، والآخر ما يستفيده المرء بأدبه وتجربته، ولا سبيل إلى العقل المستفاد إلا بصحة العقل المركب، فإنهما إذا اجتمعنا قوى كل منهما صاحبه، كما أن النار في الظلمة نور للبصر، وأنشد:
إذا لم يكن للمرء عقلٌ يزينه ... مع الناس لم يجعل له مشفقٌ عقلاً
** وقال آخر:

ولا خير في حسن الجسوم وطولها ... إذا لم يزن حسن الجسوم عقول
** وقال أردشير بن بابك: نموّ العقل بالعلم.
** وكتب عمر بن عبد العزيز -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، إلى بعض عماله: أما بعد، فإنّ العقل المفرد لا يقوى به على أمر العامّة، ولا يكتفي به في أمر الخاصّة، فأحي عقلك بعلم العلماء والأشراف من أهل التجارب والمروءات، والسّلام.
** قال أيوب بن القريّة: الناس ثلاثة: عاقل، وأحمق، وفاجر، فالعاقل: الدّين شريعته، والحلم طبيعته، والرأي الحسن سجيّته، إن نطق أصاب، وإن سمع وعى، وإن كَلَّمَ أجاب.

والأحمق: إن تكلم مجل، وإن حدّث وهل، وإن استنزل عن رأيه نزل.
وأما الفاجر: فإن ائتمنته خانك، وإن صحبته شانك.
** قال مطرف بن الشّخير: عقول كلّ قوم على قدر زمانهم.
** كان يقال: ستّ خصال تعرف في الجاهل: الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعطيّة في غير موضعها، وإفشاء السّر، والثقة بكلّ أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه.

** قيل لابن شُبْرمة: ما حدّ الحمق؟ قال: لا جدّ له.
** سئل بعض الحكماء عن العقل، فقال: الإصابة بالظّنون، ومعرفة ما لم يكن بما قد كان.

** كان يحيى بن خالد، يقول: ثلاثة أشياء تدلّ على عقول أربابها: الكتاب على مقدار عقل كاتبه، والرسول على مقدار عقل مرسله، والهدية على مقدار عقل مهديها.

** قال ابن الأعرابي: سمي الرجل أحمق، لأنه لا يميز كلامه من رعونته، قال: والحمق أيضاً الكساد، يقال: انحمقت السوق إذا كسدت، ومنه الرجل الأحمق لأنه كاسد العقل لا ينتفع برأيه ولا بعزمه.

والحمق أيضاً: الغرور، يقال: سرنا في ليالٍ محمّقات، إذا كان القمر فيهن يستتر بغيم أبيض رقيق، فيغترّ الناس بذلك يظنون أن قد أصبحوا فيسيرون حتى يملوا.

قال: ومنه أخذ اسم الأحمق لأنه يغرك في أوّل مجلسه بتعاقله، فإذا انتهى إلى آخر كلامه تبين حمقه.

وقيل للرجلة البقلة الحمقاء، لأنّها تنبت في مسيل الماء، وفي طريق الإبل، فهي أبداً مدوسة.

** وفي الخبر المرفوع: "للعاقل خصال يعرف بها: يحلم عمن ظلمه، ويتواضع لمن هو مثله، ويسابق بالبر من هو فوقه، وإذا رأى باب فرصة انتهزها، لا يفارقه الخوف، ولا يصحبه العنف، يتدبر ثم يتكلم غنم، وإن سكت سلم، وإن عرضت له فتنة اعتصم بالله ثم تنكّبها

وللجاهل خصال يعرف بها: يظلم من خالطه، ويتكلم بغير تدبر فيندم، فإن تكلم أحم، وإن سكت سها، وإن عرضت له فتنة أردته، وإن رأى باب فضيلة أعرض عنها.

ذكر المغيرة بن شعبة يوماً عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فقال: كان والله أفضل من أن يخذع، وأعقل من أن يخذع.

** في كتاب "كليلة ودمنة": رأس العقل التمييز بين الكائن والممتنع.

** قال الحجاج يوماً: العاقل من يعرف عيب نفسه، قال عبد الملك: فما عيبك؟ قال: أنا حسودٌ حقود، قال عبد الملك: ما في إبليس شرٌّ من هاتين.

** قال الحسن البصري: صلة العاقل إقامةً لدين الله، وهجران الأحمق قربة إلى الله، وإكرام المؤمن خدمةً لله وتواضع له.

** قال عبد بن الحسن: حمق الرجل يفسد دينه، ولا دين لمن لا عقل له.

وكان لا يجيز شهادة الأحمق العفيف، فكلم في ذلك، فقال: سأريكم. ودعا بحاجبه فقال: يا ممدود، انظر لي ما الرّيح؟ فخرج ثم رجع، فقال: هي شمالٌ يشوبها شيءٌ من الجنوب. فقال: أترون أن أجيز شهادة مثل هذا؟!

** قال أردشير: رضاء المرء عن نفسه دليل على عقله.

** قال أنو شروان: ثقة الرجل برأيه، وإقراره بتوفير عقله، دليل على عقله.

** قيل: هل ينتهي من أول الرّجر أحمق

** كان يقال: إذا تمّ العقل نقص الكلام.

** قال علي بن أبي طالب: لا تؤاخ الأحمق، ولا الفاجر، أمّا الأحمق فمدخله ومخرجه شين عليك، وأمّا الفاجر: فيزيّن لك فعله، ويود أنك مثله.

** قال سابق:

المرء يجمع والزّمان يفرّق ... ويظللّ يرفع والخطوب تمزّق

ولئن يعادى عاقلاً خيراً له ... من أن يكون له صديقٌ أحمق

** سمع عمر بن العزيز رجلاً يكنى أبا العميرين، فقال: لو كان لك عقل كفكف أحدهما.

** قال الحسن: هجرة الأحمق قربة إلى الله تعالى.

** قال بعض الحكماء: ينبغي للعاقل أن يتمسك بستّ خصال: أن يحفظ دينه، ويصون عرضه، ويصل رحمه، ويحفظ جاره، ويرعى حقّ إخوانه، ويجزن عن البذاء لسانه.

** كان الحسن البصرى إذا أخبر عن أحد بصلاح، قال: كيف عقله؟ ثم يقول: ما يتم دين امرئٍ حتى يتم عقله.

** روى أنه لما أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض، أتاه جبريل، فقال: يا آدم! إن الله تعالى قد أحضرك ثلاث خصالٍ لتختار منهنّ واحدة، وتخلّي عن اثنتين.

قال: وما هنّ؟ قال: الحياء والدين والعقل: قال آدم: إني اخترت العقل.

** قال جبريل للحياء والدين ارتفعا فقد اختار العقل، قالوا: لا نرتفع، قال: ولم عصيتما؟ قالوا: لا، ولكننا أمرنا ألا نفارق العقل حيث كان.

** كان يقال: لا تعتمدّ بمن ليس له عقده من عقل.

** قال بعض الحكماء: وكّل الحرمان بالعقل، والرزق بالجهل، ليعتبر العاقل فيعلم أنّ الرزق ليس عن حيلة.

** قيل لزرعة بن ضمرة: متى عقلت؟ قال: يوم ولدت. قيل: وكيف ذلك؟ قال: منعت الثدي فبكيت، وأعطيتها فسكت.

** قال الحسن: لأننا للعاقل المدبر، أرجى منّي للأحمق المقبل.

** قال الأوزاعي: قيل لعيسى عليه السلام يا روح الله! أنت تبرى الأكمه والأبرص وتحبي الموتى بإذن الله، فما دواء الأحمق؟ قال: ذلك أعياني.
** كان يقال: الأحمق بشأنه أعلم من العاقل بشأن غيره.

** قال زيد بن أسلم، قال لقمان لا بنه: يا بني لئن يقصيك الحكيم خيرٌ من أن يدنيك الأحمق.

** قال عمر بن عبد العزيز: خصلتان لا تعدمك إحداهما من الأحمق، أو قال من الجاهل: كثرة الالتفاف، وسرعة الجواب.

** كانوا يعبرون عن الأحمق بالجاهل، ومن ثم قالوا: غضب كسرى على عاقل فسجنه مع جاهل. يريدون سجنه مع أحمق، ويعبرون أيضاً عن العاقل بالحلّم، قال الشاعر:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه

فكم من جاهلٍ أردى ... حليماً حين واخاه

يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هو ماشاه

** قال سهل بن هارون: ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء: الغضبان: والغيران، والسكران. قيل: فما تقول في المنعظ؟ قال:

وما شرّ الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصبحينا

** قال تمام بجيح: إذا قام ذكر الرجل، ذهب ثلثا عقله.

** قال هشام بن عبد الملك: يعرف حمق الرجل بأربع: بطول لحيته، وشناعة كنيته ونقش خاتمته، وإفراط شهوته. فدخل عليه ذات يوم رجل طويل العنثون، فقال هشام:

أما هذا فقد جاء بوحدة، فانظروا أين الثلاث؟ قالوا: أنا أبو الياقوت الأحمر. قالوا: فما نقش خاتمك؟ قال: {وجاءوا على قميصه بدمٍ كذب}.

** وفي خبر آخر: أن معاوية جرت له مثل هذه الحكاية، إلا أن في خبر معاوية، قيل له: فما كنييتك؟ قال: أنا أبو الكوكب الدرّي. قيل له: فما نقش خاتمك؟ قال: " وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين "

** قال بعض الحكماء: من الحمق التماس الإخوان بغير وفاء، والتماس الآخرة بالرياء. والتماس مودة النساء بالغلظة، والتماس العلم والفضل بالدعة والخفض.

** سمع الأحنف رجلا يقول: ما أبالي أمدحت أم هجيت. فقال: استرحت من حيث تعب الكرام.

** وقالت العرب: استراح من لا عقل له.

** وقالت الفرس: مات من لا عقل له.

باب من أجوبة الحمقى

ومراجعة السخفاء، وألفاظ التوكى [الحمقى] والجهلاء

** استعمل معاوية رجلاً من كلب، فذكر المجوس يوماً، فقال: لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم، ما نكحت أمي فبلغ ذلك معاوية، فقال: قبحه الله! أترونه لو زيد فعل؟!!

** قال أبو عبيدة: أجريت الخيل فطلع منها فرسٌ سابق، فإذا رجلاً من النظارة يكرّ ويشب من الفرح، فقال له رجل إلى جنبه: يا فتى! هذا الفرس فرسك؟ قال: لا، ولكن اللجام لجامي.

** أرسل رجلاً من بني عجل بن لجيم فرساً في الحلبة، فجاء سابقاً، فقال لابنه: يا بني! بأي شيء أسميه؟ فقال: يا أبت افقأ عينه وسمه الأعمور.

** قال أبو كعب القاصّ في قصصه: إن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال في كبد حمزة ما علمتم، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة.

** وقال أيضاً في قصصه: إن اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا، قالوا له: فإن يوسف لم يأكله الذئب، قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

** وتلا في قصصه يوماً قول الله عز وجل: {يتجرعه ولا يكاد يسيغه}. فقال: اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه.

** قيل لبردعة الموسوسر: أيما أفضل غيلان أم معلّى؟ قال: معلّى، قالوا: ومن أين؟ قال: لأنه لما مات غيلان، ذهب معلّى إلى جنازته، فلما مات معلّى لم يذهب غيلان إلى جنازته.

** رفع رجلاً من العامة ببغداد إلى بعض ولائها على جار له أنه يتزندق، فسأله الوالي عن قوله الذي نسبه به إلى الزندقة، فقال: هو مرجئ قدريّ ناصبي رافضي، من الخوارج، يبغض معاوية بن الخطّاب الذي قتل عليّ بن العاص. فقال له ذلك الوالي: ما أدري على أي شيء أحسدك؟ أعلى علمك بالمقالات، أم على بصرك بالأنساب.

** كان قوم من أهل العلم يتناظرون في أمر معاوية وعلي ويذكرون أبا بكر وعمر، وكان قريباً منهم رجل من العامة ينسب إلى أنه من أعقلهم وكان ذا سبلةٍ طويلة فقال لهم: كم تطنبون في أمر عليّ ومعاوية وفلان وفلان!! فقال له أحد القوم: وتعرف أنت من علي ومعاوية وفلان وفلان؟ قال: نعم! أو ليس هو أبو فاطمة؟ قال: ومن كانت فاطمة؟ قال: امرأة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بنت عائشة أخت معاوية. قال: فما كان قصة عليّ؟ قال: قتل في غزاة حنين مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

** دخل رجلٌ من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم، فقال: أصلح الله الشيخ، لقد سمعت في السوق الساعة شيئاً منكراً، ولا ينكره أحد قال: وما سمعت؟ قال: سمعتهم يشتمون الأنبياء! قال: ومن المشتوم من الأنبياء؟ قال: سمعتهم يشتمون معاوية. قال: يا أخي ليس معاوية بنبيّ. قال: فهبه نصف نبيّ لم يشتم.

** قال عمرو بن بحر: ذكر لي شيخٌ من الإباضية أنه جرى عنده ذكر الشيعة يوماً فغضب وشتّمهم وأنكر ذلك عليهم إنكاراً شديداً. قال فأتيته يوماً فسألته عن سبب إنكاره على الشيعة ولعنه لهم فقال: لمكان الشين في أول الكلمة، لأني لم أجد ذلك قطّ إلا في مسخوط، مثل شومٍ وشرّ وشيطانٍ وشيخٍ وشحّ وشغبٍ وشعبٍ وشركٍ وشتّمٍ وشقاقٍ وشطرنجٍ وشينٍ وشاني وشحطٍ وشوصةٍ وشوكٍ وشكوىٍ وشنانٍ.

فقلت له: إن هذا كثير، ما أظنّ أن القوم تقيم لهم علماً مع هذا أبداً كان عندنا رجل شاهدناه، وكان من جيراننا على غاية من الجهل والغباوة، وكان إذا سلّم من صلاته في جماعة أو وحده، يقول: السّلام على الملكين الكاتبين لأبي بكر وعمر، وكان ألثغ يجعل مكان الكاف تاء.

** اشترى باقل، وهو رجل من قيس بن ثعلبة عنزاً بأحد عشر درهماً، فقالوا له: بكم اشتريت الغز؟ ففتح كفيّه وفرّق أصابعه، وأخرج لسانه، يريد أحد عشر درهماً، فلما عيره، قال:

يلومون في حمقه باقلاً... كأنّ الحماقه لم تخلق
فلا تكثروا العدل في عيه... فللعيّ أجمل بالأحمق
خروج اللسان وفتح البنان... أحب إلينا من المنطق

** ذكر الصّولي عن ابن الجوهريّ ضرباً من العيّ والحماقة والجهل، وكان له تسبيح ظريف يسبحه بإثر كل صلاة: سبحانك يا عالمين، والحمد لله الأكرمين، ولا إله إلا الله الطيبين، والصلاة على النبي المباركين، وأزواجه أمهات المؤمنين، ونسأل الله خيراً عوائق الأمور.

** رأى معاوية بن مروان بن الحكم حمار طاحونة في عنقه جلجل في حانوت طحان، فقال له: ما بال هذا الحمار في عنقه جلجل؟ فقال: أنا مشغول في علاجي وطلب معيشتي خارج الحانوت، وبحركة الجلجل أعرف وقوف الحمار فأحرّكه للممشى، فقال له معاوية له: أرايت إن وقف الحمار وحرّك رأسه فتحرك الجلجل؟ قال الطحان: ومن لحماري بمثل عقل الأمير؟! ومعاوية هذا هو الذي أمر بغلق باب المدينة إذ انفلت له البازي.

** قال طحطاح لابنه يوماً: ما الذي تشتهي؟ قال: رأسي كبشٍ. فقال له أبوه: لا يكون للكبش رأسان، قال: فرأس كبشين، فضحك منه.

** قيل لمخنث: مالكم تحلقون لحاكم؟ فقال: إن البرد لا تعرف إلا بحذف أذناها.
** دخل راكب البريد يوماً على المأمون، فقال له: متى خرجت، أو متى قدمت؟ فقال له: بعد غد يا أمير المؤمنين. فقال له المأمون: فإذا أتيتنا وبيننا وبينك مرحلتان.

** مرض رجلٌ من الأعراب، فعاده جاره، وقال له: ما تجد؟ قال: أشكو دملاً أهلكني، وزكاماً أضربني. قال له: فقد بلغنا أن إبليس لا يحسد على شيء من الأمراض إلا على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة.

** سلم فزارة صاحب المظالم بالبصرة على يساره في الصلاة، فقيل له في ذلك فقال: كان على يميني إنسان لا أكلمه.

** وقال فزارة يوماً في مجلسه: لو غسلت يدي مائة مرة ما تنظفت، أو أغسلها مرتين وفيه يقول ابن المعدل:

ومن المظالم أن تكون ... على المظالم يا فزارة

** تقدم رجل مع خصمه إلى قاض، فقال: أصلح الله القاضي، لي عند هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا. فقال القاضي لخصمه: ما تقول فيما سمعت من دعوى خصمك؟

فقال: لا أعرف شيئاً فيما يقول، وأنا منكر لما يدعيه. فقال للمدعى: هات بينه إن كان لك. فأتاه برجلين فجلسا بين يديه، فقال لهما: بم تشهدان؟ قالا: نشهد أن لهذا الرجل على هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا لدعوى خصمه.

فقال لهما: قد قبلتكما. قم يا زاني ابن الزانية، فأد ما شهدا به. فقال المشهود عليه:

أيها القاضي! إن كان هؤلاء استحلوا قذفي وقذف أمي بجهلهم، فما الذي استحللت به أنت ذلك مني؟ فقال: والله يا ابن أخي ما حسبت إلا أنه اسمك واسم أمك، لأنك لم تنكر ذلك على خصمك ولا على شاهديه.

**مر قاضٍ بواسطة أو بحمص على السوق في يوم رمضان، فرأى رجلاً قد صنع معزفاً، فوقف عليه وقال: أيها الفاسق في الشهر المبارك تعمل آلات اللهو وظروف الشرِّ فقال: أصلح الله القاضي، إنما هي مقلاة قال: لعن الله الشيطان ما حسبتها إلا معزفاً، فنهض شيئاً ثم عاد إليه، فقال له: يا فاسق؟ وكيف تكون مقلاة من خشب؟ هذا محال. فقال له: يا قاضي إني أطليها بالقار، فلا تؤثر فيها النار. قال: صدقت، ثم انصرف عنه.

**وُلِّيَ رجلٌ مقلَّ قضاء الأهواز، فأبطأ عليه رزقه، وحضر عيد الأضحى وليس عنده ما يضحى به ولا ما ينفق، فشكا ذلك إلى زوجته، فقالت له: لا تغتم، فإن عندي ديكاً جليلاً قد سمنته، فإذا كان عيد الأضحى ذبحناه. فلما كان يوم الأضحى، وأرادوا الديك للذبح، طار على سقوف الجيران، فطلبوه وفشا الخبر في الجيران، وكانوا مياسير، فرقوا للقاضي، ورثوا لقلّة ذات يده، فأهدى إليه كلّ واحد منهم كبشاً، فاجتمعت في داره أكبش كثيرة، وهو في المصلى لا يعلم، فلما صار إلى منزله، ورأى ما فيه من الأضاحي قال لامرأته: من أين هذا؟ قالت أهدى إلينا فلان وفلان - حتى سمّت جماعتهم - ما ترى. قال: ويحك احتفظي بديكنا هذا فما فدى إسماعيل بن إبراهيم إلا بكبش واحد، وقد فدى ديكنا بهذا العدد.

باب الملح وما به النفس ترتاح من مباح المزاح

** قال الأصمعي: وصلت بالعلم، وكسبت بالملح.

** قال عبد الرحمن بن أبي الزناد: قلت لأشعب: أنت شيخ كبير، فهل رويت شيئاً من الحديث؟ قال: بلى! حدثني عكرمة عن ابن عباس، عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أنه قال: (خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة). قلت: وما هما؟ قال: نسيت أنا واحدة، ونسي عكرمة الأخرى.

** كان أشعب الطَّمع كثير الإلمام بسالم بن عبد الله بن عمر، فأتاه يوماً وهو في حائط مع أهله، فمنعه البواب من الدخول عليه من أجل عياله، وقال: إنهم يأكلون. فمال عن الباب، وتسوّر عليهم الحائط، فلما رآه سالم، قال: سبحان الله يا أشعب! على عيالي وبناتي تتسوّر. فقال له {لقد علمت مالنا في بناتك من حقّ، وإنك لتعلم ما نريد}. فقال له: انزل يأتك من الطّعام ما تريد.

** أخذ قومٌ في قطع، فقدموا لضرب أعناقهم، فقام منهم واحدٌ، وقال: الله الله فيّ، فوالله ما كنت في شيء مما كانوا فيه، وإنما كنت أشرب معهم وأغتنّي لهم، فقالوا: هات فغنّ لنا، فارتجت عليه الأشعار إلا قول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكلّ قرينٍ بالمقارن مقتدى

فقالوا: صدق. اضربوا عنقه.

** كان بعض أمراء خراسان يتشاءم بالحول، فمتى رأى أحول ضربه بالسيّاط، وربما ضرب بعضهم خمسمائة سوط، وحدث أنه ركب في بعض الأيام، فرأى أحول فأمر بضربه، وكان الأحول جلدًا، فلما فرغ من ضربه، قال له: أيها الأمير! أصلحك الله، لم ضربتني؟ قال: لأني أتشاءم بالحول. قال: فأينا أشدّ شؤماً على صاحبه، أنت رأيتني ولم يصبك إلا خير، وأنا رأيتك فضربتني خمسمائة سوط، فأنت إذا أشدّ شؤماً. فاستحيا منه ولم يضرب بعده أحداً.

** كانت في سعيد بن فروخ بن القطان، والد يحيى سعيد الفقيه، غفلة شديدة مشهورة، فخرج يوم الجمعة وقد تهيأ للصلاة، فلقي رجلاً من أهل البصرة كثير المزاح، فقال له: قد أخرجوا الجمعة إلى غد، فقال: حسن. ورجع إلى منزله.

** كان إسماعيل بن يسار الشاعر قد خفّ على عروة بن الزبير حتى زامله مرةً بعض أسفاره، فقال ليلةً في سفره ذلك لغلّامه: انظر هل اعتدل المحمل؟ فقال الغلام: ما هو إلا معتدل، فقال إسماعيل: والله ما اعتدل الحقّ والباطل قبل هذه الليلة، فضحك عروة.

** قال الأصمعيّ: قدم تاجرٌ من أهل الكوفة المدينة بأخمرة فباعها كلها إلاّ السّود منها، فلم تنفق، وكان صديقاً للدراميّ الشاعر، فشكا ذلك إليه، وقد كان الدراميّ تنسك، وترك الشعر والغناء. فقال له: لا تهتمّ بذلك فإنّي سأنفقها لك حتى تبيع جميعها إن شاء الله تعالى، ثم قال:

قل للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا صنعت بزاهدٍ متعبّد
قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حتى عرضت له بباب المسجد
ردّي عليه صيامه وصلاته ... لا تقلبه بحقّ دين محمّد

فشاع قول الدراميّ هذا في الناس: وقالوا: رجع الدراميّ عن نسكه، وعاد إلى فتكه، فلم يبق في المدينة امرأةً ظريفةً إلا ابتاعت خمراً أسود حتى نفذ ما كان منها مع العراقي، فلما علم الدراميّ ذلك، رجع إلى نسكه ولزم المسجد.

والدراميّ هذا أصله مكّي، ثم انتقل إلى المدينة زمن عمر بن عبد العزيز، وعاش إلى خلافة بني العباس، وانقطع إلى عبد الصمد بن علي وكان شاعراً مطبوعاً، ترك ذلك وتنسك، وهو القائل:

ولما رأيتك أوليتني ال ... قبيح وباعدت عني الجميلا
تركت وصالك في جانب ... وصادفت في الناس خلاّ بديلا

** طويس الذي تضرب به العرب المثل في الشؤم، هو رجلٌ من أهل المدينة مولى لبني مخزوم، واسمه عيسى بن عبد الله، وهو أول من أظهر الخنا والجون بالمدينة، وكان مغنيا يضرب الدف، وسئل عن ولادته فقال، ولدت يوم مات النبي -صلى الله عليه-

وَسَلَّمَ-، وفطمت يوم مات أبو بكر، وختت يوم قتل عمر، وتزوجت يوم قتل عثمان، وولد لي يوم قتل علي بن أبي طالب فيقولون في أمثالهم السائرة. أشأم من طويس.

** كان الشعبي يوماً جالساً في مجلسه، والناس يتناظرون في الفقه عنده، معه شيخ يطيل السكوت، ف قيل له يوماً: لو سألت عن مسألة تنتفع بها، فقال: إني لأجد في قفائي حكمة، أفترى لي أن أحتجم؟ فقال الشعبي: الحمد لله الذي صرنا من الفقه إلى الحجابة.

** مر بالشعبي يوماً رجل يقود حماراً، فقال له: ما اسمك؟ قال: وردان. قال: وما اسم حمارك؟ قال: عمران. قال الشعبي: واخلافاه!!

مر رجل معه كلب بابن أبي عتيق، فقال له: ما اسمك؟ قال: وثأب. قال: وما اسم كلبك؟ قال: عمرو، فقال ابن أبي عتيق: واخلافاه، وأنشد:

ولو هيا له الله ... من التوفيق أسبابا

لسمى نفسه عمراً ... وسمى الكلب وثأبا

** قيل لمدني: أما تتقي الله، تؤذي جيرانك؟! قال: فمن أذى إذأ؟ أذى من لا أعرفه؟!!

** كان الفرزدق جالساً في حلقة الحسن رحمه الله، فقال رجل: يا أبا سعيد! ما تقول في الرجل يحكي عن غيره، يقول: قال فلانٌ طلقت امرأتى، وأعتقت عبدي، وفعلت وفعلت ولا نية له في ذلك. فقال الفرزدق: يا أبا سعيد: قد قلت أنا في ذلك. فقال: وما قلت يا أبا فراس؟ فليس كل قول يؤخذ به. قال: قلت:

ولست بمأخوذٍ بشيءٍ تقوله ... إذا لم تعمّد عاقدات العزائم

قال الحسن: صدق أبو فراس، القول ما قال.

** اعترض الإسكندر جيشه يوماً، فرأى فيهم رجلاً أعرج، فأمر بإسقاطه، فضحك الأعرج. فقال له الإسكندر: مم ضحكك؟ وقد أسقطتك. فقال: تعجبا منك لحبك آلة الهروب، وكراحتك آلة الوقوف، لأن معي آلة الوقوف في الحرب وتسقطني، فأمر بإثباته في خاصته، وأسنى رزقه.

** سمع ابن أبي عتيق يوماً نصيباً الشاعر، وكان أسود، ينشد لنفسه:

وددت ولم أخلق من الطير أني ... أعار جناحي طائر فأطير

فقال له ابن أبي عتيق: يا ابن أخي! قل: غاق تطر. شبهه بالغراب لشدة سواده.
هاج بأبي علقمة الأعرابي الدم، فأتوه بحجام، قال له: يا حجام! أشدد قصبه الملزم،
وأرهف طبة المشرط، وأسرع الوضع، وعجل النزع، وليكن شرطك وخزاً، ومصك نهنزاً.
فقام الحجام ناهضاً، وقال: انتظر حتى يأتيك ابن القرية فيحجمك.

** قال الهيثم بن عدى: كنت يوماً بكناسة الكوفة إذ أنا برجل قد وقف على نخاس
الدواب، فقال له: اطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر، ولا بالكبير المشتهر، إن خلا
الطريق تدفق، وإن كثر الزحام ترفق، لا يصادم في السواري، ولا يدخل تحت البواري،
إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرته له شكر، وإن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام.
فقال له النخاس: اصبر يا عبد الله، فإذا مسخ القاضي حماراً، أصبت حاجتك إن
شاء الله تعالى.

** خطب أبو القطفوف إلى قوم ولية لهم، فأجابوه، وقالوا لها من الضياع والمال كذا
وكذا، فما مالك أنت؟ قال: إن كنتم صادقين فإن مالها يكفيني وإياها ما عشنا، فما
سؤالكم عن مالي؟!

** قال الرياشي: خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال رمضان، فرآه رجل منهم، ولم
يزل يومئذ إليه حتى رآه غيره وعينوه، فلما كان هلال الفطر، جاء الجار إلى ذلك الرجل،
فدق عليه الباب، وقال له: تعال أخرجنا مما أدخلتنا فيه.

باب المزاح إباحتها وكراهة

** عن بكر بن عبد الله المزني قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنِّي لَأَمْزُحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا». [صحيح الجامع]

** قال ابن عباس: المزاح بما يحسن مباح، وقد مزح رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلم يقل إلا حقاً.

** قال غالب القطان: أتيت محمد بن سيرين، وكان مزاحاً فسألته عن هشام ابن حسان، فقال لي: توفي البارحة، أما شعرت؟ فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون. فضحك وقال: {الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى}.

** جاءت امرأة إلى الحسن، فقالت: إني نذرت أن أهدي البصرة إلى مكة، فقال: ويحك إن أهل البصرة لا يدعونك تهدى بصرتهم، ولو تركوك ما قدرت، كفري عن يمينك.

** وفي الحديث المأثور: " أن عيسى عليه السلام كان يبكي ويضحك، وكان يبكي عليه السلام يبكي ولا يضحك، فكان خيرهما المسيح عليه السلام ".

** قال خليفة بن زيد: كان خليفة الأقطع مزاحاً، وكان يقف على أبواب السخثياني فيمازحه.

** قال حماد: وجاء خليفة الأقطع يوماً إلى أيوب، وأنا غلام بين يديه، فقال له: يا أبا بكر متى استحدثت هذا؟ يعني متى طلب هذا الحديث.

** وروى هارون بن موسى الأعمور عن سالم العلوي، قال: قال لي الحسن: خلّ بين الناس وبين هلالهم حتى يراه معك غيرك.

وكان شعبة يقول: سالم العلوي يرى الهلال قبل الناس بليلتين.

** قال الخليل بن أحمد: الناس في سجن ما لم يمازحوا.

** مزح الشعبي يوماً، فقيل له: يا أبا عمرو أفتمزح؟ قال: إن لم يكن هذا متنا من الغم داخل، وهواء خارج.

** كان محمد بن سيرين يداعب ويضحك حتى يسيل لعابه، فإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك.

** قيل لابن سيرين: إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء، فعجب من جهلهم، وكان في المسجد، فتمثل:

نبئت أن فتاة كنت أخطبها ... عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول
ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحاً لصلاته.

** وقال شعبة: أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مرة بيت شعر غزل، ثم افتتح الصلاة، وكان إمامهم.

** وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميمة العاقبة، ومن التوصل إلى الأعراس، واستجلاب الضغائن، وإفساد الإخاء.

** كان يقال: لكل شيء بدء، وبدء العداوة المزاح.

** كان يقال: لو كان المزاح فحلاً، ما ألقح إلا الشر.

** قال سعيد بن العاص: لا تمازح الشريف فيحقد، ولا الدينئ فيجتري عليك.

** قال ميمون بن مهران: إذا كان المزاح أمام الكلام فأخره الشتم واللطام.

** قال جعفر بن محمد: إياكم والمزاح، فإنه يذهب بماء الوجه.

** كان خالد صفوان يكره المزاح، ويقول: يسعط أحدهم أخاه بأحر من الخردل ويضحكه بأصلب من الجنديل، ويفرغ عليه أشد من المرجل، ويقول: مازحته.

** قال إبراهيم النخعي: لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر.

** قال أبو هفان:

مازح صديقك ما أحب مزاحاً ... وتوق منه في المزاح جماحاً

فلربما مزح الصديق بمزحةٍ ... كانت لباب عداوةٍ مفتاحاً

** وقال ابن وكيع:

لا تمزحَنَّ فإن مزحت فلا يكن ... مزحاً تضاف به إلى سوء الأدب

واحذر ممازحةً تعود عداوةً ... إن المزاح على مقدمة الغضب

** ولأبي جعفر محمد بن جرير الطبري:

لي صاحب ليس يخلو ... لسانه عن جراح

يجيد تمزيق عرضي ... على سبيل المزاح

** عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَالِسٌ وَحْدَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي!، قَالَ: "أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي!، قَالَ: "عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي!، قَالَ: "إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي!، قَالَ: "عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي!، قَالَ: "أَحِبَّ الْمَسَاكِينَ وَجَالِسَهُمْ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي!، قَالَ: "انظُرْ إِلَى مَنْ تَحْتَكِ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تُزْدِرَى نِعْمَةً اللَّهِ عِنْدَكَ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي!، قَالَ: "قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مَرًّا" [ابن حبان، صحيح الترغيب والترهيب]

** قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: من كثر ضحكته استخف به وذهب

بهاؤه.

** وقال غيره من الحكماء: إياك والمشي في غير أرب، والضحك من غير سبب.

** قال قتيبة بن مسلم لبنيه: لا تمازحوا فيستخف بكم، ولا تدخلوا الأسواق فترقّ أخلافكم، ولا تبخلوا فيزدريكم أكفاؤكم.

** قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن علي بن المعتصم:

الكبر ذل والتواضع رفعة ... والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص ذل والقناعة عزة ... واليأس من صنع الإله قنوط

** وقال آخر:

فإياك إياك المزاح فإنه ... يجرى عليك الطفل والدنس النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورثه من بعد عزته ذلاً

فهؤلاء كرهوا المزاح ودموه، ولم يستثنوا منه قليلاً من كثير

باب مدح الصدق والأمانة ذم الكذب والخيانة

** عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: لَا تَنْظُرُوا إِلَى صَلَاةِ أَحَدٍ وَلَا إِلَى صِيَامِهِ، وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى مَنْ إِذَا حَدَّثَ صَدَقَ، وَإِذَا أَوْثَمَنَ أَدَّى، وَإِذَا أَشْفَى وَرِعَ. [السنن الكبرى للبيهقي]

أي: إذا أشرف على معصية كف

** وفي مسند أحمد عن رجلٍ من أهل مَكَّةَ يُقَالُ لَهُ: يُوسُفُ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ نَلِي مَالَ أَيْتَامٍ، قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ قَدْ ذَهَبَ مِنِّي بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، قَالَ: فَوَقَعْتُ لَهُ فِي يَدِي أَلْفَ دِرْهَمٍ، قَالَ: فَقُلْتُ لِلْقُرَشِيِّ: إِنَّهُ قَدْ ذَهَبَ لِي بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، وَقَدْ أَصَبْتُ لَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ. قَالَ: فَقَالَ الْقُرَشِيُّ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ) [حسن لغيره]

** وقال سعد: كل الخصال يطبع عليها المؤمن، إلا الخيانة والكذب.

** وقال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: من كانت له عند الناس ثلاثة وجبت له عليهم ثلاث: من إذا حدثهم صدقهم، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفى لهم، وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم، وتنطق بالثناء عليهم ألسنتهم، وتظهر له معونتهم. ** قيل للقمان الحكيم: أأست عبد بن فلان؟ قال: بلى. قيل: فما بلغ بك ما نرى؟ قال: تقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني.

** قال نافع: طاف ابن عمر سبعا، وصلى ركعتين، فقال له رجل من قريش: ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن وخرجت فقال ابن عمر: أنتم أكثر منا طوافاً وصياماً، نحن نلتزم صدق الحديث، وأداء الأمانة، وإنجاز الوعد.

** قال الحسن البصري: لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه.

** كان يقال: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة.

** قال الشاعر:

إن الأمير إذا استعان بخائن... كان الأمير شريكه في المأثم

** قال الفارابي: كنت عند الأوزاعي إذ جاءه رجل فقال: يا ابا عمرو هذا كتاب صديقك فلان من بلاد كذا، وهو يقرأ عليك السلام. فقال له: متى قدمت؟ قال أمس. قال: ضيعت أمانتك لاكثر الله في المسلمين أمثالك.

** وفي الحديث المرفوع: (الصدق يهدي إلى البرّ، والبرّ يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار).

** يقال: صدق وبرّ، وكذب وفجر.

** قال بعض الحكماء: من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه.

** قالوا: الصدق عز، والكذب خضوع.

** قال الحسن: خرج عندنا رجل بالبصرة، فقال: لأكذبن كذبه يتحدث بها الوليد، قال الرجل: فما رجعت إلى منزلي حتى ظننت أنها حق لكثرة ما رأيت الناس يتحدثون بها.

** قال لقمان لابنه: يا بني! احذر الكذب فإنه شهى كلحم العصفور، من أكل شيئاً منه لم يصبر عنه.

** عوتب بعض الأعراب على الكذب، فقال للذي عاتبه: والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عنه.

** وقال الأصمعي: قيل لكذاب: ما يملك على الكذب؟ فقال: أما إنك لو تغرغرت به مرة ما نسيت حلاوته.

** قيل لكذاب: هل صدقت قط؟ قال: أكره أن أقول لا فأصدق.

باب الحقّ والباطل

** يروي عن مجاشع بن نمشل: "الحق ثقيلٌ، فمن قصر عنه عجز، ومن جاوزه ظلم، ومن انتهى إليه فقد اكتفى".

** قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (لا يبطل حق امرئ وإن قدم). [موطأ عبد الله بن وهب]

** ويروي: "رحم الله عمر بن الخطاب، تركه الحق ليس له صديق".

** لما استخلف أبو بكر عمر، قال لمعيقب الدوسي: ما يقول الناس في استخلافك في عمر؟ قال: كرهه قومٌ، ورضيه آخرون. قال: فالذين كرهوه أكثر أم الذين رضوه؟ قال: بل الذين كرهوه. قال: إن الحق يبدو كريها وله تكون العاقبة، والعاقبة للتقوى.

** قالوا: من قصد إلى الحق اتسمت له المذاهب حجة، ومن تعداه ضاق به أمره، وما هلك امرؤ عرف قدره.

** قالوا: الحكمة تدعو إلى الحق، والجهل يدعو إلى السفه، كما أن الحجة تدعو إلى المذهب الصحيح، والشبهة تدعو إلى المذهب الفاسد.

** قال بعض الحكماء: من جهلك بالحق والباطل، أن تريد إقامة الباطل بإبطال الحق.

** قال الأعرابي، وقد ذكر عنده الإصلاح والإفساد، فقال: لا تمنعن كثيراً من حق، ولا تضعن قليلاً في الباطل، فما حرك حق وباطل إلا كان لهما شهود.

** قال بعض الحكماء: لا يعد الرجل عاقلاً، حتى يستكمل ثلاثاً: إعطاء الحق من نفسه في حال الرضا والغضب، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه، وألا ترى له زلة عند ضجره.

** وقد تقدّم قول أبي العتاهية في باب الرجاء والخوف:

ومن ضاق عنه الحق ضاقت مذاهبه

** لما احتضر أبو بكر الصديق، أرسل إلى عمر، فقال: يا عمر! إن وليت علي الناس فاتق الله، والزم الحق، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم

الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحقّ لميزان إذا وضع فيه الحقّ غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت يوم القيامة، باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحقّ لميزان وضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً، واعلم أن الله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، وأن الله عز وجل ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكركم قلت: إني الخائف ألا ألقى بهم، وأن الله عز وجل ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم، وردّ عليهم أحسنها، فإذا ذكركم، قلت: إني الخائف أن أكون مع هؤلاء، وأن الله عز وجل ذكر آية الرحمة مع آية العذاب، ليكون المؤمن راغباً راهباً لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله فإن أنت حفظت وصييتي، فلا يكون غائباً أحب إليك من الموت وهو آتيك، وإن ضيقت وصييتي فلا يكون غائباً أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه.

** كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية: أن الزم الحقّ، ينزلك الحقّ في منازل أهل الحقّ، يوم لا يقضى إلا بالحقّ.

** أول كتاب كتبه عليّ بن أبي طالب في خلافته: أما بعد، فإنما هلك من كان قبلكم، أتمّ منعوا الحق حتى اشترى، وبسطوا الباطل حتى اقتدى.

** وقال عليّ بن أبي طالب لرجل من الخوارج: والله ما عرفت حتى ظهر الباطل. قال وبرة المكيّ: سمعت عن ابن عباس كلمات هي أحبّ إلى من الدّهم الموقفة، قال: لا تتكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً، فرب متكلم بالحقّ في غير موضعه قد غيب، ولا تمارين سفيهاً ولا حليماً، فإنّ السّفية يؤذيك، والحليم يقليك، ولا تذكرن أخاك إذا غاب عنك إلاّ بمثل ما تحبّ أن ذكرك به إذا غبت عنه، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزئ بالإحسان، ومأخوذ بالإجرام، فقال: رجل عنده: يا ابن عباس! لهذه خير من عشرة آلاف. قال: كلمة منها خير من عشرة آلاف.

** قال ابن مسعود: من كان على الحقّ، فهو جماعة وإن كان وحده.

** قال غيره: الحقّ ثقيل، وطلابه قليل.

** وقال غيره: الحق كثير، والقائلون به يسير.

** وقال غيره: الأحمق يغضب من الحق، والعاقل يغضب من الباطل.

** وكان يقال: من هلك في دولة الباطل، أكثر ممن حي بالباطل.
 ** قال أنو شروان: إذا اشتبهت الأمور فالحق بين التقصير والإفراط.
 ** قال عبد الله بن مسعود: تكلموا بالحق تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله.
 ** قال مالك ابن أنس: إذا ظهر الباطل على الحق ظهر الفساد في الأرض.
 ** وقال: إن لزوم الحق نجاة، وإن قليل الباطل وكثيره هلكة.
 ** قال سعد بن أبي وقاص لسلمان: أوصني. قال: أخلص للحق يخلصك. وأظن
 هذا من قول القائل: أعز الحق يذل لك الباطل.

** كان يقال: من لم يعمل من الحق إلا بما وافق هواه، ولم يترك من الباطل إلا ما
 خف عليه لم يؤجر فيما أصاب، ولم يفلت من إثم الباطل.
 ** قال العتابي:

وما كل موصوف له الحق يهتدي ... ولا كل من أمّ الصوى يستبينها

الصوى: جمع صوة، وهي حجارة تجعل أعلاماً في الطريق.

** قال رجل لخصمه: لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف على الحق.
 ** روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه
 وسلم -: (أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكاد
 أمية بن أبي الصلت أن يسلم).

قالوا: أصدق بيت قالته العرب، قول القائل:

وما حملت من ناقة فوق ظهرها.. أبر وأوفى ذمة من محمد

** قال جعفر بن محمد: ما ناصح الله عبد مسلم في نفسه فأخذ الحق لها، وأعطى
 الحق منها، إلا أعطى خصلتان: رزق من الله يقنع به، ورضى من الله عنه.

** كان بعض الصالحين يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في
 الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع.

باب الحياء والوقار

** روى ابن ماجة عن أنس - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ). [صحيح الترغيب]

** وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ) [مسلم]

** وفي مسند أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ غَرٌّ كَرِيمٌ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ حَبٌّ لَيْمٌ) [حسن]

وقال - صلى الله عليه وسلم -: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ وَيَكْرَهُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ وَيُبْغِضُ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ وَيُحِبُّ الْحَبِيءَ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ) [الجامع الصغير وصححه الألباني]

** قال سليمان عليه السلام: الحياء نظام الإيمان، فإذا نحل النظام ذهب ما فيه.

** وفي التفسير: {ولباس التقوى}. قالوا: الحياء.

** وقالوا: الوقار من الله، فمن رزقه الله الوقار فقد وسمه بسيماء الخير.

** وقالوا: من تكلم بالحكمة لاحظته العيون بالوقار.

** قال الحسن: أربع من كنّ فيه كان كاملاً، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحى قومه: دين يرشده، عقل يسدده، وحسب يصونه، وحياء يقوده.

** قالت عائشة - رضي الله عنها -: رحم الله نساء الأمصار، لم يمنعهن الحياء أن

يسألن عن أمر دينهن.

** وقالت عائشة أيضاً: رأس مكارم الأخلاق الحياء.

** قال الشاعر:

ما إن دعاني الهوى بفاحشةٍ ... إلا نهاني الحياء والكرم

ولا إلى محرم مددت يدي ... ولا مشيت بي لريبةٍ قدم

** عن أبي مسعود: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ

كَلَامِ النَّبِيِّ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ). [البخاري]

** وقال حبيب بن أوس:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقي اللحاء

** وقال صالح بن جناح:

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه ... ولا خير في وجه إذا قلّ ماؤه

** وقال أمية بن أبي الصّلت في ابن جدعان التيمي:

أذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

كريمٌ لا يغيره صباحٌ ... عن الفعل الجميل ولا مساء

إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرضه الثناء

** قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: من كساه الحياء ثوبه، خفي عن الناس

عبيه.

باب حسن الخلق وسوئه

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» [أبو داود، صحيح]

** عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: آخِرُ مَا أَوْصَانِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ جَعَلْتُ رَجُلِي فِي الْغَرَزِ، قَالَ: «حَسِّنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ، مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ».
[موطأ مالك]

** وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ لِيُبْغِضَ الْفَاحِشَ الْبُذِيءَ) [صحيح الأدب المفرد للبخاري] البُذِيءُ: هو بمعنى الفاحش.

** قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: إِنْ الرَّجُلَ لِيَدْرِكَ بِحَسَنِ خَلْقِهِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ بِاللَّيْلِ، الصَّائِمِ بِالنَّهَارِ، الظَّامِئِ بِالْهَوَاجِرِ.

** وَفِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ أَيْضًا: "مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ حَسَنُ خَلْقِهِ، وَمِنْ شِقَايِهِ سَوْءُ خَلْقِهِ".
** مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: الرَّفِيقُ خَيْرٌ قَائِدٌ، وَحَسَنُ الْخَلْقِ خَيْرٌ رَفِيقٌ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السَّوِّءِ، وَالْجَلِيسُ الصَّالِحِ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ.
** كَانَ يُقَالُ: مِنْ سَاءِ خَلْقِهِ قَلَّ صَدِيقُهُ.

** وَفِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعَوْا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بِسَطِّ الْوَجْهِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ). رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبَزَارُ مِنْ طَرُقِ أَحَدِهَا حَسَنٌ جَيِّدٌ. [حسن لغيره]
** قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: إِنْ لَمْ نَكُنْ فِي وَجْهِهِ أَقْوَامٌ، وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَلْعَنُهُمْ.

** رَوَى فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَتِيَابِكُمْ فَطَهَّرْ}، قَالُوا: وَخَلَقَكَ فَحَسِّنْ.

** قَالَ سَفِيَّانُ بْنُ عَيْنَةَ: مِنْ حَسَنِ خَلْقِهِ سَاءَ خَلْقِ خَادِمِهِ.

** كَانَ يُقَالُ: حَسَنُ الْخَلْقِ يَكْسِبُ حَسَنَ الذِّكْرِ.

** قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

عامل الناس بوجهٍ طليقٍ ... والِق من تلقى ببشرٍ رفيقٍ

فإذا أنت جميل الثنا ... وإذا أنت كثير الصّديق

** وقال محمد بن حازم:

وما اكتسب المحامد طالبوها ... بمثل البشر والوجه الطليق

باب مكارم الأخلاق والسؤدد

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)

وفي رواية: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) [الجامع الصحيح للسنن والمسانيد] أخذهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ

ليس ديننا بغير دين وليس الدين ... إلا مكارم الأخلاق
إنما المكر والخديعة في الناس ... هما من فروع أهل التفاف

** وقال آخر:

تزين الفتى أخلاقه وتشينه ... وتذكر أفعال الفتى حيث لا يدري

** خطب ثلاثة إخوة من العرب إلى عمهم ثلاث بنات له، فقال: مرحباً بكم، لا أذم عهدكم، ولا أستطيع ردكم، خبروني عن مكارم الأخلاق. فقال الأكبر: الصون العرض، والجزاء بالقرض. قال الأوسط: النهوض بالثقل، والأخذ بالفضل. قال الأصغر: الوفاء بالعهد، والإنجاز للوعد. قال: أحسنتم في الجواب، ووفقتم إلى الصواب.

** وعن جابر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمِيلٌ يَحِبُّ الْجَمَالَ وَيَحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا) [صحيح الجامع]
** وفي رواية: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَوَادٌ يَحِبُّ الْجُودَ وَيَحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا)

** قال الحسن: مكارم الأخلاق للمؤمن: قوة في لين، وحزم في دين، وإيمان في يقين، وحرص على العالم، واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة، وقناعة في الفاقة، ورحمة للمجهود، وإعطاء في حق، وبر في استقامة.

** قالت عائشة -رضي الله عنها-: خلال المكارم عشر، تكون في الرجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله لمن أحب: صدق الحديث، ومداراة الناس، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتدبم للجار،

وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، ورأسهنّ كلهنّ الحياء.

** قيل لبزرجمهر: أي شيء أنت به أسرّ؟ قال: قدرتي على مكافأة من أحسن إلى.

** قال مصقلة بن هبيرة الشيباني: سمعت صعصعة بن صوحان وقد سأله ابن عباس ما السؤدد فيكم؟ قال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذل التّوال، وكفّ المرء نفسه عن السؤال، والتودّد للصّغير والكبير، وأن يكون التّاس عندك في الحقّ شرعاً. [بسكون الراء وفتحها أي سواء]

** سئل عبد الله بن عمر عن السؤدد؟، فقال: الحلم والجود.

** كان يقال: خير أيام المرء ما أغان فيه المضطر، واكتسب فيه الأجر، وارتحن فيه الشكر، واسترقّ فيه الحرّ.

** قال الأحنف بن قيس يوماً لقومه: إنّما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم، ولكني أبسط لكم وجهي، وأبذل لكم مالي، وأقضي حقوقكم، وأحفظ حرمتكم، فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن زاد عليّ فهو خير مني، ومن زدت عليه فأنا خير منه.

** قيل له: يا أبا محمد! ما يدعوك إلى هذا الكلام؟ قال: أحضنهم على مكارم الأخلاق.

** وقال عبد الله بن عمر: نحن معشر قريش نعدّ الحلم والجود السؤدد، ونعدّ العفاف وإصلاح المال المروءة.

** قال أسد بن عبد الله لرجل من بني شيبان: إن السؤدد فيكم لرخيص. فقال له: أمّا نحن فما نسود إلا فتى يوطئنا رحله، ويفرشنا عرضه، وببذل لنا ماله. قال: أشهد أن السؤدد فيكم لغالٍ.

** قيل لبعض العرب: من السيد فيكم؟ قال: الأحمق في ماله، الذليل في عرضه، المطرّح لحقده، المعتني بأمر عامته.

ورويت هذه القصة للأحنف، أنه سئل: من أسود الناس فيكم؟ فقال: الأخرق في ماله ثم ذكر مثله.

** قال أبو عمرو بن العلاء: كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من كانت فيه ست خصال وتمامها في الإسلام سابعة: السخاء والنجدة، والصبر والحلم، والبيان والحسب. وفي الإسلام زيادة العفاف.

** ذكر لعبد الله بن عمر أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ومعاوية. فقال: كان معاوية أسود منهم، وكانوا خيراً منه.

** قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للأَنْصار يوماً: (من سيّدكم؟) فقالوا: الجَدُّ بن قيس على بخل فيه. فقال عليه السّلام: (أيّ داءٍ أدوأ من البخل؟! بل سيّدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح).

وعن جابر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟) قُلْنَا: جَدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى أَنَّا نُبْخَلُهُ. قَالَ: (وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ، بَلْ سَيِّدُكُمْ: عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ) وَكَانَ عَمْرُو عَلَى أَصْنَامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يُؤَلِّمُ عَنِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا تَزَوَّجَ. [الأدب المفرد للبخاري وصححه الألباني]

** قال بكر بن وائل: ما كان فينا أسود من ثعلبة بن أوس، كان يحلم عن جاهلنا ويعطى سائلنا.

** كان سالم بن نوفل سيد بني كنانة في زمانه، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما، فأتى به سالم، فقال له: ما أمنك من انتقامي؟ قال: فلم سودناك إذا؟ إلا لتكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل، وتحتمل المكروه.

** قال الأصمعي: كان يقال: لا يجتمع عشرة إلا وفيهم مقاتل أو أكثر، ويجتمع ألف ليس فيهم حلیم.

** كان يقال: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة حلیم من سفيه، وبر من فاجر، وشريف من ديني.

** قال الأحنف بن قيس: ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال، إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه.

** قال الحسن البصري: ما سمعت الله عز وجل نحل عباده شيئاً أجلاً من الحلم، فقال عز وجل: {إن إبراهيم لأواه حليم}، وقال: {فبشرناه بغلام حليم}.
** قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: إن السفيف إذا أعرضت عنه اغتم، فزده إعراضاً.

** كان يقال: بحسن السيرة يقهر المناوى، وبالحلم عن السفيف يكثر أنصارك عليه.
** قال الشاعر:

سكت عن السفيف فظن أي ... عييت وما عييت عن الجواب
متاركة السفيف بلا جوابٍ ... أشدّ على السفيف من العذاب
ولا شيء أحبّ إلى سفيفه ... إذا وقع الكريم في السباب

** سبّ الشعبيّ رجل، فقال له: إن كنت كاذباً يغفر الله لك، وإن كنت صادقاً يغفر الله لي.

** قال الشعبيّ: الغضب غول الحلم.

** قال خالد بن صفوان: شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه، فقال: آجرك الله على ما ذكرت من صواب، وغفر لك على ما ذكرت من خطأ، قال: فما حسدت أحداً حسدي عمرو بن عبيد على هاتين الكلمتين.

** قيل للحصين بن المنذر: بم سدت قومك؟ قال: بحسب لا يطمع فيه، ورأى لا يستغنى عنه.

** وذكر السؤدد عند معاوية بن أبي سفيان، فقال: إنه لينتقل في إليّ كما ينتقل الظلّ.

وفي رواية: قال معاوية إن الشرف والسؤدد لينتقلان مع الغنى كما ينتقل الظلّ.

** قيل: كان سفيان بن عيينة يتمثل:

خلت الديار فسدت غير مسود ... ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

** قال عمر بن عبد العزيز لرجل: من سيّد قومك؟ قال: أنا. قال: لو كنته لم تقله.

** قال بعض الحكماء: من ابتغى المكارم فليجتنب المحارم.

باب حمد الحلم وذم السفه

** عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: (إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُجْبُهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ) [مسلم والأدب المفرد
للبخاري]

وأخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري، به، ولفظه: (يا أشج، إنَّ فيك لخصلتين
يُجْبُهُمَا اللَّهُ: الحلم والتؤدة"، قال: يا رسولَ الله، أشيءٌ جُبِلْتُ عليه، أم شيءٌ حدث لي؟
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "بل شيءٌ جُبِلْتُ عليه).

** وفي الأدب المفرد للبخاري بسند صحيح عن أشج عبد القيس - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - قال: قال لي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُجْبُهُمَا اللَّهُ) قُلْتُ
وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الحِلْمُ والحَيَاءُ) قُلْتُ قَدِيمًا كَانَ أَوْ حَدِيثًا قَالَ: (قَدِيمًا) قُلْتُ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ أَحَبَّهُمَا اللَّهُ

قوله: لأشج عبد القيس: اسمه المنذر بن عائذ على الصحيح.

قوله: الحِلْمُ: العقل.

وقوله: الأناة: التثبت وترك العجلة. قيل: سبب ذلك أن الوفد لما وصلوا إلى
المدينة بادروا إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وأقام الأشج عند رحالهم، فجمعها،
وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل، فقرَّبه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وأجلسه
إلى جانبه، ثم قال لهم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "تبايعون على أنفسكم وقومكم؟"
فقال القوم: نعم. قال الأشج: يا رسول الله، إنك لم تراول الرجل عن شيء أشد عليه
من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل إليهم من يدعوهم، فمن اتبعنا كان مِنَّا، ومن أبي
قاتلناه. قال: "صدقت، إنَّ فيك خصلتين ... " الحديث. قال القاضي: الأناة: تَرَبُّصُهُ
حتى نظر في مصالحه، ولم يَعَجَلْ، والحلم: هذا القول الدال على صحة عقله، وجودة
نظره للعواقب.

** قال الشَّعْبِيُّ: زين العلم حلم أهله.

** قال رجاء بن أبي سلمة: الحلم أرفع من العقل، لأن الله تسمَّى به.

- ** قال معاوية: إني لأرفع نفسي أن يكون ذنبي أرجح من حلمي.
- ** وقال معاوية لعمر بن العاص: من أبلغ الناس؟ قال: من ترك الفضول، واقتصر على الإيجاز. قال: فمن أصبر الناس؟ قال: من بذل ديناه في صلاح دينه. قال: فمن أشجع الناس؟ قال: من ردّ جهله بحلمه.
- ** سئل الأحنف عن الحلم، فقال: هو الذلّ والصبر.
- ** كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه، قال: إني لأجد ما تجدون، ولكي صبور.
- ** وقال أيضاً: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال.
- ** قال عمر بن عبد العزيز: ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.
- ** وقال شريح: الحلم كنز موقر، والحليم مطية الجهول.
- ** قالوا: بالعقل استخراج غور الحكمة، وبالحلم استخراج غور العقل.
- ** كان عبد الله بن عمر إذا سافر سافر معه سيفه، ف قيل له في ذلك، فقال: إن جاءنا سفية ردّ عنا سفهه، لأننا لا ندري ما نقابل به السفهاء.

باب مدح الجود والكرم ودم البخل واللؤم

** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمْرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا، وَأَمْرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمْرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا). [أحمد وأبو داود، صحيح]

** عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: "لَوْلَا ثَلَاثٌ صَلَحَ النَّاسُ: شُحُّ مُطَاعٍ، وَهَوَى مُتَّبَعٍ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ".

** وفي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (قَالَ اللَّهُ عز وجل: أَنْفَقُ أَنْفِقُ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَخَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ). وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَيَبِيدُ الْمِيزَانَ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ).

** قال الزبير بن العوام في خطبة خطبها بالبصرة: أيها الناس إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخذ يوماً بعمامتي من ورائي فقال: " يا زبير إن الله يقول: أنفق أنفق عليك، ولا توكئ فيوكأ عليك. أوسع يوسع عليك، ولا تضيق فيضيق عليك. واعلم أن الله يحب الإنفاق ولا يحب الإقتار، ويجب السماحة ولو على فلق تمرة، ويجب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب، واعلم يا زبير أن لله كنوز أموال سوى الأرزاق التي قسمها بين العباد، محتبسة عنده لا يعطى أحداً منها شيئاً إلا من سأله من فضله، فاسألوا الله من فضله ". [لم أقف عليه]

** قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: البخل جلاباب المسكنة، وربما دخل السخي بسخائه الجنة.

** قال: ومن البخل ترك حقّ قد وجب لحوف شيء لم يقع.

** عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: (أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ) [أحمد بسند جيد]

** وفي المسند عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ غَرٌّ كَرِيمٌ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ خَبٌّ لَيْئِمٌ). [حسن]

** قال جعفر بن محمد: قال الله عز وجل: أنا جواد كريم، لا يجاورني في جنتي لئيم.
** قيل للأحنف: ما الجود؟ قال: بذل القرى، وكف الأذى. قيل: فما البخل؟ قال
طلب اليسير ومنع الحقير. وقد روى هذا من كلام أكرم بن صيفي والله أعلم.
** سئل الخليل بن أحمد عن الجود، فقال: بذل الموجود.
** قال بعض الحكماء: من أيقن بالخلف جاد بالعطية.
** قال أحمد بن أبي دواد: من نال دنيا فلم يرفع وليا، ولا وضع عدوا فليس
بكريم.

** قال شعيب بن حرب: ليس السخي من أخذ المال من غير حله فبذره، وإنما
السخي من عرض عليه ذلك المال فتركه، أو جمع من حق ووضعه في حق.
** كان زياد بن أبيه يقول: من منع ماله سبل الحمد أورثه من لا يحمد.
** قال إبراهيم بن أبي عبلة: سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز، يقول: أف
للبلخ والله لو كان طريقاً ما سلكته، ولو كان ثوبا طريفا ما لبسته.

** قال معاوية بن أبي سفيان لأبي مسلم الخولاني: إنكم معشر العباد فيكم النكاح
والحدة والسماح. قال: أما النكاح فإننا لا نعدل عن أهلينا، وأما الحدة فإن قلوبنا ملئت
خيراً فلا موضع فيها للشر، وأما السماح فبحسن الظن منا بالخلف من الله تعالى.
** قال سفيان بن عيينة: ما استقصى كريم قط، ألم تسمع إلى قوله الله تعالى:
{عرف بعضه وأعرض عن بعض}.

** قال أسماء بن خارجة: لو لم يدخل على البخلاء في بخلهم إلا سوء ظنهم برهم
في الخلف لكان ذلك عظيماً.

** قال أردشير: احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع، واعلموا أن
الكرام أصبر نفوساً، واللئيم أصبر أجساماً.

** قال أبو الطيب المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته .. وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

** قال ابن شهاب: الكريم لا تبخله التجارب.

** ويروى عنه أنه قال: إن الكريم لا تحكمه التجارب.

** وسئل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن البخل، فقال: هو أن يرى الرجل ما
ينفقه تلفاً، وما أمسكه شرفاً.

** قال طاووس: البخل أن يبخل الإنسان بما في يديه، والشح أن يشح بما في
أيدي الناس، ويجب أن يكون له ما في أيديهم بالحلّ والحرام ولا يقنع.

باب المروءة والفتوة

** عن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "حسب المؤمن دينه، وكرمه تقواه، ومروءته عقله".
** من حديث عطاء عن ابن عباس، قال: رفع إلى عمر بن الخطاب رجل في جرم، فأراد أن يعاقبه، فأخبر أن له مروءة، فقال: استوهبوه من صاحبه.

** سئل عبد الله بن عمر، عن المروءة والكرم والنجدة. فقال: أما المروءة: فحفظ الرجل نفسه، وإحرازه دينه، وحسن قيامه بصنعتة، وحسن المنازعة، وإفشاء السلام، وأما الكرم: فالتبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المحل. وأما النجدة: فالذب عن الجار، والصبر في المواطن، والإقدام على الكريهة.

** وفي رواية أن معاوية قال في مجلسه يوماً لمن حضره: من يخبرني عن المروءة والجلود والنجدة؟ فقال عبد الله بن هاشم بن عتبة، وكان بعده عفوه عنه يحضر مجلسه: قال: يا أمير المؤمنين! أما المروءة فالصلاح في الدين، والإصلاح في المال، والمحاماة عن الجار. وأما النجدة فالجرأة على الإقدام، والصبر عند ازورار الأقدام.

** قال طلحة بن عبيد الله: جلوس الرجل ببابه من المروءة، وليس من المروءة حمل الكيس في الكم.

** سئل الأحنف عن المروءة، فقال: التفقه في الدين، وبرّ الوالدين، والصبر على النوائب.

** ويروى عن الأحنف أيضاً أنه قال: لا مروءة لكذوب، ولا أخ لملول، ولا سؤدد لسيئ الخلق.

** سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة، فقال: اجتناب الريب، وإصلاح المال، والقيام بجوانح الأهل.

** سئل إياس بن معاوية عن المروءة، فقال: أما حيث تعرف فالتقوى، وأما حيث لا تعرف فاللباس.

** وقال الزهري أيضاً: الفصاحة من المروءة.

** قال إبراهيم النخعي: ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق.

** قال غيره: من كمال المروءة أن تصون عرضك، وتكرم إخوانك، وتقبل في منزلك.

** قال ربيعة بن عبد الرحمن: للسفر مروءة، وللحضر مروءة. فالمروءة في السفر: بذل الزاد، وقلة الخلاف على الأصحاب، وكثرة المزاح في غير مساخط الله. والمروءة في الحضر: إدمان الاختلاف إلى المساجد، وتلاوة القرآن، وكثرة الإخوان في الله عز وجل.

** وفي رواية عن ربيعة أنه قال: المروءة ست خصال: ثلاث في الحضر، وثلاث في السفر، فأما التي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، ومداعبة الرفيق. وأما التي في الحضر، فتلاوة القرآن، ولزوم المساجد، وعفاف الفرج.

** قيل لبعض الحكماء: من يجب لذي المروءة إخفاء نفسه وإظهارها؟ قال: على قدر ما يرى من نفاق المروءة وكسادها.

** كان يقال: صن عقلك بالحلم، ومروءتك بالعفاف، وبجدتك بترك الحياء، وجهدك بالإجمال في الطب.

** عن إبراهيم بن محمد بن العباس، قال: سمعت سفيان بن عيينة، وقد سئل عن المروءة ماهي؟ فقال: الإنصاف من نفسك، والتفضل على غيرك، ألم تسمع قول الله تعالى {إن الله يأمر بالعدل والإحسان} لا تتم المروءة إلاّ بهما، العدل هو الإنصاف، والإحسان التفضل.

** روى عن الفضيل بن عياض رحمة الله، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة فقال: الكامل من برّ والديه، ووصل رحمه، وأكرم إخوانه، وحسن خلقه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحسن لسانه، ولزم بيته.

** قال رجل من بني قريع:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً ... فمطلبها كهلا عليه شديد

** قال جعفر بن محمد: لا هين لمن لا مروءة له.

** قال أحمد بن العدل: زعموا أن الأحنف بن قيس لم يسمع له شعراً غير هذين البيتين، وهما:

فلو مدّ سروري [شرفي] بمال كثير ... لجدت وكنت له باذلا

فإنَّ المروءة لا تستطاع ... إذا لم يكن مالها فاضلاً

** وقال آخر:

رزقت لباً ولم أرزق مروءته ... وما المروءة إلا كثرة المال

إذا أردت مساماة تقعدني ... عما ينوّه باسمي رقة الحال

** وقال سفيان الثوري: من لم يحسن يتقرّاً.

** الفتوة عند سفيان رحمه الله، فقال: ليست بالفسق ولا الفجور، ولكن الفتوة

كما قال جعفر بن محمد: طعام موضوع، وحجاب مرفوع، ونائل [ما ينال] مبدول،
وبشر مقبول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.

** وقال منصور الفقيه:

فضل التقى أفضل من ... فضل اللسان والحسب

إذا هما لم يجمعا ... إلى العفاف والأدب

باب امتحان أخلاق الرجال

** في البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: (الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)
** عن عبد الله بن عمر قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الناس كإبل مئة، لا تكاد تجد فيها راحلة) [ابن ماجه ومسلم]
** قال أبو الدرداء: «وجدت الناس أخير ثقله» معناه: إن خبرهم قليتهم أي

بغضتهم

** كان يقال: لا يزال الناس بخير ما تباينوا، فإذا تساوا هلكوا
** قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم.
** قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: خالط المؤمن بقلبك، وخالط الفاجر بخلقك.

** كان يقال: يمتحن الرجل في ثلاثة أشياء: عند هواه إذا هوى، وعند غضبه إذا غضب، وعند طمعه إذا طمع.
** قال أبو عمرو بن العلاء: إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك فاعرف ما كان لصديقه قبلك عنده.
** قال سفيان الثوري: إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك فأغضبه، فإن أنصفك في غضبه وإلا فاجتنبه.

** قال الأحنف بن قيس: ما كشفت أحداً قط إلا وجدته دون ما كنت أظن.
** قال الشاعر:

إن المودة بالتجارب ... قضت من الناس المآرب
لم تترك لي صاحباً ... أصبو إليه ولا أعاتب
متفرداً بتوحيدي ... دون الأبعد والأقارب
ارغب إلى الله الذي ... يعطي الجزيل من المذاهب
بالله تتسع الفجاج ... إذا تضايقت المذاهب

** وقال يزيد بن محمد المهلبي:

ومن ذا الذي ترضى سجايه كلها... كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايه

** قال معاذ بن جبل: إذا أحببت أخاً في الله، فلا تماره ولا تشاره ولا تسل عنه

أحدًا، فلربما أخبرك بما ليس فيه، فحال بينك وبينه.

** وقال ابن وكيع:

من لم يكن مؤاخياً إلا الذي... لا عيب فيه عاش فردا في الوري

باب التودد إلى الناس

** قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: إنَّ مما يصفى لك ودد أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحبِّ الأسماء إليه، وأن توسّع له في المجلس.

** قال بعض الحكماء: رأس المداراة ترك المماراة.

** روينا أن داود عليه السلام، جلس كئيباً خالياً، فأوحى الله إليه: ما لي أراك خالياً؟ قال: هجرت الناس فيك. قال: أفلا أدلك على شيء تبلغ رضائي؟ خالق الناس بأخلاقهم، واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك.

** كان يقال: من رضى من الناس بالمساحة طال استمتاعه بهم.

** قال أكنم بن صَيْفِي: من تشدّد فرّق، ومن تراخى تألف، والسرور في التغافل.

** قال علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: شرط الصحبة إقالة العثرة، ومساحة العشرة، والمواساة في العسرة.

** قيل للعتابي: إنك تلقى الناس كلهم بالبشر! قال: دفع ضغينةً بأيسر مؤونة، واكتساب إخوان بأيسر مبدول.

** قال محمود الوراق:

أخو البشر محمود على كلّ حالةٍ ... ولن يعدم البغضاء من كان عابساً

ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ... ولم أر مثل الجود للعرض حارساً

** قال أعرابي يمدح رجلاً بساماً هو زياد الأعجم يمدح عبد الله بن عامر ابن كريز.

أخ لك ما تراه الدّهر إلاّ ... على العلات بساماً جواداً

سألناه الجزيل فما تلكا ... وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا

مراراً ما أعود إليه إلاّ ... تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

** قالوا: لا خير في الناس، ولا بد من الناس.

باب الاستيحاش من الناس والفرار منهم

** في سنن الترمذي عن أم مالك البهزيرة قالت: ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتنه فقرّبها قالت: قلت: يا رسول الله، من خير الناس فيها؟ قال: «رجل في ماشيته يؤدّي حقّها ويعبّد ربّه، ورجل أخذ برأس فرسه يخيف العدو ويخيفونه» [صححه الألباني]

** وفي مسند أحمد بسند صحيح عن ابن عباس: أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خرج عليهم وهم جلوس، فقال: " ألا أحدثكم بخير الناس منزلة؟ " فقالوا: بلى يا رسول الله. قال: "رجل ممسك برأس فرسه في سبيل الله، حتى يموت أو يقتل، أفأخبركم بالذي يليه؟ " قالوا: نعم يا رسول الله. قال: " امرؤ معتزل في شعب، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعتزل شرور الناس، أفأخبركم بشرّ الناس منزلة؟ " قالوا: نعم يا رسول الله. قال: " الذي يسأل بالله ولا يعطي به "

** قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: الطمع فقرّ واليأس غني، والعزلة راحة من جليس السوء، وقرين الصدق خير من الوحدة.

** قال أبو الدرداء: نعم صومعة الرجل المؤمن بيته، يصون دينه وعرضه، وأياكم والأسواق، فإنها تلغي وتلهي.

** قال مكحول: إن كان في الجماعة فضل، فإن في العزلة سلامه.

** قال عمر بن الخطاب: خالطوا الناس في معاشكم، وزايلوهم بأعمالكم.

** قال أبو الدرداء: كان الناس ورقاً لا شوك فيه، وهم اليوم شوك لا ورق فيه.

** يقال: إن فيما أنزل الله في الإنجيل على عيسى عليه السلام. كن وسطاً وامشي

جانباً.

** قال ابن المقفع: وحشة الانفراد أبقى على المرء من أنس التلاقي.

** قال بعض العلماء العزلة عن الناس توقي العرض، وتبقي الجلالة، وترفع مؤونة

المكافأة في الحقوق اللازمة، وتستتر الفاقة.

** كتب شيخ من أهل الرّي على باب داره: جزى الله عنا من لا نعرفه ولا يعرفنا خيراً، وأما أصدقاؤنا الخاصة فلا جزاهم الله خيراً، فإن لم نؤت إلا منهم.

** قال سفيان: وما وجدت من يغفر لي ذنباً، ولا يستر لي عيباً، فرأيت في الهرب من الناس السّلامة.

** قال الفضيل بن عياض لسفيان الثوري: دلّني على رجل أجلس إليه، قال: تلك ضالّة لا توجد.

** قال أكتّم بن صيفي: الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، وإفراط الأّنس مكسبة لقرناء السوء.

** لهلال بن العلاء:

لما عفوت ولم أحقد على أحدٍ ... أرحمت نفسي من هم العداوات
إني أحبّي عدوّى عند رؤيته ... لأدفع الشرّ عنيّ بالتحيات
وأحسن البشر للإنسان أبغضه ... كأنه قد ملا قلبي محبّات
ولست أسلم ممن لست أعرفه ... فكيف أسلم من أهل المودات

** وقال آخر:

ما في اختلاط الناس خير ولا ... ذو الجهل بالأشياء كالعالم
يا عاذلي في تركهم جاهلاً ... عذري منقوش على خاتمي

** وكان في خاتمه منقوشاً: {وما وجدنا لأكثرهم من عهد}.

وهذا الباب وما جانسه من معاني صحبة الناس والفرار منهم، واتخاذ الإخوان والزهد فيهم، قد أكثر الناس فيه جداً، وقد جمع فيه ابن وكيع فتقصى وكثّر وجود وغزر، وغرضنا في الكتاب أن نورد فيه ما تصلح المذاكرة به من غير تطويل، لأنّ الحفظ أكثر ما يكون مع التقليل، وبالله العون والتأييد والحول والقوة.

باب الصديق والعدو

** قال جعفر بن محمد: لقد عظمت منزلة الصديق حتى عند أهل النار، ألم تسمع إلى قوله الله تعالى حاكياً عنهم: {فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم}.
** قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ صديقه في غيبته وبعد وفاته.

** كان أبو العباس السّفاح إذا تعادى اثنان من أهل بطانته لا يسمع من أحد منهما في صاحبه شيئاً، وإن كان عدلاً، ويقول: العداوة تزيل العدالة.

** كان يقال: لا تجالس عدوك فإنه يحفظ عليك عيوبك، ويماريك في صوابك.
** قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: ابذل لصديقك كلّ المودة، ولا تبذل له كلّ الطمأنينة، وأعطه من نفسك كلّ المواساة، ولا تفضي إليه بكلّ الأسرار.
** روى عن علي بن الحسين -رحمه الله- أنه قال: لا يكون الصديق صديقاً حتى يقطع لأخيه المؤمن قطعةً من دينه يرقّعها بالاستغفار.

** قال غيره: من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً، ولعدوّ صديقه عدواً.

** قال آخر:

عدوّ صديقي داخل في عداوتي ... وإني لمن ودّ الصديق ودود

فلا تقترب مني وأنت عدوّ من ... أصادقه فالخير منك بعيد

** قال معاوية: النبل مؤاخاة الأكفاء، ومداجاة الأعداء.

** قيل لعبد الحميد الكاتب: أيما أحب إليك أخوك أو صديقك؟ قال: إنما أحب أخي إذا كان صديقي.

** قال بعض العلماء أهل المدينة: من ثقل على صديقه خفّ على عدوه، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون.

** عدل رجل رجلاً، فقال: أراك رطب اللسان من عيوب أصدقائك، فلا تزدهم في أعدائك، فإن الصديق يحوّل بالجفاء عدواً، وكذلك العدو يحول بالصلة صديقاً.

** كان يقال: لا تجترئ على عداوة رجل بصدّاقة ألف.

** سئل أعرابي عن ابن العمّ، فقال: عدوّك وعدوّ عدوّك.

** كان يقال: من سعادة المرء أن يرى عدوّه خلفه في حياته، ويقدمه أمامه في

وفاته.

** كان يقال: لا تلتمس معاونة ذي عداوة بإعطائه فضل قوة يستكثر بها عليك

في مخالفتك.

** جمع كسرى يوماً مرابته وعيون أصحابه، فقال لهم: من أي شيء أنتم أشد

حزراً؟ قالوا من العدوّ الفاجر، والصديق الغادر.

** قال موسى بن جعفر: أتق العدوّ، وكن من الصديق على حذر فإن القلوب إنما

سميت قلوباً لتقلّبها.

** وقال منصور الفقيه:

احذر عدوّك مرة ... واحذر صديقك ألف مرّة

فلربّما انقلب الصديق ... فكان أعلم بالمضرة

** قالوا: أحذر من وترته وإن أحسنت إليه، ومن أوحشته فلا تثق به.

باب جامع متخير في الإخوان

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:
(الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) [أحمد بسند جيد]

** قال الأوزاعي: الصاحب للصاحب كالرقعة للشوب، إن لم تكن مثله شانتة.

** عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: " لَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ".

** قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لا خير في صحبة من تجتمع فيه هذه الخلال: من إذا حدثك كذبك، وإذا ائتمنته خانك، وإذا ائتمنتك اتهمك، وإذا أنعمت عليه كفرك، وإذا أنعم عليك من عليك.

** وعن ابن عباس أنه قال: أحب في الله، وأبغض في الله، وعاد في الله، فإنه لا تنال موالاة الله إلا بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان ولو كثرت صلواته وصومه حتى يكون كذلك.

** قال: ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله، ثم قرأ ابن عباس: {الأخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}، وقرأ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]

** قال المغيرة بن شعبة: النازل للإخوان منزول.

** قال المنصور لإسحق بن مسلم العقبلي: ما بقي من لذتك؟ قال: أخ أشتهي معه طول السهر، ودابة أشتهي معها طول السفر.

** قال جعفر بن محمد: حفظ الرجل أخاه بعد وفاته في تركته كرم.

** كان يقال: أنصح الناس لك من خاف الله فيك.

** قال موسى بن جعفر: من لك بأخيك كله، لا تستقص عليه فتبقى بلا أخ.

** كان يقال: الأخوة قرابة مستفاده.

** كان يقال: ما شئٌ أسرع في فساد رجل وصلاحه من صاحبه.

** ذكر الرياشي، عن الأصمعي، قال: ما رأيت شعراً أشبه بالسنة من قول عديّ

بن زيد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكلّ قرين بالمقارن مقتدى

وصاحب أولى التّقوى تنل من تقاهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الرّدى

** قال الخوارزمي:

لا تصحب الكسلان في حاجاته ... كم صالح بفسادٍ آخر يفسدُ

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمدُ

** كان سفيان بن عيينة يتمثل:

لكلّ امرئٍ شكلٌ يقرّ بعينه ... وقرّة عين الفسل أن يصحب الفسلا

** وقال صالح بن جناح:

وصاحب إذا صاحبت حرّاً مبرّزا ... يزين ويزرى بالفتى قرناؤه

** قالوا: من أراد أن يدوم له ودّ أخيه، فلا يمازحه، ولا يعده موعداً فيخلفه.

** أوصى رجلٌ ابنه فقال: يا بني! اصحب من إذا غبت عنه خلفك، وإن حضرت

كنفك، وإن لقي صديقك استزاده لك، وإن لقي عدوك كّفه عنك.

** وقال بعضهم: لا تؤاخ شاعراً، فإنه يمدحك بثمان، ويهجوك مجاناً.

** كان من كلام خالد بن صفوان: اصحب من إن صحبته زانك، وإن خدمته

صانك، وإن أصابتك فاقة مانك، وإن رأى حسنة عدها، وإن رأى سيئة كتمها وسترها،

لا تخاف بوائقه، ولا تختلف طرائقه.

** وقيل لخالد بن صفوان: أيّ إخوانك أحب إليك؟ قال: الذي يغفر زللي، ويقبل

عللي، ويسدّ خللي.

** قال المأمون: الإخوان على ثلاث طبقات: فإخوان كالغذاء لا يستغنى عنهم

أبداً، وهم إخوان الصّفاء، وإخوان كالدواء يحتاج إليهم في بعض الأوقات، وهم الفقهاء،

وإخوان كاللّداء لا يحتاج إليهم أبداً، وهم أهل الملق والنفاق لا خير فيهم.

** قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: اصحب من ينسى معروفه عندك، ويذكر حقوقك عليه.

** كان ابن عيينة ماشياً بمكة مع بعض إخوانه، فنظر فإذا أحداث يتبعونه، فقال له: انظر من صار جلاّسي اليوم بعد ثمانين سنة... لقد كنت ابن عشرين سنة وما كنت أجالس أبناء العشرين، وإنما كنت أجالس الشيوخ والكهول.

** قيل لأعرابي: لم قطعت أخاك من أبيك؟ فقال: إني لأقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب إلي من أبي وأمي وأعز فقدا.

** قال لقمان لابنه: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة.

** قال بعض الحكماء: الإخوان بمنزلة النار، قليلها متاع، وكثيرها بوار، فلا تسرّ بكثرة الإخوان إذا لم يكونوا أختياراً.

** قال أسماء بن خارجة: إذا قدمت المودة سمح الثناء.

** قال لقمان لابنه: يا بني! إياك وصاحب السوء، فإنه كالسيف المسلول، يعجبك منظره، ويقبح أثره.

** روى عن معاذ بن جبل، وقد رفعه بعضهم، قال: إذا أحببت أخاً في الله فلا تماره ولا تساره عنه أحداً، فرمما صادفت له عدواً فأخبرك بما ليس فيه، فحال بينك وبينه.

** قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أعقل الناس أعذرهم لهم.

** قال الأحنف: العتاب مفتاح التّقالي، والعتاب قرين الحقد.

** وعن الأصمعيّ قال: قال أعرابي: عاتب من ترجو رجوعه.

** قال بعض الحكماء: العتاب علامة الوفاء، وسلاح الأكفاء، وحاصد الجفاء.

** قال العتايي: ظاهر العتاب خير من مكنون الحق، وضربة الناصح خير من محبة

الشّاني.

** قال بعض الحكماء: من كثر حقه قلّ عتابه.

** قال محمد بن داود: من لم يعاتب على الزلة، فليس بحافظٍ للخلة.

- ** قال أسماء بن خارجة: الإكثار من العتاب، داعية إلى الملل.
- ** قيل لبعض الأعراب: من الأديب العاقل؟ قال: الفطن المتغافل.
- ** قال بعض الأدباء: من أحب أن يسلم له صديقه، فليقبل عذره، وليقل عتابه، فإن العتاب يجزّ الملل.
- ** قال غيره: العتاب مفتاح القطيعة.
- ** قال عمرو بن بحر: العتاب رائد الإنصاف وشفيع المودة، ويد للمحافظة.
- ** قيل لأبي عمرو الشيباني: لأيّ شيء يكون الثقل أثقل على الإنسان من الحمل الثقيل؟ فقال: لأن الثقل يقعد على القلب، والقلب لا يحتمل ما يحتمل الرأس والبدن من الثقل.
- ** كان فلاسفة الهند يقولون: النظر إلى الثقل يورث موت الفجأة.
- ** قال ثقل لمريض: ما تشتهي؟ قال: أشتهي ألا أراك.
- ** مرض الأعمش فعاده أبو حنيفة، فقال: يا أبا محمد! لولا أنه يثقل عليك، لعدت كل يوم. فقال الأعمش: والله إنك على لثقل وأنت في بيتك، فكيف إذا عدتني؟
- ** قال معمر: ما بقي من لذات إلا ثلاثة: محادثة الإخوان، وحكّ الجرب، والوقعة في الثقل، وهي أفضل الثلاث.
- ** وقال عبد الرزاق عن معمر، قال: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة: محادثة الإخوان، وأكل القديد، وحكّ الجرب. وأزيدكم واحدة: الوقعة في الثقل.
- ** قال: وسمعت معمر يقول: رحم الله عبد الكريم أبا أمية، إن كان لثقلا غير ثقة.
- ** كان يقال: مجالسة الثقل عذابٌ وبيل.
- ** قال عبد الأعلى بن مسهر: كان نقش خاتم أبي: " أبرمت فقم " فكان إذا استثقل جلسه ناوله خاتمه ليقراً نقشه.
- وهذا الخبر رواه أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر، قال: قال لي هشام بن يحيى: كان نقش خاتم أبيك ... فذكر الخبر.

** سلم ثقيل على إبراهيم بن عبد الله القارئ صاحب هارون، فقال له: يا هذا! قد والله بلغت منى غاية الأذى، أسلفني سلام شهر وأرحني منك.

** قال معمر: كنت جالساً مع سماك بن الفضل في مجلس بصنعاء، فدخل علينا صاحبٌ له ثقيل فلما جلس قال لي سماك: يا معمر! تعال حتى ندعو على كل ثقيل بصنعاء.

** قال حبيب بن أوس:

يا من تبرمت الدنيا بطلعته ... كما تبرمت الأجفان بالسهد

يمشى على الأرض مختالاً فأحسبه ... لبعض طلعتة يمشى على كبدي

** دق طفيليّ دار قوم فيها طعامٌ، فقيل: من هذا؟ فقال: أنا الذي كفاكم مؤونة الرسول.

** دخل طفيليّ دار قوم بغير إذن، فاشتد عليه صاحب الدار في القول، فأغلظ له الطفيلي في الجواب، وقال: والله لئن قمت لأدخلنك من حيث خرجت. فقال له صاحب المنزل: أما أنا فأخرجك من حيث دخلت. وأخذ بيده فأخرجه.

** قيل لبعض الطفيليين: كم اثنين في اثنين؟ قال كأربعة أرغفة.

** قال مطرف بن مازن، قاضي اليمن: قال لي الرشيد يوماً: من عبد الرزاق ابن همام الصنعائي؟ فقلت: رجل من أهل الحديث، سليم الحديث ثقة. فقال: إن صاحب خبرنا في اليمن كتب يذكر أنه كتب ثقلاء اليمن. فقلت: صدق يا أمير المؤمنين فكتبني فيهم. قال: ولم كتبك فيهم؟ إنك لحسن الحديث خفيف المجلس، فما أستثقل منك؟ قلت: عظم قلنسوتي، وطول عنق بغلتي. فضحك هرون، فما خرجت من عنده حتى أمر لي بكسوة وحملان.

** كان يقال: ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الذهاب إلى مائدة لم يدع إليها، والمتآمر على ربّ البيت ... وقد ذكرنا الحكاية بتمامها في جامع النوادر من هذا الكتاب.

باب الشماتة

** قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]

** وقيل لأيوب عليه السلام: أي شيء من بلائك كان أشد عليك؟ شماتة الأعداء.

** قال ابن الكلبي: لما مات رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، شمتت به نساء كندة وحضرموت، وخضبن أيديهن، وأظهرن السرور لموته، وضربن بالدفوف.

** من منتقى الدعاء: اللهم اجعل رزقي رغدا، ولا تشمت بي أحداً.

** وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ»

** وقال أبو ذؤيب:

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع

** قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: سمعت أشهب بن عبد العزيز يدعو على محمد ابن إدريس الشافعي بالموت، أظنه قال في سجوده، فذكرت ذلك للشافعي رحمه الله، فتمثل:

تَمَّتْ رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ فَإِنْ أَمْتُ ... فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ

فَمَا عَيْشٌ مَنْ يَبْقَى خِلَافِي بِضَائِرِي ... وَمَا مَوْتُ مَنْ يَمْضِي أَمَامِي بِمُخْلِدِي

فَقُلْ لِلَّذِي يَبْقَى خِلَافَ الَّذِي مَضَى ... هَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدْ

قال محمد: فمات الشافعي رحمه الله، واشترى أشهب من تركته مملوكاً، ثم مات أشهب بعده بنحو من شهر، أو قال: خمسة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً، واشترت أنا ذلك المملوك من تركة أشهب، والبيتان الذي تمثل بهما الشافعي لطرفة.

** وقال العلاء بن قَرظَةَ، خال الفرزدق:

إذا ما الدهر جرَّ على أناسٍ ... حوادثه أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

** وقال عبد الله بن أبي عبيدة:

كل المصائب قد تمر على الفتى ... فتهون غير شماتة الحساد

باب مؤاخاة من ليس على دينك

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:
«الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» [أحمد بسند جيد] وهذا معناه والله
أعلم أن المرء يعتاد ما يراه من أفعال من صحبه، والدين العادة، فلهذا أمر ألا يصحب
إلا من يرى منه ما يحلّ ويجمل، فإن الخير عادة.

وفي معنى هذا الحديث قول عديّ بن زيد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن مقتدي

وهذا كثير جداً، والمعنى في ذلك: ألا يخالط الإنسان من يحمله على غير ما يحمد
من الأفعال والمذاهب، وأما من يؤمن منه ذلك فلا حرج في صحبته.

** قال ابن عباس: لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه مقاله.

** قال الله عز وجل: {وَإِذَا حِيَّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} وجاء في

التفسير: أحسن منها لأهل الإسلام، أو ردها لأهل الذمة.

** وقيل لسعيد بن جبير: الجوسي يوليني خيراً فأشكره؟ قال: نعم. قيل: فإن سلم

علي أفأرد عليه؟ قال: نعم.

وأما ما روي عن أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ

قَالَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ: (لَا تَبَدُّوهُمْ بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاصْطَرُّوهُمْ إِلَى

أَضْيَقِهَا) [أحمد بسند صحيح]

** فقد قال بذلك طائفة من أهل العلم منهم مالك بن أنس رحمه الله.

روى بشير بن عمر الزهراني، عن مالك، أنه كان يكره السلام على أهل الذمة

كلهم. قال بشير: فقلت: أترى أن يبدءوا بالسلام؟ قال: معاذ الله أما سمعت قوله تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ }.

** وقال مالك: أكره مؤاكلة أهل الذمة، لأن المؤاكلة توجب المودة.

** وقد روي عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، أنهم كانوا

يبدؤون بالسلام كل من لقوه من مسلم أو ذمي.

فالمعنى في ذلك، والله أعلم، أنه ليس بواجب أن يبدأ المسلم المار القاعد الذميّ، والراكب المسلم الذمي الماشي، كما يجب ذلك بالسنة على من كان على دينه، فإن فعل فلا حرج عليه.

فكانه قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " ليس عليكم أن تبدءوهم بالسلام " بديل ما روى الوليد بن مسلم عن عروة بن رويم، قال: رأيت أبا أمامة الباهلي يسلم على كل من لقي من مسلم وذميّ، ويقول: هي تحية لأهل ملتنا، وأمان لأهل ذمتنا، واسم من أسماء الله نفشيه بيننا.

ومحال أن يخالف أبو أمامة السنة، لو صحت في ذلك. بل المعنى على تأويلنا والله أعلم، وعلى هذا يصح تخريج هذه الأخبار ووجوهها.

** ذكر ابن أبي شبيب، عن إسماعيل بن عياش، عن محمد بن زياد الألهاني، وشرحبيط بن مسلم، عن أبي أمامة، أنه كان لا يمر بمسلم ولا يهودي ولا بصراني إلا بدأه بالسلام.

** وروي عن ابن مسعود وأبي الدرداء، وفضالة بن عبيد، أنهم كانوا يبدءون أهل الذمة بالسلام.

** وقال ابن مسعود: إن من التواضع أن تبدأ بالسلام كل من لقيت.

** وعن ابن عباس، أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب: السلام عليك.

** وسئل عبد الله بن وهب، صاحب مالك، عن غيبة النصراني، فقال: أو ليس من الناس؟ قالوا: بلى. قال: فإن الله عز وجل يقول: {وقولوا للناس حسناً}.

** وقيل لمحمد بن كعب القرظي: إن عمر بن عبد العزيز سئل عن ابتداء أهل الذمة بالسلام فقال ترد عليهم ولا تبدؤهم. فقال محمد بن كعب: أما أنا فلا أرى بأساً

أن تبدأهم بالسلام، قيل له: لم؟ فقال: لقوله عز وجل: {فاصفح عنهم وقل سلام}.

ومن حجة من ذهب إلى هذا قوله عز وجل: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم

في الدين}.

وذهب جماعة من العلماء إلى مثل ما ذهب إليه عمر بن عبد العزيز في ذلك.

** وروى ابن المبارك عن شريك عن أبي إسحاق، قال: كان يقال: من الحمق أن
تؤاكل غير أهل دينك.

** روى إسماعيل بن إسحاق، قال: سمعت ابن أبي أويس، يقول: سئل مالك، أترى
بأساً إذا أهدى اليهودي أو النصراني للمسلم أن يكافئه، فقال: معاذ الله وما للمسلم أن
يقبل هديته حتى يكافئه.

باب الولد والوالد

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صُحْبَتِي قَالَ "أُمُّكَ" فَقَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ "أُمُّكَ" قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ "أُمُّكَ" قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ "أُمُّكَ" [صحيح ابن حبان]

** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: (الصَّلَاةُ لَوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، وَلَوْ اسْتَزَدْتُ لَزَادَنِي [البخاري]

** وقال الحسن: البر أن تطيعهما في كل ما أمرك به، ما لم تكن معصية الله، والعقوق هجرانهما، وأن تحرمهما خيرا.

** قال عروة في قوله تعالى: {واخفض لهما جناح الذل من الرحمة} . هو ألا يمنعهما من شيء أراداه.

** قال يزيد بن أبي حبيب: كان العلماء يقولون: حق الأم أعظم من حق الأب، ولكل حق.

** رأى ابن عمر رجلا يطوف بالبيت حاملا أمه، وهو يقول لها: أتريني جزيتك يا أمه؟ فقال ابن عمر: ولا طليقة واحدة، أو قال: ولا زفرة واحدة.
** قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَهُ»

** وسئل ابن عباس، عن رجل قتل امرأته وما توبته؟ قال: إن كان له أبوان فليبرهما ما داموا حيين، فلعل الله أن يتجاوز عنه.

وقد جاء عنه مثل ذلك في المرأة التي تعلمت السحر ثم جاءته تطلب التوبة.

** قال مكحول: بر الوالدين كفارة للكبائر.

** قال محمد بن المنكدر: بت أغمر رجل أمي، وبات عمي يصلي ليلته، فما تسرني ليلته بليتي.

** قال الشاعر في ابنه:

يود الردى لي من سفاهة رأيه ... ولو متّ بانت للعدوّ مقاتله
إذا ما رأني مقبلاً غضّ طرفه ... كأن شعاع الشمس دويي يقابله
** روي عن ابن عباس أنه قال: إنما ردّ الله عقوبة سليمان بن داود عن الهدهد لبره
كان بأمه.

** رأى أبو هريرة رجلاً يمشي خلف رجل، فقال: من هذا؟ فقال: أبي. قال: لا
تدعه باسمه ولا تجلس قبله، ولا تمش أمامه.

** مكتوب في كتب الله - عز وجل - : لا تقطع ما كان أبوك يصله فيطفاً نورك.
** قال كعب: مكتوبٌ في التوراة، اتق ربك، وبرّ والديك، وصل رحمك، يمدّ لك
في عمرك، وييسّر لك يسرك، ويصرف عنك عسرك.
والآثار في بر الوالدين كثيرة جداً، وقد نص الله في كتابه من خفض الجناح لهما،
والخصّ على برهما ما يكفي.

** دخل عمرو بن العاص على معاوية، وعنده بنت له، فقال: ابعدها عنك يا أمير
المؤمنين، فوالله ما علمت إلا أنّ يلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويورثن الضغائن. قال
معاوية: لا تقل هذا يا عمر، فوالله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعولّ على
الأحزان مثلهن، ولربّ ابن أخت قد نفع خاله.

** قال محمد بن سليمان: البنون نعمّ، والبنات حسنات، والله عز وجل يحاسب
على النعم، ويجازي على الحسنات.

** كان لأبي حمزة الأعرابي زوجتان فولدت إحداهما ابنة، فعزّ عليه، واجتنبها وصار
في بيت ضرّتها إلى جنبها فأحست به يوماً في بيت صاحبّتها، فجعلت ترقص ابنتها
الطفلة وتقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظلّ في البيت الذي يلينا
غضبان ألاّ نلد البنينا ... تا الله ما ذلك في أيدينا
بل نحن كالأرض لزارعينا ... يلبث ما قد زرعه فينا

وإنما نأخذ ما أعطينا

فعرف أبو حمزة قبح ما فعل، وراجع امراته.

** رأى ابن عباس رجلا ومعه ابن له، فقال: أما إنه لو عاش فتنك، ولو مات
أحزنك.

** قال محمد بن علي بن حسن لابنه جعفر: يا بني! إن الله رضيني لك وحذرتني
منك، ولم يرضك لي فأوصاك بي، يا بني! إن خير الأبناء من لم يدعه البر إلى الإفراط، ولم
يدعه التقصير إلى العقوق.

** كان يقال: الولد ريحانتك سبعاً، وخادمك سبعاً، وهو بعد ذلك صديقك أو
عدوك أو شريكك.

** سأل معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس عن الولد، فقال: يا أمير المؤمنين
أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسمااء ظليلة، وبهم نصول عند
كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم،
ولا تكن عليهم قفلا فيتمنوا موتك ويكرهوا قربك ويملوا حياتك.

فقال له معاوية: لله أنت! لقد دخلت عليّ وإني لمملوء غيظا على يزيد ولقد
أصلحت من قلبي له ما كان فسد.

فلما خرج الأحنف من عند معاوية بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم، فبعث
يزيد إلى الأحنف بنصفها.

** قال علي بن أبي طالب: ينبغي لأحدكم أن يتخير لولده إذا ولد الاسم الحسن.

** قال عمر بن الخطاب: عجلوا بكني أولادكم لا تسرع إليهم الألقاب السود.

** قال أبو جعفر محمد بن علي: بادروا بالكني قبل الألقاب.

** قال: وأنا لنكني أولادنا في الصغر مخافة اللقب أن يلحق بهم.

** قال قتادة: رب جارية خير من غلام، ورب غلام قد هلك أهله على يديه.

** عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه

وسلم -: (من عال ثلاث بنات، فأدبهن، وزوجهن، وأحسن اليهن، فله الجنة) [أبو

داود، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره. لكن الألباني ضعفه]

** كان يقال: من بلغت ابنته النكاح فلم يزوجها فنزت فعليه مثل إثمها، وإثمها

عليه

وكما لا يصبح الجسد بلا رأس ... لا تصلح المرأة بغير زوج.

** قال عبد العزيز بن مروان لسعيد بن العاص: كيف حبك لبناتك؟ قال: إني لأحبهن، على أنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء، وهن عددٌ ولسن بولد.
** كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الأمصار: علّموا أولادكم العوم والفروسيّة، ورووهم ما سار من المثل، وما حسن من الشعر.

** كان يقال: من تمام ما يجب للأبناء على الآباء، تعليم الكتابة والسباحة.
** قال الحجاج لمعلم ولده: علّم ولدي السباحة قبل أن تعلمهم الكتابة، فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسبح عنهم.

وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض

** قالوا: من كان له صبي فليستصب له.

** كانت أعرابية ترقص ابنها، أو بعض الأعراب يرقص ابنه ويقول:

أحبّه حبّ شحيح ماله ... قد ذاق طعم الفقر ثم ناله

إذا أراد بذله بداله

** كان لعبد الملك بن مروان بيت مالٍ كان قد حجزه من خالص غلاته وضياعه، لا يدخله شيء من الغلول، يعدّه للتزويج وشراء الجوّاري اللواتي يطلب أولادهن، وكان يقول: إنّ الغلول يبقى في الولد.

** قيل لأعرابي، وكان له ابن عاقّ: كيف ابنك؟ قال: عذابٌ أزغف [أعطاه] عليّ به الدهر، فليتني قد أودعته القبر، فإنه بلاء لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يلزم عليها الشكر.

** كان يقال: من فوائد الدهر موت الابن العاقّ.

باب الأقارب والموالي

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسْفُهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ) (ويجهلون علي) أي يسيئون والجهل، هنا، القبيح من القول. وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم، بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم. (تسفهم المل) المل هو الرماد الحار. أي كأنما تطعمهموه. (ظهير) الظهير المعين والدافع لأذاهم.

** عَنْ أَبِي بَكْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ الْعُقُوبَةَ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ).

** وقال أبو الدرداء: "مكتوب في التوراة: إن أحسد الناس لعالم وأبغاهم عليه، قرابته وجيرانه".

** قال ابن عباس: قد تقطع الرحم، وقد تكفر النعمى، ولا شيء كقتقارب القلوب.

** وفي رواية أخرى عنه: تكفر النعمة، والرحم تقطع، والله يؤلف بين القلوب، وإذا قارب بين القلوب لم يرحها شيء أبداً، ثم تلا: {لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم}.

** كان يقال: لا تؤدى حقّ الرحم إلا بأن تصل من أدلى بها إذا قطعك، وتعطيه إذا حرمك.

** قال الشاعر:

ورب أخ لم يدنه منك ولدٌ ... أبرّ من ابن الأم عن النوائب

ورب بعيد حاضرٍ لك نفعه ... وربّ قريبٍ شاهدٍ مثل غائب

** كان عبد الله بن العباس صديقاً لعمر بن عبد الرحمن بن عوف فليقه يوماً مغتاضاً. فقال له: مالك؟ قال: لقيني فلان - لرجل من أهله - فشتمني وآذاني. فقال

له: هَوْن عليك فما من ضارٍ على طريدةٍ بأسرع إليها من ابن عم دِيٍّ إلى ابن عم سريٍّ،
فهوْن عليك.

** من شعر طرفة، ويروي في شعر عدي بن زيد:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً ... على المرء من وقع الحسام المهند

** وقال أبو فراس الحمداني:

وهل أنا مسرور بقرب أقاربي ... إذا كان لي منهم قلوب الأبعاد

** قال العتايي: عشيرتك من أحسن عشرتك، وابن عمك من عمك خيره،

وقرابتك من قرب منك نفعه، وأحب الناس إليك أخفهم ثقلاً عليك.

** وقال:

إني بلوت الناس في أحوالهم ... وخبرت ما وصفوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً ... وإذا المودة أقرب الأنساب

** وقال آخر:

كم من أخ لك لم يلده أبوكا ... وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا

وهذا مأخوذ والله أعلم من قول أكتّم بن صَيْفِي: رب أخ لم تجمععه معك ولادة.

** وقال المقنع الكندي، واسمه محمد بن عمير بن أبي شمر الكندي، وكان من أجمل

أهل زمانه وأحسنهم وجهاً، وأتمهم قامة، فكان إذا كشف وجهه يؤذى، فكان يتقنع

دهره، فسمي لذلك: المقنع. وشعره هذا من أحسن ما قيل في معناه جزالة ونقاوة

وسباطة وحلاوة:

يعاتبني في الدين قومي وإنما ... ديوني في أشياء تكسبهم حمداً

أسد به ما قد أخلوا وضيعوا ... حقوق ثغورٍ ما أطاقوا لها سداً

ولي جفنةٌ لا يغلق الباب دونها ... مكللةٌ لحماً مدفقةٌ ترداً

ولي فرسٌ نهدٌ عتيقٌ جعلته ... حجاباً لبيتي ثم أخدمته عبداً

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلفٌ جداً

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً

وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا غيبي هويت لهم رشداً

وليسوا إلى نصري سراعاً وإن هم ... دعوني إلى نصرٍ أتيتهم شدا
وإن زجروا طيري بنحس يمر بي ... زجرت لهم طيراً يمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالي أن تتابع لي غنى ... وإن قلت مالي لم أكلفهم رفدا
وإني لعبد الضيف مادام نازلا ... وما شيمَةٌ لي غيرها تشبه العبدا
** وقال طرفة:

وأعلم علماً ليس بالظن أنه ... إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

باب المملوك والمالك

** كان يقال: التسلط على المملوك دناءة.

** وقال بعض الحكماء: اذكر عند قدرتك وغضبك قدرة الله عليك، وعند حكمك حكم الله فيك.

** كان يقال: أنعم الناس عيشاً من حسن عيش غيره في عيشه.

** كان يقال: الإحسان إلى الخادم يشجى العدو، ويذهب البؤس، والكسوة تظهر الغنى.

** قال عمر بن الخطاب: أكثروا شراء الرقيق، فرب عبد يكون أكثر رزقاً من سيده.

** اشترى عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي عبد بني الحسحاس واسمه سحيم، وكان حبشياً سمحاً شاعراً، وكتب إلى عثمان بن عفان: إني قد اشتريت لك غلاماً حبشياً شاعراً فكتب إليه عثمان: لا حاجة لي به، فإنما حظ أهل العبد الشاعر إذا شبع أن يشبب بنسائهم، وإذا جاع أن يهجوهم.

** قال لقمان لابنه: يا بني إياك وخدمة العين. قال: وما خدمة العين؟ قال: ألا يكون لك عبد لا يخدمك إلا حيث يراك.

** باع أعرابي غلاماً له من قوم من أهل البصرة، فجعلوه سقاءً على ظهر بعير لهم، فلبث الأعرابي حيناً ثم لقيه فسأله عن حاله؟ فقال: أنا في سفر لا ينقضي، وغدير لا ينزح، وقوم لا يروون.

** قال بعض الحكماء: أفضل المماليك الصغار، لأنهم أحسن طاعة، وأقل خلافاً، وأسرع قبولاً.

** كان يقال: استخدم الصغير حتى يكبر، والأعجمي حتى يفصح.

** روى سفيان بن عيينة، عن سليمان الأحول، عن ابن معبد، عن ابن عباس، قال: من حلف على ملك يمينه أن يضربه فكفارته تركه، ومع الكفارة حسنة.

** قال الشاعر:

العبد يزجر بالعصا ... والحر تكفيه الملامة

** وقال آخر:

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الإشارة

** كان يقال الحر حرٌّ وإن مسه الضر، والعبد عبد ولو مشى على الدر أخذه

الشاعر فقال:

وإن الحر في الحالات حرٌّ ... وإن الذل يقرن بالعبيد

باب الذكر والثناء

** عَنْ أُمِّيَّةَ بِنِ صَفْوَانَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالنَّبَاوَةِ أَوْ الْبِنَاوَةِ - قَالَ: وَالنَّبَاوَةُ: مِنَ الطَّائِفِ - قَالَ: "يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ" قَالُوا: بِمِ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ" [ابن ماجه، وحسنه الأرئووط]

** قال عبد الله بن مسعود: عنوان صحيفة الميت ثناء الناس عليه.

وروى ذلك عن ابن عمر أيضاً.

** قال كعب الأحبار: إذا أحببتهم أن تعملوا ما للبعد عند ربه فانظروا ما يتبعه من

حسن ثناء.

** قال مطرف بن الشخير: عنوان كرامة الله لعبده حسن الثناء عليه، وعنوان

هوانه سوء الثناء عليه.

** قال بعض الحكماء: الناس أحاديث، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثاً

فافعل.

ومن ها هنا والله أعلم أخذ ابن دريد قوله:

وإنما المرء حديثٌ بعده ... فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وقد مضى قوله حاتم الطائي: أخاف مذمات الأحاديث من بعدي.

** مات ابن حبيب بن الملهم، فقدم أخاه يزيد ليصلي عليه، فقبل له: أتقدمه

وأنت أسن منه؟ قال: إن أخي قد شرفه الناس وشاع له فيهم الصيت، ورمته العرب

بأبصارها، فكرهت أن أضع منه ما رفع الله.

** قال رجل من غنى:

فإذا بلغتكم أهلكم فتحدثوا ... ومن الحديث مهالكٌ وخلود

** قال آخر:

فأثنوا علينا لا أباً لأبيكم ... بإحساننا إن الثناء هو الخلد

** قال الأسيدي:

فإني أحب الخلد لو أستطيعه ... وكالخلد عندي أن أموت ولم ألم

باب البكاء على ما مضى من الأزمان

والتلهف على صالح الإخوان، والحنين إلى الأوطان

** روى أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو، قال: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، إِذْ ذُكِرُوا الْفِتْنَةَ، أَوْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، فَقَالَ: (إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا)، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: (الزَّمْ بَيْتَكَ، وَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ) [إسناده صحيح]

** وفيه عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يُوشِكُ أَنْ يُعْرَبَلَ النَّاسُ غَرْبَلَةً، وَتَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا)، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالُوا: فَكَيْفَ نَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: (تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبَلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ، وَتَدَعُونَ عَامَّتِكُمْ) [إسناده صحيح]

وفي رواية: (اتَّقِ اللَّهَ عِزَّ وَجَلِّ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّتِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّتِهِمْ)

** قيل لبعض الحكماء: بأي شيء يعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار؟ قال: بحنينه إلى أوطانه، وتلهفه على ما مضى من زمانه.

** روى أبو العلاء زكريا بن يحيى بن خلاد، عن الأصمعي، قال: قال أعرابي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من أزمانه.

** روى عروة عن عائشة: أنها تمثلت بقول لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجر

يتحدثون ملالة وخيانة ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

ثم قالت: كيف لو أدرك ليبد زماننا هذا؟ قال عروة: كيف لو أدركت عائشة زماننا هذا؟

** بلغ ابن عباس قول عائشة: رحم الله ليبدأ، لو أدرك زماننا هذا؟ فقال ابن عباس: رحم الله ليبدأ ورحم عائشة، لقد أصبت باليمين سهما في خزائن عاد، كأطول ما يكون من رماحكم هذه، مريشٌ مفوق مكتوب عليه:

فهل لي إلى أجدال هند بذي اللوى ... لوى الرمل من قبل الممات معاد
بلاد بها كنا ونحن نجبها ... إذ الناس ناسٌ والبلاد بلاد
** قال أبو العتاهية:

لله أزمنة عهدت رجالها ... في النائبات وإنهم لكرام
ماذا أقول لو افد الزمن الذي ... هلك الأرامل فيه والأيتام
زمن هوت أعلامه وتقطعت ... فرقاً فليس لأهله أعلام
زمن تحامى المكرمات سراته ... حتى كأن المكرمات حرام

[سراة كل شيء: أعلاه]

** وَأَنَّ امْرَأَةً دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - فَأَذْنَاهَا،
فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ حَدِيثِهَا، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»
** كان سفيان الثوري يقول: ذهب الناس فلا مرتع ولا مفرع. [أي لا فرع نبات

أو شجر]

** ولعبد الله بن المبارك الفقيه، وتروى لغيره:

ذهب الرجال المتقدي بفعالهم ... والمنكرون لكل أمرٍ منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم ... بعضاً ليأخذ معورٌ من معور
ركبوا ثنيات الطريق فأصبحوا ... متنكبين عن الطريق الأكبر
ما أقرب الأشياء حين يسوقها ... قدرٌ وأبعدها إذا لم يقدر
العلم زين للرجال مروءة ... والعلم أنفع من كنوز الجواهر
أأخي إن من الرجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل مصيبة في ماله ... وإذا يصاب بدينه لم يشعر

** ولأبي حفص عمرو بن عليّ بن بحر الفلاس، وكان أحد أئمة أهل الحديث
الحفاظ الجليلة:

ألا ذهب التّكرم والوفاء ... وباد رجاله وبقي الغناء
وأسلمني الزمان إلى رجالٍ ... كأمثال الذئاب لهم عواء
صديق كلما استغنيت عنهم ... وأعداء إذا نزل البلاء

** وقال آخر:

كنا نعيّر من يأتي بفاحشةٍ ... والناس يرعون حقّ الدين والحسب
فالناس قد تركوا التعيير كلهم ... لما استوى النَّاس في الفحشاء والكذب
** كان بلال لما قدم المدينة ينشد تشوقاً إلى مكة، ويرفَعُ عَقِبْرَتَهُ [أي صوته]،
فَيَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيَّتَ لَيْلَةً ... بِوَادٍ، وَحَوْلِي إِذْخِرُ وَجَلِيلُ؟
وَهَلْ أَرِدُنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجْنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ؟

** وقال متمم بن نويرة:

وكنا كندماني جذيمة حقبه من الدهر حتى قبل لن يتصدعا
فلما تفرّقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

** رويانا عن عبد الله بن مصعب الزبيري أنه قال: خرجنا إلى الغزو زمن مروان بن
محمد حتى إذا كنّا ببعض الطّريق أصابنا مطرٌ وابل، قمنا إلى قصر رفع لنا فصرنا إلى
فنائنا، إذ خرجت وليدة فقالت: بأبي وأمي! من أين أنتم فقلنا: من مكة. فتنفست
الصّعداء، وأنشأت تقول:

من كان ذا سكن بالشام يألّفه ... فإن في غيره أمسى لي السّكن
وإنّ ذا القصر حيّ ما به وطني ... لكن بمكة أمسى الأهل والوطن

قال: فمضينا في غزونا حتى إذا قضينا شأننا وقفنا راجعين، أخذنا المساء عند
ذلك القصر، فأضافنا صاحبه وأحسن ضيافتنا، فقلت له: ثمّ حاجة. فقال: وما هي؟
قلت: وليدة صفتها كذا، إما أن تبيع وإما أن تهب، فقال: ما شاء الله كان، والله لو
كانت حية ما مضيت إلّا بها، ولكنها ماتت منذ أيام تلهفاً على مفارقة من نشأت معه.

روينا من وجوه أن أبا خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج فقيه مكة رضى الله عنه، خرج إلى اليمن إلى معن بن زائدة في دين ركبته، قال: فلما نزلت عليه رحب بي وسهّل، وقال: ما أقدمك هذه المدرة؟ فقلت: دين ركبني لم تف به جائزة أمير المؤمنين، فضاق ذرعي فلم أر له سواك، فخرجت إليك. فقال: قدمت خير مقدم، يقضي دينك وتنصرف مجبوراً إلى وطنك. قال: فأقمت عنده شهوراً في أحسن مثوى وأكرم ضيافة، فإني لخارج من عنده يوماً إذ رأيت الناس يتأهبون إلى الحج، فأدركتني وحشة، ولم أملك العبرة، وحنّت نفسي إلى الوطن، فرجعت إليه وقد اغرورقت عيناى بالدموع، فقال لي: مالك؟ قلت: رأيت الناس في أهبة الحج والخروج إلى مكة فذكرت أبياتاً لعمر بن أبي ربيعة حملتني على ما ترى قال: وأي أبيات عمر هي؟ فقلت: قوله:

هيهات من أمة الوهّاب منزلنا ... إذا نزلنا بسيف البحر من عدن
واحتمل أهلك أجيادا فليس لنا ... إلا التذكر أو حظ من الحزن
بل ما نسيت غداة الخفيف موقفها ... وموقفي، وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية ... والدمع منها على الخدين ذو سنن
بالله قولي له في غير معتبة ... ماذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو رضيت بها ... فما أخذت بترك الحج من ثمن

فقال: أتعزم على الرحيل والرجوع إلى وطنك؟ قلت: نعم. قال: صحبتك السلامة، وورزقت العافية. وخرجت من عنده فما وصلت إلى موضعي، حتى سبقني خمسة عشر بغلا عليها عصب اليمن [برود يمنية يعصب غزلها، أي يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج، فيأتي موشيا لبقاء ما عصب منه أبيض، لم يأخذه صبغ، وقيل: هي برود مخططة. والعصب: الفتل]، ودراهم، وضروب من الخير، فقضيت ديني وتأثلت منه كنزاً مما بيدي اليوم.

باب مدح مغالبة الهوى وذم اتباعه

** عن أبي الدرداء، عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ) [أحمد، صحيح موقوفا]

** قال وهب بن منبه: العقل والهوى يضطرعان، فإيهما غلب مألٌ بصاحبه.
** قال ابن دريد:

وآفة العقل الهوى فمن علا ... على هواه عقله فقد نجا

** قال عمر بن عبد العزيز: أفضل الجهاد جهاد الهوى.

** قال بعض الحكماء: من نظر بعين الهوى خاف، ومن حكم بالهوى جار.

** قال سفيان الثوري: أشجع الناس أشدهم من الهوى أمتناعاً.

** وقال: من المحقرات تنتج الموبقات.

** ويقولون: إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعر قط إلا هذا:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى بعض ما فيه عليك مقال

قلت: لو قال: إلى كل ما فيه عليك مقال " كان أبلغ وأحسن.

** قال بعض الحكماء: إنما يحتاج اللبيب ذو الرأي والتجربة إلى المشاورة ليتجرّد له رأيه من هواه.

** قال بعضهم: اعص النساء وهواك، واصنع ما شئت.

قلت: لو قال اعص الهوى لا كتفي.

** قيل للمهلب: بم ظفرت؟ قال: بطاعة الحزم وعصيان الهوى.

** قالوا: ما ذكر الله تعالى الهوى في شيء من القرآن إلا ذمه.

** قيل لشريح: أحمد الله لما سلمك من الفتن. قال: كيف أصنع بقلبي وهواي؟

** قيل: الهوى غالب، والقلوب مغلوبة.

** قيل: امتدح بترك الهوى من الحكماء

** قال الزبير بن عبد المطلب:

وأجتنب البوائق حيث كانت ... وأترك ما هويت لما خشيت

** أخبرنا عبد الوارث، حدثنا قاسم، حدثنا نصر بن محمد الأسدي الكوفي، حدثنا إبراهيم بن عثمان المصيصي، حدثنا مخلد بن حسين، حدثنا هشام ابن حسان، عن محمد بن سيرين قال: بيتا عمر بن الخطاب يجوس ذات ليلة إذ سمع امرأة وهي تقول:

هل من سبيلٍ إلى خميرٍ فأشربها ... أم من سبيلٍ إلى نصر بن حجاج

فلما أصبح قال: علي بن نصر. فجيء به، فإذا هو أجمل الناس، فقال: إنها المدينة فلا تساكني فيها. فخرج إلى البصرة فنزل على ابن عم له، هو أمير البصرة، فبينما هو جالس مع ابن عمه وامرأته، إذ كتب في الأرض: إني لأحبك حباً لو كان فوقك لأظلك، ولو كان تحتك لأقلك. فقرأته وكتبت تحته: وأنا.

وكان الأمير لا يقرأ، فعلم أنه جواب كلام، فأكفأ عليه إناءً وقام وبعث إلى من يقرأه، فبلغ ذلك نصراً، فلم يجئ إليه، ومرض حتى سلّ وصار شبه الفرخ، فأخبر الأمير بذلك، فقال: اذهبي إليه، فأبت، فقال: عزمت عليك إلا ذهبت إليه وأسندته إلى صدرك وأطعمته.

قال: فلما أتت الباب قيل له: هذه فلانة. فكأنه انتعش شيئاً فصعدت إليه وأسندته إلى صدرها وأطعمته، فأفاق، فخرج من البصرة واستحيا من ابن عمه فلم يلقه بعدها.

قال إبراهيم بن عثمان: الأمير مجاشع بن مسعود السلمي، وامرأته الخضراء.

** قال إبراهيم بن عثمان: وأخبرني محمد بن كثير، أن نصر بن حجاج كتب إلى عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:

لعمري لئن سيرتني وحرمتني ... وما جئت ذنباً إن ذا حرامٍ
ومالي ذنبٌ غير ظنّ ظننته ... وفي بعض تصديق الظنون أاثام
إن غنت الذلفاء يوماً بمنية ... وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الأمر الذي لو أتيته ... لما كان لي في الصالحين مقام
ويمعني مما تمت حفيظتي ... وآباء صدقٍ صالحون كرام
ويمنعها مما تمت صلاحها ... وبيتٌ لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي ... فقد جبّ متي غاربٌ وسنام

** قال بعض الحكماء: الهوى عدو العقل، فإذا عرض لك أمران ولم يحضرك من تشاوره فاجتنب أقربهما إلى هواك.

** وما ينسب إلى الشافعي، وأظنه لسهل الوراق:

إذا حار ذهنك في معنيين ... وأعياك حيث الهوى والصواب

فدع ما هويت فإن الهوى ... يقود النفوس إلى ما يعاب

** قال غيره: اغتتم من الخير ما عجلت، ومن الهوى ما سوفت.

** كان يقال: إذا غلب عليك عقلك فهو لك، وإن غلب عليك هواك فهو لعدوك.

** قال عمر لمعاوية: من أصبر الناس؟ قال: من كان رأيه راداً لهواه.

** قال أعرابي: ما أشد جولة الرأي عند الهوى، وأشد فطام النفس عند الصبر.

وعن نبطويه، قال: تضيّف صديقٌ لي من أهل الأدب إلى امرأة من أهل البصرة، فتعرض لها، فقالت: أيها الرجل مالك حظ في غيرة الرجال على الحرم، فيكون ذلك زاجراً لك عن التعرض لحرم غيرك، إن لم يكن لك ناه من دين؟ أما علمت أن الأمور إلى أواخرها تؤول إلى أوائلها، وإن من عوّد نفسه الرفث والخنّا كان كمن اتخذ المزابل مجلساً، وقلما مجن رجل إلا هلك.

** قال الشاعر:

الحب زورٌ والهوى باطل ... والقلب ما أجرته يجري

وترك ما تهوى يسيراً إذا ... أعملت فيه سعة الصدر

** وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

فعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلَةٌ ... ولكنّ عين السخط تبدي المساويا

باب معنى عشق النساء والهوى فيهن

** قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِيْذِي لُبٍّ مِنْكُمْ) [أحمد بسند صحيح]

** سئل بعض الحكماء عن العشق، فقال: شغل قلبٍ فارغ.

** وجد في صحيفةٍ لبعض أهل الهند: العشق ارتياحٌ جعل في الروح، وهو معنى تنتجه النجوم بمطارح شعاعها، وتتولد الطوالع بوصلة أشكالها، وتقبله النفوس بلطيف خواطرها، وهو بعد جلاء للقلوب، وصقيل للأذهان ما لم يفرط، فإن أفرط عاد سقما قاتلا، ومرضا منهكا، لا تنفذ فيه الآراء، ولا تنجع فيه الحيل، العلاج منه زيادة فيه.

** حضر عند المأمون يوماً يحيى بن أكثم، وثمامة بن أشرس، فقال المأمون ليحيى: خبرني عن حد العشق فقال: يا أمير المؤمنين سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهيم بها تسمى عشقا.

فقال ثمامة: اسكت يا يحيى، فإنما عليك أن تجيب في مسألة من الفقه، وهذه صناعتنا. فقال المأمون: أجب يا ثمامة. فقال: يا أمير المؤمنين إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة أثقت ملح نورٍ ساطع تستضيء به بواطن العقل فتتهتز لإشراقه طبائع الحياة، ويتصور من ذلك الملح نور حاضر بالنفس متصل بجوهرها فيسمى عشقا.

** وصف أعرابي عاشقا، فقال: كان يستر عيناً قد درت مآقيها، ويجنو على كبد قد أعتت مداويها.

** ذكر رجلٌ أيام شبابه وامرأة كان يهواها، فقال: ذلك هوى شربته النفس أيام شبابه، فاستخفت بالعاذلات وعتابها.

** وصف بعض الحكماء الهوى الذي هو عشقٌ للنساء، فقال: بطن فرقٍ، وظهر فكثف، وامتنع وصفه عن اللسان فهو بين السحر والجنون، لطيف المسلك والكمون.

** وقال بعض الأدباء: الهوى جليسٌ ممتع، وأليف مؤنس وصاحب مملك، مسالكة لطيفة، ومذاهبه متضادة وأحكامه سائرة، ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها،

والعيون ونواظرها، والعقول وآراءها، وأعطى عنان طاعتها، وقاد تصرفها، توارى الأبصار مدخله، وغمض في القلوب مسلكه.

** قال عباس بن الأحنف، فيما أنشده إسحاق الموصلي له.

فلو كان لي قلبان عشت بواحدٍ ... وخلّيت قلباً في هواك يعدّب

** كتب المهدي إلى الخيزران وهو بمكة:

نحن في أفضل السرور، ولكن ... ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي ... أنكم غبتم ونحن حضور
فأجدوا المسير، بل إن قدرتم ... أن تطيروا مع الرياح فطيروا

فأجابته:

قد أتانا الذي وصفت من الشوق ... فكدنا وما فعلنا نظير

ليت أنّ الرياح كن يؤدين ... إليكم ما قد يجنّ الضمير

لم أزل صبةً فإن كنت بعدي ... في سرورٍ فدام ذاك السرور

** قال بعض الأدباء: ما أشدّ جولة الرأي عند الهوى وفطام النفس عند الصبّا،

لقد تصدعت كبدي للمحبّين لو العاذلين قرطة في آذانهم ونيران متأججة في أبدانهم لهم
دموع غزيرةً على المغاني، كغروب السّواني.

[المغاني جمع مغنى: وهو المنزل، والغروب جمع غرب كشمس: وهو الدلو العظيمة،

والسواني جمع سانية: وهي الناقة يسقى عليها، والغرب وأداته].

** قال بعضهم: لو لم يكن في العشق إلاّ أنه يشجع قلب الجبان، ويسخي كف

البخيل، ويصفّي ذهن الغبي، ويبعث حزم العاقل، ويخضع له عزّ الملوك، وتصرع له
صولة الشجاع، وينقاد له كلّ ممتنع، لكفي به شرفاً.

** عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة، فأطمعته في نفسها، فبعث

يستهدّيها طعاماً، حتى فعل ذلك غير مرة، فلما أكثر عليها، بعثت إليه: رأيت العشق

يكون في القلب ويفيض إلى الكبد، ثم يستبطن الأحشاء، وحبك لا أراه تجاوز المعدة.

** قال أعرابي من فزارة: عشقت امرأة من طي، فكانت تظهر لي مودّة، فوالله ما جرى بيني وبينها شيء من ريبة، غير أنني رأيت بياض كفها ليلة، فوضعت كفي على كفها، فقالت: مه! لا تفسد ما صلح، فأرفضت عرقاً من قولها، فما عدت لمثل ذلك.

** قال بعضهم: الرجل يكتم بغض المرأة أربعين يوماً، ولا يمكنه أن يكتم حبها يوماً واحداً، والمرأة تكتم حب الرجل أربعين يوماً، ولا يمكنها أن تكتم بغضه يوماً واحداً.

** وقال حبيب:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً خالياً فتمكّنا
ولعلّي بن الجهم:

يا سائلي ما الهوى اسمع إلى صفتي ... الحُب أعظم من وصفي ومقداري
ماء المدامع نار الشوق تحدره ... فهل سمعت بماءٍ فاض من نارٍ

** وقال آخر:

أسرّ الذي بي والدموع تبوح ... وجسمي سقيم والفؤاد قريح
وبين ضلوعي لوعة لم أزل بها ... أذوب اشتياقاً والفؤاد صحيح

باب في وصف النساء

بالحسن والرقّة وما يحمد من نعوتهن، ووصف منطقهن

** روى البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر، وكان معه غلام له أسود يُقال له أنجشة، يحدو، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ويحك يا أنجشة، رويدك بالقوارير).

** وفيه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - على بعض نساءه ومعهن أم سليم، فقال: (ويحك يا أنجشة، رويدك سوقك بالقوارير). قال أبو قلابة: فتكلم النبي - صلى الله عليه وسلم - بكلمة، لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه، قوله: (سوقك بالقوارير).

يعني أنهن ضعاف يسرع إليهن الكسر، ولا يقبلن الجبر.

** ذكر أعرابي امرأة، فقال: كاد الغزال يكونها لولا ما تم فيها ونقص منه.

** وصف أعرابي النساء، فقال: طعائن في سوافهن طول، غير قبيحات العطول

[المرأة إذا نزع حليها]، إذا مشين أسبلن الذبول، وإذا ركن أثقلن الحمل.

** كتب الحجاج بن يوسف إلى محمد أخيه، وهو أمير على اليمن: أن اخطب على ابني امرأة حسناء من بعيد، مليحة من قريب، شريفة في قومها، ذليلة في نفسها، أمة لبعليها. فكتب إليه: قد أصبتها لك، وهي خولة بنت مسمع، على عظم ثدييها. فكتب إليه: إن المرأة لا يحسن صدرها حتى يعظم ثدياها.

** قال المهلب: عليكم من بنات خراسان بمن عظمت هامتها، وطالت قامتها.

** قال محمد بن حسين: عليكم بدوات الأعجاز فإنهن أنجب.

** كان يقال: إذا طال ساعد المرأة وعنقها وساقها لم يشك أنها تنجب.

** قيل لأعرابي: أي النساء أفضل؟ قال: الطويلة السالفة، الرقيقة الرادفة، العزيزة

في قومها، الذليلة في نفسها، التي في حجرها غلام، وفي بطنها غلام، ولها في الغلمان غلام.

** وصف علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- امرأةً، فقال: تدفئ الضجيع، وتروى الرضيع. يعني بعظم ثديها.

** قال ابن شبرمة: سمعت محمد بن سيرين يقول: ما رأيت على رجل لباساً أزين من فصاحة، ولا رأيت لباساً على امرأة أزين من شحم.

** كان يقال: لو قيل للشحم أين تذهب؟ لقال: أقوم العوج.

** وقال مصعب بن الزبير: المرأة فرش فاستوثروا.

** كان يقال: النساء لعب فتخيروا.

** كان يقال: من تزوج امرأة فليستجد شعرها، فإن الشعر أحد الوجهين.

** من الأمثال السائرة: لن تعدم الحسناء ذاماً.

** وقالوا: عقل المرأة في جمالها، وجمال الرجل في عقله.

** وصف رجل امرأة فقال: كأن عينيها السقم لمن رآها، وكلامها البرء لمن ناجاها.

** قال أشهب بن عبد العزيز. سئل مالك بن أنس: أيسلم الرجل على المرأة؟

فقال: أما المتجالة فلا بأس، وأما التي كلامها أشهى من الرطب فلا.

** وقال سحنون: سمعت أشهب يقول: المكيات أخنت النساء، والمدنيات أغنج

النساء.

** وقال الراعي:

لهنَّ حديثٌ فاترٌ يتركُ الفَتَى ... خفوقَ الحُشَا مُسْتَهْلَكَ اللَّبِّ طامِعاً

** وقال آخر:

إنَّ النِّسَاءَ رِياحِينَ خَلَقْنَ لَنَا ... وَكَلْنَا يَشْتَهِي شَمَّ الرِّيَّاحِينَ

** قال بعض حكماء أهل الأدب، كمال حسن المرأة أن تكون أربعة أشياء منها

شديدة البياض، وأربعة أشياء شديدة السواد، وأربعة أشياء شديدة الحمرة، وأربعة أشياء مدورة، وأربعة واسعة، وأربعة ضيقة، وأربعة رقيقة، وأربعة عظيمة، وأربعة صغاراً، وأربعة طيبة الريح.

فأما الأربعة الشديدة البياض. فبياض اللون، وبياض العين، وبياض الأسنان،

وبياض الظفر.

وأما الأربعة الشديدة السواد، فشعر الرأس، والحاجبين، والحدقة والأهداب.
وأما الشديدة الحمرة: فاللسان، والشفتان، والوجنتان، واللثة.
وأما المدورة: فالرأس، والعين، والساعد، والعرقوبان.
وأما الواسعة: فالجبهة، والعين، والصدر، والوركين.
وأما الضيقة: فالمنخران، والأذنان، والسرة، والفرج.
وأما الصغار: فالأذنان، والفم، واليدين، والرجلان.
وأما الرقاق: فالحاجب، والأنف، والشفتان، والخصر.
وأما الطيبة الريح: فالأنف، والفم، والإبط، والفرج.
وأما العظيمة: الهامة، والمنكبان، والأضلاع، والعجز.

باب النظر إلى الوجه الحسن

** قال الله عز وجل: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}، {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ}.

** ومنع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الفضل بن العباس وهو رديفه، عام حجة الوداع، من النظر إلى الخثعمية، وصرف وجهه عنها.

** ومنع بعض أصحابه الدخول عليه من أجل صفة زوجته، وقال لهم: إنها صفة.

** ومنع امرأتين من نساءه من النظر إلى ابن أم مكتوم، فقالتا: أليس أعمى؟ فقال:

أفعمياوان أنتما؟

** قال عقيل بن علفة: لأن ينظر إلى ابنتي مائة رجل خير من أن تنظر هي إلى رجل واحد.

** نظر أبو حازم بن دينار إلى امرأة حسناء ترمى الجمار أو تطوف بالبيت، وقد شغلت الناس بالنظر إليها لبراعة حسننها، فقال لها: أمة الله! خمري وجهك، فقد فتنت الناس، فهذا موضع رغبة ورهبة. فقالت له: إحرامي في وجهي أصلحك الله يا أبا حازم، وأنا من اللواتي قال فيهن العرجي:

من اللائي لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ... وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ التَّقَى الْمُغْفَلَا

فقال أبو حازم لأصحابه: تعالوا ندع الله ألا يعذب هذه الصورة الحسنة بالنار، فقيل له: أفتنتك يا أبا حازم، فقال: لا، ولكن الحسن مرحوم.

هكذا روينا هذا الخبر عن أبي حازم من وجوه بألفاظ مختلفة ومعنى متقارب.

** وذكر المدائني عن عبد الله بن عمر العمري، قال: خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلامٍ أرفثت فيه، فأدريت ناقتي منها، وقلت: يا أمة الله! أأست حاجة؟ أما تخافين الله؟ فسفرت عن وجهه يبهر الشمس حسنا، ثم قالت: تأمل يا عمري، فإني ممن عناه العرجي بقوله:

أماطت كِسَاءَ الْحَزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِهَا ... وَأَدْنَتْ عَلَى الْحَدِيدِ بُرْدًا مُهْلَهَلًا

من اللائي لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ... وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ الْبَرِيءَ الْمُغْفَلَا

وترمى بعينيها القلوب ولحظها ... إذا ما رمت لم تُخط منهن مَقْتَلًا
قال: فقلت: فأنا أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار، قال: وبلغ ذلك سعيد بن
المسيب؛ فقال: أما والله لو كان من أهل العراق، لقال: اغربي قبحك الله، ولكنه ظرف
عباد أهل الحجاز.

** نظر رجلان إلى جارية حسناء في بعض طرق مكة فمالا إليها فاستسقىها ماءً،
فسقتهما فجعلا يشربانه ولا يسيغانه فعرفت ما بهما فجعلت تقول:

هما استسقى ماءً على غير ظمأة ... ليستمتعا باللحظ ممن سقاها

فعجبا من ذلك ودفعا الإناء إليها فمرت وهي تقول:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً ... لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ

رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

** دخل الشعبي على عبد الملك بن مروان، فقال له: يا شعبي! بلغني أنه اختصم
إليك رجلٌ وامراته، فقضيت للمرأة على زوجها، فقال فيك شعراً، فأخبرني بقصتيهما
وأنشدني الشعر إن كنت سمعته. فقال: يا أمير المؤمنين! لا تسألني عن ذلك. فقال:
عزمت عليك لتخبرني. قال: نعم، اختصمت إلى امرأة وبعلها، فقضيت للمرأة إذ توجه
لها القضاء، فقام الرجل وهو يقول:

فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا ... رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

بِفَتَاةٍ حِينَ قَامَتْ ... رَفَعَتْ مَا كَمَتَيْهَا

وَمَشَتْ مَشِيًّا رُوَيْدًا ... ثُمَّ هَزَّتْ مِنْكَبَيْهَا

فَتَنَّهُ بِقَوَامٍ ... وَبِخَطِّي حَاجِبَيْهَا

وَبِنَانٍ كَالْمَدَارِيِّ ... وَاسْوَدَادِ مُقْلَتَيْهَا

قَالَ لِلجُلُوزِ قَرِيهَا ... وَأَخْضِرَ شَاهِدَيْهَا

فَقَضَى جَوْرًا عَلَيْنَا ... ثُمَّ لَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا

كَيْفَ لَوْ أَبْصَرَ مِنْهَا ... نُحْرَهَا أَوْ سَاعِدَيْهَا

لَصَبَا حَتَّى تَرَاهُ ... سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهَا

بِنْتُ عَيْسَى بْنِ حِرَادٍ ... ظَلِمَ الْخِصْمُ لَدَيْهَا

** قال عبد الملك: فما صنعت يا شعبي؟ قال: أوجعتُ ظهره حين جورني في شعره.

هذا ما رواه سفيان بن عيينة، عن سالم بن أبي حفصة، عن الشعبي، وهو أصح إسناده لهذا الخبر.

** وذكر الهيثم بن عدي، قال: خاصمت أم جعفر بنت عيسى بن حراد زوجها إلى الشعبي، فلما قامت بين يديه، قيل لها: ما صنعت؟ قالت: سألتني البينة، ومن سأل البينة فقد فلج، ثم قضى لها، فقال هذيل الأشجعي:

فتن الشعبيّ لما ... رفع الطرفَ إليها

وذكر الأبيات: وفي رواية الهيثم بن عدي: أن الشعر لهذيل الأشجعي فيها، فبلغ ذلك الشعبي، فقال: أبعد الله، ما قضينا إلا بحق. قال الهيثم: فحدثني ابن أبي ليلى، قال: خرجنا مع الشعبي من المسجد، وقد قام من مجلس القضاء، فمررنا بجارية تغسل في إجانة فلما رأت الشعبي قالت:

فُتن الشعبيّ لما

فقال الشعبي:

رفع الطرفَ إليها

** خاصم الوليد بن صريع، مولى عمرو بن حريث، أخته أم كلثوم ابنة صريع إلى عبد الملك بن عمير، قاضي الكوفة، وكان يقال له: القبطي، لفرسٍ كان له فقضى لها على أخيها، فقال هذيل الأشجعي:

لقد عثرَ القبطيُّ أو زلَّ زلَّةً ... وما كان منه لا العثارُ ولا الزَّلَلُ

أتاه وليدٌ بالشُّهودِ يقودُهُمْ ... على ما ادَّعى من صامتِ المالِ والحَوْلُ

يقودُ إليه كلُّثماً وكلامها ... شفاءً من الدَّاءِ المخامرِ والحَبَلُ

فأدلى وليدٌ عند ذاك بحجةٍ ... وكان وليدٌ ذا مرأٍ وذا جدلٍ

وكان لها دَلٌّ وعينٌ كحيلةٍ ... فأدلتْ بحُسنِ الدَّلِّ منها وبالكَحَلِ

فأفتنت القبطيَّ حتى قضى لها ... بغيرِ قضاءِ الله في مُحْكَمِ الطُّولِ

فلو أن من في القصرِ يعلمُ علمه ... لما استعملَ القبطيَّ يوماً على عمَلِ

فبلغ ذلك عبد الملك بن عمير، فقال: ما لهذيل أخزاه الله؟ والله لربما جاءني النحنحة أو السعلة وأنا في المتوضأ فأردها مخافة ما قال.

** قال شيخ من بني نمير: نظرت إلى مولدةٍ باليمامة، فقالت: ملأت عينيك وملك غيرك.

** وقال بعض الأعراب:

جزى الله البراقعَ من ثيابٍ ... عن الفتیانِ شراً ما بقيناً

يوارين الملاحَ فلا أراها ... ويوهمنَ القباحَ فيزدهيناً

** كان يقال: أربعة تزيد في البصر: النظر إلى الوجه الحسن، وإلى الخضرة وإلى الماء الجاري، والنظر في المصحف.

** دخل الشعبي سوق الرقيق، فقيل له: هل من حاجة؟ فقال: حاجتي صورة حسنة، يتنعم فيها طرفي، ويلتذ بها قلبي، وتعيني على عبادة ربي.

** أدام إبراهيم النظام النظر إلى جاريةٍ حسناء، فقال مولاها: أراك تديم النظر إليها، فقال: مالي لا أتأمل منها ما أحل الله، وفيه دليل على حكمة صنعة الله، ومعه اشتياق إلى ما وعد الله.

** قال الحسن البصري: ينبغي للوجه الحسن ألا يشين وجهه بقبيح فعله، وينبغي لقبيح الوجه ألا يجمع بين قبيحين.

باب جامع ذكر النساء وتزويج الأكفاء

** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ).

** ويروى أن داود عليه السلام قال لابنه سليمان: يا بني! إن المرأة الصالحة كمثل التاج على رأس الملك، والمرأة السوء كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير.

** وفي المستدرک عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: (الْمَرْأَةُ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ أَعْوَجٍ، وَإِنَّكَ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ تَرَكْتَهَا [تَسْتَمْتَعُ بِهَا وَفِيهَا عَوْجٌ]). وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الْمَرْأَةِ لِسَانُهَا، وَفَائِدَةٌ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ، أَنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ أَعْوَجٍ، فَلَا يُنْكَرُ إِعْوَجَاجُهَا، أَوْ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهَا لَا تَقْبَلُ التَّقْوِيمَ كَمَا أَنَّ الضِّلْعَ لَا يَقْبَلُهُ. [فتح الباري].
أخذه الشاعر فقال:

هي الضِّلْعُ العوجاءُ لست تُقِيمُها ... ألا إن تقويمَ الضلوعِ انكسارُها

** قيل لبعض الأعراب: من تركت عند نسائك؟ فقال: حافظين: الجوع والعري، عرين فلا يظهرن، وجعن فلا يَأْشُرْنَ.

** مما أوصى به محمد بن عبد الله بن حسين ابنه، فقال: واعلما أن لن تسقط امرأة واطبت على ثلاث خلال: الماء والسواك والكحل فعليكما بهن.
** قال معاذ بن جبل: أخوف ما أخاف عليكم النساء، إذا تسورن الذهب، ولبسن عصب اليمن، ورباط الشام، فأتعن الغنى وكلفن الفقير ما لا يجد.

** قال سمرة بن جندب: سمعت عمر بن الخطاب يقول: النساء ثلاث والرجال ثلاثة: امرأة عاقلة مسلمة عفيفة هينة لينة ودود وولد، تعين أهلها على الدهر، ولا تعين الدهر على أهلها، وقليل ما تجدها. وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك، وأخرى غلٌ قملٌ يجعله الله في عنق من يشاء، ثم إذا شاء أن ينزعه نزعته.

وذكر الرجال بما قد ذكرته في باب ثلاثة.

** قال منصور الفقيه:

أفضل ما نال الفتى ... بعد الهدى والعافية

قريئة مسلمة ... عفيفة موأية

** ذكر ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: قالوا: النساء خلقن من ضعف، فداووا

ضعفهن بالسكوت، وعوراهن بالبيوت.

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تُنَكِّحُ

الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَاهَا وَحَسَبِهَا وَجَمَاهَا وَلِدِينِهَا، فَظَفَرُ بِيَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ).

[البخاري]

** كان يقال: إياكم ومناكحة الحمقاء، فإن صبحتها أذى ومناكحتها أذى.

** قال أبو الأسود لبنيه: يا بني! قد أحسنت إليكم صغارا وكبارا، وقبل أن تولدوا،

قالوا: وكيف ذلك؟ قال: التمسيت لكم من النساء الموضع الذي لا تعاون به.

** وشوور بعض الحكماء في تزويج، فقال للمشاور: يا ابن أخي! إياك أن تزوج

لأهل دناءة أصابوا من الدنيا، فإنك تشركهم في دناءتهم، ويستأثرون عليك بدنياهم.

قال: فقمتم عنه وقد اكتفيت بما قال لي.

** كان يقال: لا تسترضعوا الحمقاء؛ فإن اللبن ينزع بالشبه إليها.

** قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لا تسكنوا نساءكم الغرف، ولا

تعلموهن الكتابة، واستعينوا عليهن بالعري.

** قال عمر بن الخطاب: استعيذوا بالله من شرار النساء، وكونوا من خيارهن على

حذر.

** وقال أيضاً: عليكم بالسراري؛ فإننا رأيناهن يأخذن بعز العرب وملك العجم.

** قال علي بن أبي طالب: خير نساءكم الطيبة الرائحة، الطيبة الطعام، التي إن

أنفقت أنفقت قصدا، وإن أمسكت أمسكت قصدا، فتلك من عمال الله، وعامل الله لا

يخيب.

** قال علي بن أبي طالب: من أراد البقاء - ولا بقاء - فليخفف الرداء، وليباكر الغداء، وليقل مجامعة النساء. قيل له: وما خفة الرداء؟ قال: الدين. ثم قال: المرء بجده والسيف بجده، والثناء بعد البلاء.

** قال عمرو بن العاص: الناكح مغترس، فلينظر امرؤ حيث يقع غرسه.

** قال المغيرة بن شعبة: صاحب المرأة الواحدة امرأة مثلها، إن بانت بان معها، وإن حاضت حاض معها، وإن مرضت مرض معها، وصاحب المرأتين علي جمرتين، وصاحب الثلاث علي رستاق، وصاحب الأربعة كل ليلة عروس، أخذه الشاعر فقال:

وصاحبُ ضربتَيْنِ علي الليالي ... كما قد قيل بين الجُمُرتَيْنِ

رضاً هذِي يُهَيِّجُ سُخْطَ هَذِي ... فما يَعْرِى من إِحْدَى السُّخْطَيْنِ

** دخل أعرابي على الحجاج فسمعه يقول: لا تكمل النعمة على المرء حتى ينكح أربع نسوة يجتمعن عنده، فانصرف الأعرابي فباع متاع بيته، وتزوج أربع نسوة، فلم توافقهن واحدة، خرجت واحدة حمقاء رعناء، والثانية متبرجة، والثالثة فارك [مكروة مبعوضة] أو قال فرك، والرابعة مذكرة، فدخل على الحجاج فقال: أصلح الله الأمير، سمعت منك كلاماً أردت أن تتم لي به قرّة عين؛ فبعت جميع ما أملك، حتى تزوجت أربع نسوة، فلم توافقني منهن واحدة، وقد قلت فيهن شعراً، فاسمع مني، قال: قل. فقال:

تزوجتُ أبغِي قُرّةَ العينِ أربعاً ... فياليتَ أني لم أكن أتزوجُ

ويا ليتني أعمى أصمُّ ولم أكنُ ... تزوجتُ بل يا ليتَ أني مُحَدِّجُ

فواحدةٌ ما تعرفُ الله ربّها ... ولا ما التُّقى تدري ولا ما التَّحُرُّجُ

وثانيةٌ ما إن تقرَّ بيبتها ... مذكرةٌ مشهورةٌ تتبرِّجُ

وثالثةٌ حمقاء رعناً سخيفةٌ ... فكل الذي تأتي من الأمر أعوجُ

ورابعةٌ مفروكةٌ ذاتُ شرّةٍ ... فليستُ بها نفسي مدى الدهر تُبْهَجُ

فهنَّ طلاقٌ كلُّهنَّ بوائنُ ... ثلاثاً ثلاثاً فاشهّدوا لا تلجلجوا

فضحك الحجاج حتى كاد يسقط من سريره، ثم قال له: كم مهورهن؟ قال: أربعة آلاف درهم. فأمر له بثمانية آلاف درهم.

** قال أَكْثَمُ بن صَيْفِي لَبْنِيهِ: يا بني لا يَنْكَبُنْكُمْ جَمالُ النِّساءِ عن صِراحةِ النِّسبِ،
فإنَّ المَناحِ الكَريمةَ مَدْرَجَةٌ لِلشَّرَفِ.

** روى أُسامَةُ بن زَيدٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ: أن عبدَ اللَّهِ بن رِواحَةَ وَقَعَ على
جاريةٍ لَهُ، فَاهْتَمَّتْهُ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: ما فَعَلْتَ. فَقَالَتْ: فَاقْرَأِ الْقُرْآنَ إِذَا. فَقَالَ:
وَفِينَا رَسولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتابَهُ... كما انشَقَّ مَشهُورٌ مِنَ الصَّبْحِ ساطِعٌ
أَتانا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فقلوبُنَا... بِهِ موقِناتُ أن ما قال واقعٌ
ببيتٍ يَجافِي جَنبَهُ عن فِراشِهِ... إِذا اسْتثَقَلَتْ بِالهاجَعِينَ المِضاجِعُ
فَقَالَتْ: أُولَى لَكَ.

وفي روايةٍ أُخرى في هَذِهِ القِصَّةِ أَنها ما قالَتْ لَهُ: فَاقْرَأِ إِذاً شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ، قالَ:
سَمِعْتُ بَأَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا... وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرِينَ
وَأَنَّ العَرشَ فَوْقَ المَاءِ حَقًّا... وَفَوْقَ العَرشِ رَبُّ العالَمِينَ
قالَتْ: ما شاءَ اللَّهُ! كَذَبْتَ عَينِي، وَأَنْتَ الصَّادِقُ. أو نَحو هَذَا.

** قالَ المَغيرةُ بن شَعْبَةَ: إِذا كانَ الرَّجُلُ مَذْكَراً وَالْمَرْأَةُ مَذْكَرةً تَصادِمَا العِيشِ، وَإِذا
كانَ الرَّجُلُ مَوْثِناً وَالْمَرْأَةُ مَوْثِنةً ماتا هِزْلاً، وَإِذا كانَ الرَّجُلُ مَوْثِناً وَالْمَرْأَةُ مَذْكَرةً كانَ الرَّجُلُ
هُوَ المَرْأَةُ، وَالْمَرْأَةُ هِيَ الرَّجُلُ، وَإِذا كانَ الرَّجُلُ مَذْكَراً وَالْمَرْأَةُ مَوْثِنةً طابَ عِيشُهُما.
** قالَ الحَسَنُ: إِياكُمْ وَسِمةُ البَناتِ، فَإِنَّ كُنْتُمْ لا بَدَ فاعِلِينَ، فَاحْفَظُوهُنَّ.
** قالَ إِياسُ بن مَعاوِيَةَ: مِنَ يَمِينِ المَرْأَةِ الوَلدُ، وَمَنْ بَرَكَتِها مِياسِرَتِها في المَهْرِ.
** كانَ يُقالُ: لا تَزُوجِ كَرِيمَتَكَ إِلا مِنَ عاقِلٍ، فَإِنَّ أَحَبَّها أَكْرَمُها، وَإِنْ أَبْغَضَها
أَنْصَفَها.

** قالَ غَيرُهُ: لا تَزُوجِ وَلِيتَكَ إِلا مِنَ ذِي دِينٍ، فَإِنَّ أَحَبَّها أَحْسَنُ إِليها، وَإِنْ
أَبْغَضَها لَمْ يَظْلِمْها.

** روى أَبُو العَباسِ عن الأَصمعيِّ قالَ: قالَ أَعْرابيٌّ لَمَرْأَتِهِ: صَفِينِي بِما تَعَلَّمِي مِنِّي
وَلَا تَكْتَمِي. فَقَالَتْ: أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِحَفِيفاً على ظَهْرِ الفَرَسِ، ثَقِيلاً على العَدُوِّ،
ضَحوكاً مَقْبِلاً، كَسوباً مَدْبِراً، لا تَشِيعُ ليلَةٌ تَضافُ، وَلا تَنامُ ليلَةٌ تَخافُ.

** وعن الأصمعي أيضاً، قال: هلك رجل من العرب، فقيل لامرأته: صفي بعلك، فقالت: والله إن كان - فيما علمت - لضحوكاً إذ ولج، كسوباً إذا خرج، أكلا ما وجد، غير سائلٍ ما فقد.

** قال الأصمعي، قال الحسن: كان أهل الجاهلية إذا خطب الرجل المرأة تقول: ما حسبه، وما حسبها؟ فلما جاء الإسلام، قالوا: ما دينه، وما دينها؟ وأنتم اليوم تقولون: ما ماله، وما مالها؟

** قال الشاعر:

لا يأمننَّ على النساءِ أحمُّ أحمَّا ... ما في الرجالِ على النساءِ أأمينُّ

إنَّ الأيمنَ وإنَّ تحفظَ جهدهُ ... لا بدَّ أنَّ بنظرةٍ سيخونُ

** قيل لبعضهم: ما تقول في الباه؟ قال: عندي ما يقطع حاجتها، ولا يقضي حاجتها.

** قيل لمديني: ما عندك من هذا الأمر؟ قال: إن منعت غضبت، وإن تركتُ عجزت.

** قيل لآخر: ما عندك للنساء؟ قال: أطيل الظمأ، ثم أرد فلا أشرب.

** مرت بعيسى بن موسى جاريةً، فقام إليها فصرعها، فلما رامها عجز عنها فقال:

القلبُ يطمعُ والأسبابُ عاجزةٌ ... والنفسُ تهلكُ بين العجزِ والطمعِ

** كان يقال: لعن كل فاجر عند الجماع!

** قالوا: لذة المرأة على قدر شهوتها، وغيرتها على قدر محبتها.

** تزوج رجل - وهو روح بن زنباع - أم جعفر بنت النعمان بن بشير، زوجها له عبد الملك بن مروان، وقال: إنها جارية حسناء، فاصبر على بذاء لسانها، فصحبها ثم أبغضها. فمن قوله فيها:

ريحُ الكرائمِ معروفٌ لها أرْحُ ... وريحُها ريحُ كلبٍ مسَّهُ مطرُ

** خطب العريان بن الهذيل البرجمي امرأةً، فكان أصم وكانت عوراء، فقالت: تسأل عنا ونسأل عنك، فقال:

فإن تسألني عَنَّا وَعَنكَ فَإِنَّا ... كِلَانَا بِهِ دَاءٌ أَصَمٌّ وَأَعْوَرًا

فَقَالَتْ: أَمَّا إِذْ عَرَفْتَ الدَّاءَ فَاجْلِسْ، فَبَعَثَتْ إِلَى وَلِيِّهَا فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ.

** قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: مَنْ لَمْ يَتَزَوَّجْ امْرَأَتَيْنِ لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ العَيْشِ، فَتَزَوَّجْ امْرَأَتَيْنِ ثُمَّ نَدَمَ، فَقَالَ:

تَزَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ لِفَرْطِ جَهْلِي ... بِمَا يَشْقَى بِهِ زَوْجُ اثْنَتَيْنِ

فَقُلْتُ أَصِيرُ بَيْنَهُمَا خَرُوفًا ... أَنْعَمَ بَيْنَ أَكْرَمِ نَعِجَتَيْنِ

فَصَرْتُ كَنَعِجَةٍ تُمَسَّى وَتُضْحَى ... تَرَدَّدُ بَيْنَ أُخْبِثِ ذُبَيْتَيْنِ

رَضِيَ هَذِي يَهَيِّجُ سُخْطُ هَذِي ... فَمَا أَعْرَى مِنْ إِحْدَى السَّخْطَيْنِ

وَأَلْقَى فِي المَعِيشَةِ كُلِّ بُوسٍ ... كَذَاكَ المَرْءُ بَيْنَ الصَّرْتَيْنِ

لِهَذِي لَيْلَةٌ وَلِتِلْكَ أُخْرَى ... عِتَابٌ دَائِمٌ فِي اللَّيْلَتَيْنِ

** قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: إِذَا أَرَدْتُمْ الحِطَّةَ عِنْدَ النِّسَاءِ فَأَفْحَشُوا فِي النِّكَاحِ، وَأَحْسِنُوا الْأَخْلَاقَ.

** قَالَ مَعَاوِيَةُ: مَا رَأَيْتُ مَنْهُومًا فِي النِّسَاءِ إِلَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ فِي ضَعْفِ مَنْتَه [الإحسان والإنعام].

** قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: مَنْ أَرَادَ النِّجَابَةَ فَبَنَاتِ فَارِسَ، وَمَنْ أَرَادَ النِّكَاحَ فَبَنَاتِ البَرْبَرِ، وَمَنْ أَرَادَ الخِدْمَةَ فَالرُّومِيَّاتِ.

** قَالَ سَعِيدُ بْنُ المَسِيْبِ: مَا عَرَفْنَا أَوْلَادَنَا حَتَّى عَرَفْنَا بَنَاتِ فَارِسَ.

** قَالَ أَبُو هَلَالِ الرَّاْسِيِّ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَهْلِهِ بِجَزْرٍ، فَقَالَ: يَا هَذِهِ! اطْبَخِيهِ أَوْ اشْوِيهِ وَكَلِيهِ، فَإِنَّ المَطْبُوخَ جَيِّدٌ لِلْبَطْنِ، وَالمَشْوِيُّ جَيِّدٌ لِلظَّهْرِ، وَالنَّيْءُ جَيِّدٌ لِلجَمَاعِ، قَالَتْ: لَيْسَ عِنْدَنَا نَارٌ فَكَلِهِ.

** غَاظِبٌ رَجُلٌ امْرَأَتَهُ ثُمَّ تَرْضَاهَا، فَلَجَّتْ فَكَاْبِرَهَا حَتَّى جَامِعَهَا، فَقَالَتْ: أَخْزَاكَ اللهُ، كَلِمَا وَقَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَيْءٌ جِئْتَنِي بِشَفِيعٍ لَا يُمْكِنُنِي رَدَهُ.

** قَضَى سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ عَلَى رَجُلٍ بَأَنَّ يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي كُلِّ أَرْبَعِ لَيْلَةٍ، فَرَضَى ذَلِكَ عَمْرًا، وَجَعَلَهُ قَاضِيًا بِالكُوفَةِ، وَخَبِرَهُ مَشْهُورٌ قَدْ ذَكَرَنَاهُ فِي مَوَاضِعَ.

** وروى يعقوب بن طلحة، وإسحق بن محمد السني أن عمر بن الخطاب شكت إليه امرأة أن زوجها لا يأتيها إلا في كل طهر مرة، فقال لها: ليس لك غير ذلك ولا كرامة.

** روى عن أبي هريرة، وبعضهم يرويه مرفوعاً: أنه قال: فضلت المرأة على الرجل بتسعةٍ وتسعين جزءاً من اللذة، أو قال من الشهوة، ولكن الله ألقى عليهن الحياء.

** قال المأمون: النساء شر كلهن، وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن.

** قال غيره: الصبر عنهن أهون من الصبر عليهن.

** قال معاوية: هن يغلبن الكرام، ويغلبهن اللئام.

** كان يقال: النكاح فرح شهر، وغم دهر، ووزن مهر، ودق ظهر.

** ودخل معاوية بن أبي سفيان على ميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد، ومعه خديج الحصى فاستترت منه، فقال لها معاوية: إن هذا بمنزلة المرأة، فعلام تستترين منه. فقالت: كأنك ترى المثلى به أحلت له مني ما حرم الله.

** كان محمد بن حسين يقول: اللهم ارزقني امرأة تسرني إذا نظرت، وتطيعني إذا أمرت، وتحفظني إذا غبت.

** قالت أسماء بنت أبي بكر: النكاح رق النساء، فلتنظر المرأة عند من تضع رقبها. ضرب عبد الملك بن مروان بعثاً إلى اليمن، فأقاموا سنين، جنى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق، قال: والله لأعسن الليلة مدينة دمشق، ولأسمعن ما يقول الناس في البعث الذي غربت فيه رجالهم، وغرمت فيه أموالهم. فبينما هو في بعض أزقتها إذا هو بصوت امرأة قائمة تصلي، فتسمع إليها، فلما انصرفت إلى مضجعها قالت: اللهم يا غليظ الحجب، ويا منزل الكتب، ويا معطي الرغب، ويا مؤدي الغرب. أسألك أن ترد غائبي، فتكشف به همي، وتصفي به لذتي، وتقر به عيني، وأسألك أن تحكم بيني وبين عبد الملك بن مروان الذي فعل بي هذا، فقد صير الرجل نازحاً عن وطنه، والمرأة مقلقةً على فراشها، ثم أنشأت تقول:

تطاول هذا الليلُ فالعينُ تدمعُ ... وأرَّقني حُزْني وقلبي مُوجعُ

فبتَ أقاسي الليلَ أرعى نجومه ... وباتَ فؤادي هامداً يتفرعُ

إذا غابَ منها كوكبٌ في مغيبِهِ ... لمحتُ بعيني آخراً حين يطلُعُ
إذا ما تذكرتُ الذي كان بيننا ... وجدتُ فؤادي للهوى يتقطَعُ

وكلُّ حبيبٍ ذاكراً لحبيبِهِ ... يَرَجِي لِقاهُ كلَّ يومٍ ويطمعُ

فذا العرشِ فُرج ما ترى من صَبَابتي ... فأنت الذي ترعى أموري وتسمعُ

دعوتُك في السَّراءِ وَالصُّرِّ دعوةً ... على غُلةِ بين الشراشيف تلذعُ

فقال عبد الملك لحاجبه: تعرف لمن هذا المنزل؟ قال: نعم، هذا منزل زيد بن
سنان. قال: فما المرأة منه؟ قال: زوجته. فلما أصبح سأل كم تصبر المرأة عن زوجها؟
قالوا: ستة أشهر. فأمر ألا يمكث العسكر أكثر من ثلاثة أشهر.

** قال سليمان بن داود صلى الله عليهما: يا بني! لا تكثر الغيرة على أهلك من
غير ريبة، فترمى بالشر من أجلك وإن كانت بريئة.

** وجد صبي منبوذ في بعض مساجد أصفهان، ومعه صرة فيها مائة دينار، ورقة
مكتوب فيها: هذا جزاء من لا يزوج ابنته.

** كان رجل من أهل الشام مع الحجاج بن يوسف يحضر طعامه، فكتب إلى أهله
يخبرهم بما هو فيه من الخصب، وأنه قد سمن، فكتبت إليه امرأته:

أُتهدى لي القرطاس والخبز حاجتي ... وأنت على باب الأمير بطينُ

إذا غبت لم تذكر صديقاً وإن تُقَم ... فأنت على ما في يدك ضنينُ

فأنت ككلبِ السُّوءِ جوعَ أهله ... فيهزلُ أهلُ البيت وهو سمينُ

باب الأمثال السائرة في النساء

** لا تحمد الحرة عام هدائها، ولا الأمة عام شرائها.

** من ينكح الحسناء يعط مهرًا.

** من يمدح العروس إلا أهلها؟

** لكل فتاة خاطب، ولكل أمر طالب.

** كل ذات دل تختال.

** كاد العروس أن يكون أميرًا.

** وليس لمخضوب البنان يمين.

** لا تسد الثغور بالمحصنات.

** قال الشاعر:

كُتِبَ القَتْلُ والقَتْلُ علينا ... وعلى المُحْصَنَاتِ جِرُّ الدُّيُولِ

** النساء بالنساء أشبه من الماء بالماء، ومن الغراب بالغراب، ومن الذئاب

بالذئاب. كل غانية هند.

** نعم هو المرأة المغزل.

** البياض نصف الحسن، والعجيزة أحد الوجهين.

** لا عطر بعد عروس.

** العوان لا تعلم الخمرة.

** لما زوج أسماء بن خارجة ابنته، دخل عليها ليلة بنائها، فقال: يا بنية، إن كان

النساء أحق بتأديبك، ولا بدّ من تأديبك، كوني لزوجك أمةً يكن لك عبداً، ولا تقربي

منه جداً فيملك أو تمليه، ولا تباعدي عنه فتثقل عليه، وكوني له كما قلت لأملك:

خُذِي العَفْوَ متى تستديمي مودّتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ

بابُ اللباس

** قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ) [البخاري]
والديباج نوع نفيس من الحرير.

** وقال: (مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ). [البخاري]

** عن زيد بن أرقم، عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «الذهبُ والحريرُ حلالٌ لإناثِ أُمَّتِي حرامٌّ على ذكورِها». [صححه الألباني بشواهد في الصحيحة]
** وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ) [البخاري]

** عن ابنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
(مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شَهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَدْلَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [مسند أحمد،
حسن]

** سئل عمر بن الخطاب عن لبس الحرير للنساء، فقال: هن لعبكم؛ فزينوهن بما
شئتم.

** قال عبد الله بن عمر: من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه وإن كان ولياً.
** عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَمَا كَانَ إِلَى الْكَعْبَيْنِ فَلَا بَأْسَ، وَمَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ فَفِي النَّارِ، لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا»
** ولما ذكر الإزار عند رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قالت أم سلمة: إذا
ينكشف عنها. قال: (فدراعٌ لا تزيد عليه).

** قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (كم من كاسية في الدنيا، عارية يوم
القيامة).

** عن أبي هريرة، -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
(صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَا أَرَاهُمَا بَعْدُ، نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ، عَلَى
رُؤُوسِهِنَّ أُمَّثَالُ أَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَرَيْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا.) [أحمد]

** كان يقال: كل من الطعام ما اشتهيت، وألبس من الثياب ما اشتهى الناس.

** كان بكر بن عبد الله المزني، يقول: البسوا ثياب الملوك، وأميتوا قلوبكم

بالخشية.

** وقال الحسن: إن قوماً جعلوا خشوعهم في لباسهم، وكبرهم في صدورهم، وشهروا أنفسهم بلباس هذا الصوف، حتى إن أحدهم بما يلبس من الصوف أعظم كبراً من صاحب المطرف بمطرفه.

** قال الوليد بن مزيد: كان الناس عندنا يلبسون الأردية، وكان الأوزاعي يلبسها، فترك الناس لبسها ولبسوا السيجان، فرأيت الأوزاعي قد ترك لبس الأردية ولبس الساج، فقلت له: يا أبا عمرو! كنت تلبس الأردية فتركتها ولبست الساج، فما الذي دعاك إلى ذلك، فقال: يا ابن أخي! رأيت الناس يلبسون الأردية فلبستها معهم، وتركوها فتركتها معهم، ولبسوا السيجان فلبست معهم، ولو عادوا إلى الأردية لعدت معهم.

** قال سفيان بن حسين: قلت لإياس بن معاوية: ما المروءة؟ قال: أما في بلدك فالتقوى، وأما حيث لا تعرف فاللباس.

** روى بقية عن الأوزاعي، قال: بلغني أن لباس الصوف في السفر سنة، وفي الحضر بدعة.

** قال مالك بن الأشتر لعلي بن أبي طالب: تمام جمال المرأة في خفها، وتمام جمال الرجل في عمامته.

** بعث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أسامة بن زيد في بعض السرايا فعممه بيده وسدل طرف عمامته.

** قيل لأعرابي: إنك لتديم لبس العمامة؟ قال: إن عضواً فيه السمع والبصر لحقيق أن يوقى من الحر والقر.

** وقال عليه السلام لأبي قتادة: " رجل جمته وأحسن إليها وأكرمها ".

** قال أبو هريرة: إذا كان في الرجل ثلاث فهو الكامل، إذا فخر في المجلس، وأحسن جوابات الكتب، وأحسن كور العمامة.

** روى الرياشي وأبو حاتم عن الأصمعي، قال: ألا أدلك على لباس إن لبسته كان سرىا، وإن رفعته كان بهيا، وإن ذخرته كان طرياً؟ قال: نعم. قال: عليك بالتقوى. قال: ألا أدلك على خليلٍ إن صحبتته صانك، وإن احتجت إليه مانك، وإن تجرت به أربحك، وإن ترحلت به حملك؟ قال: نعم. قال: عليك بالأدب. ثم قال: ألا أدلك على بستانٍ تكون منه في أكمل روضة، وميت يخبرك عن المتقدمين، ويذكرك إذا نسيت، ويؤنسك إذا استوحشت، ويكف عنك إذا سئمت؟ قال: نعم. قال: عليك بالكتاب.

** نظر بعض الأمراء إلى رجلٍ في أطماره فازدراه، فقال له: أصلحك الله، لا تنظر إلى هيئتي، ولكن انظر إلى همتي، فأنا - والله - كما قال عبد الله بن زياد:
فإن أكَ قَصْداً في الرجالِ فإنني ... إذا حلَّ امرؤُ ساحتِي لجسيمٍ
وكما قال الآخر:

لا تنظرنَّ إلى الثيابِ فإنني ... خَلِقُ الثَّيابِ، من المروءةِ كاسِي
** قال عبد الله بن المبارك: مخامر الرجال في اللحي والأكمام، ومخامر النساء تحت القمص.

** وأنشد غير واحد للشافعي رحمه الله تعالى:
على ثيابٍ لو تباعُ جميعُها ... بفلسٍ لكان الفلُسُ منهنَّ أكثرًا
وفيهنَّ نفسٌ لو يقاسُ ببعضها ... نقوسُ الورى كانت أجلَّ وأكبرًا
** وأخذ هذا المعنى ابن أبي الفضل البصري الشاعر يخاطب المتنبي، فقال:
لئن كان ثوبي فوقَ قيمته الفلُسُ ... فلي فيه نفسٌ دونَ قيمتها الإنسُ
فثوبُك بدر تحت أنواره دُجِّي ... وثوبي ليلٌ تحتَ أطماره شمسُ
وسبق إلى هذا المعنى ابن هرمه، فقال:

قد يدركُ الشرفُ الفَتَى ورداؤُهُ ... خَلَقَ وجيبُ قميصِهِ مرقوعُ
** كان القاسم بن محمد يلبس الخنز، وسالم بن عبد الله يلبس الصوف، وكانا يتجالسان في المجلس ويتحدثان الدهر، لا ينكر واحد منهما لباس صاحبه.

** نظر ابن المبارك ببغداد إلى رجل عليه ثياب صوف لا تحالطها غيرها، فقال من هذا؟ فقبل له: هذا أبو العتاهية الشاعر، فكتب إليه ابن المبارك:

أيتها القارئ الذي لبس الصوف ... وأضحى يُعَدُّ في العبادِ
الزِّم الثَّغَرَ والتَّعْبُدَ فيه ... ليس ببغدادُ موضعَ الزُّهَادِ
إن ببغدادَ للملوكِ محلٌّ ... ومناخَ للقارئِ الصَّيَّادِ

** قال رجل للحسن بن أبي الحسن: يا أبا سعيد! إنا قد وسع الله علينا أفننا من كسوة وعطر ما لو شئنا اكتفينا بدونه، فما تقول؟ قال: أيها الرجل! إن الله قد أدب أهل الإيمان فأحسن أدبهم، قال تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ، وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ}، وإن الله ما عذب قوماً أعطاهم الدنيا فشكروه، وما عذر قوماً زوى عنهم الدنيا فعصوه.

** روى عن لقمان الحكيم، أنه قال: التقنع بالليل ريبة، وبالنهاري مذلة.

** قال رجل لإبراهيم النخعي: ما ألبس من الثياب؟ فقال: مالا يشهرك عند العلماء، ولا يحقرك عند السفهاء.

باب المراكب من الخيل وغيرها

** قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (الْحَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْحَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ). [البخاري] (الأجر) الثواب في الآخرة. (المغنم) الغنيمة في الدنيا.

** كان يقال: لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلوها، ولا تجزوا أعرافها فإنها أذفاؤها، ولا تجزوا أذناها فإنها مذاؤها.

** قال عمر بن الخطاب: عليكم بإنات الخيل، فإن بطونها كنز، وظهورها حرز.

** قال علي بن أبي طالب: الخيل المطلب والمهرب.

** قال الحسن البصري: الجفاء مع أذنان الإبل، والذلة مع أذنان البقر، والسكينة مع أذنان الغنم، والعز مع نواصي الخيل.

** قال خالد بن صفوان: الخيل للرجبة والرهبنة، والبراذين للدعة، والبغال للسفر البعيد والأثقال، والإبل للتحمل، والحمير للزينة وخفة المؤونة.

** سائر شبيب بن شيببة بعض الأمراء، وهو على بردون، والأمير على فرس، فقال له الأمير: سر، فقال: كيف أسايرك وأنت على فرس، إن تركته سار، وإن حركته طار، وأنا على بردون، إن تركته وقف، وإن ضربته قطف. فأمر له بفرس فاره.

** قيل لأعرابي: صف لنا فرسك. قال: سوطه عنانه، وهمه أمامه، وما ضربته قط إلا ظالماً له.

** بعث الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بفرس، وكتب إليه: قد وجهت إليك بفرس حسن المنظر، محمود المخبر، أسيل الخد، رشيق القد.

** قال بعض الحكماء: أكرم الخيل أجزعها من الضرب، وأكرم الصفايا أشدها ولها إلى أولادها، وأكرم الإبل أشدها حينئذ إلى أوطانها، وأكرم المهار أشدها ملازمة لأمها.

** قال بعض البلغاء: البغل تواضع عن خيلاء الخيل، وارتفع عن ذلة العير، فهو وسط، وخير الأمور أوسطها.

باب الطعام والأكل

** كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعجبه الذراع.

** وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: **ثُمَّ إِنَّكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَيْبَتَيْنِ هَذَا الْبَصَلُ وَالثُّومُ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْحًا.**

والكراث والفجل في معنى الثوم والبصل.

** قال عمر بن الخطاب: إياكم واللحم، فإن له ضراوة كضراوة الخمر.

إنما كره الإدمان عليه، والله أعلم، لما فيه من التمتع والتشبه بالأعاجم، ألا ترى أنه كتب إلى عماله: اخشوشنوا، وإياكم والتمتع وزى العجم.

** ذكر عند بعض العرب اللحم، فقال: إنه ليقتل السباع.

يريد إدخال بعضه على بعض قبل تمام الهضم - والله أعلم.

** خطب عمر بن الخطاب يوماً، فقال: إياكم والبطنة، فإنها مكسلة عن الصلاة، مؤذية للجسم. وعليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أبعد من الأشر، وأصح للبدن، وأقوى على العبادة، وإن امرءاً لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

** مر علي بن أبي طالب بمجلس من مجالس الأنصار، فسلم عليهم، فقاموا له وحفوا به ورحبوا وقالوا: لو نزلت فأكلت من طعامنا، فقال لهم: إما حلفتُم علينا، وإما انصرفنا.

** قال علي بن أبي طالب: المعدة حوض البدن، والعروق واردة عليها وصادرة عنها، فإذا صحت صدرت العروق عنها بالصحة، وإذا سقمت صدرت العروق بالسقم.

** قال بعض الأطباء: اللحم ينبت اللحم، والشحم لا ينبت اللحم ولا الشحم.

** قال علي بن أبي طالب: الشحم يخرج مثله من المدا.

** أتى عمر بن عبد العزيز بيته يوماً، فقال: هل عندكم من طعام؟ فأصاب تمرًا وشرب من ماء، وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله.

** قيل للشعبي: أي الطعام أحب إليك؟ قال: ما صنعه النساء، وقل فيه العناء.
** ومن حديث علي بن ثابت، عن حمزة بن أبي حمزة، عن أبي الزبير، عن جابر،
قال: نهي رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن الأكل بالشمال، والشرب بالشمال،
وعن الاستنجاء باليمين.

** قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لربيبة عمر بن أبي سلمة: يا بني: (قل
بسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك).

** كان علي بن أبي طالب إذا دُعي إلى طعام أكل شيئاً قبل أن يأتيه، ويقول: قبيح
بالرجل أن يظهر نهمته في طعام غيره.

** وقال رحمه الله: من أراد البقاء - ولا بقاء - فليباكر الغداء، وليخفف الرداء،
وليقبل غشيان النساء.

** قال قيس بن أبي حازم: نزل بي أعرابي من أحمس، فلم آله تكرمه، فقال لي:
أكل الحي يجد مثل هذا الذي أرى عندك؟ فقلت: إن أخبثهم عيشاً يشبع من الخبز
والتمر، فقال: أقسم بالله لئن كنت صادقاً ليوشكن أن يقتتلوا، فإن العرب - والله - ما
زالت إذا شعبت اقتتلت. قال قيس: فلم ألبث إلا أربعة أشهر حتى قتل عثمان، ثم
كانت وقعة الجمل، ثم وقعة صفين والنهروان.

** قال الشعبي: الناس في جنة الله تعالى ستة أشهر - يعني أيام الرطب.

** ذكر أبو الحسن بن مقسم، قال: سمعت محمد بن مسلم الزجاج جارنا، قال:
سمعت عباس الدوري، يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: لا يمل الباذنجان عاقل.

** وسمعت القاضي أبا عمرو، يقول: لو علم الثور الذي يحمل الباذنجان أنه عليه،
تاه على الثيران.

قلت: هذا لمن استطابه، وعذب عنده، وأما من جهة الطب، فذمه عندهم أكثر
من مدحه.

** قال طريح بن إسماعيل الثقفي:

دَعُ بَعْضَ أَكْلِكَ رَبِّ آكَلِ أَكْلَةٍ... يوماً سيلفظها إذا هُوَ لَآكَهَا

** ولبعض المتأخرين في رجل مات من أكلة أكلها في شعر له فيه:

يا مَنْ جنت كُفُّه على جَسَدِهِ ... يَرْحَمُكَ اللهُ يا قَنِيلَ يَدِهِ

** قال الفضيل بن عياض: خصلتان يقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل.
** دعا عبد الملك بن مروان رجلاً إلى غدائه، فقال له قد تغديت. قال عبد الملك: ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا تكون فيه بقية للطعام! فقال: يا أمير المؤمنين! بي فضل، ولكني كرهت أن آكل فأصير إلى ما استقبح أمير المؤمنين.
** قال إبراهيم النخعي: ما رأيت ركباً أحسن من زبدٍ على تمر.
** قال الشاعر:

نُنافِسُ في طيبِ الطَّعامِ وكلُّهُ ... سواءٌ إذا ما جَاوَزَ اللَّهْوَاتِ

** دعا الحجاج رجلاً إلى غدائه، فقال: قد تغديت. قال: إنك لتباكر الغداء قال: خلال ثلاث: إن ناجيت رجلاً لم يجد في خلوفه، وإن شربت ماء شربته على ثقل، وإن حضرت قوماً على طعام حضرتهم ومعى بقية من غرض. فعجب منه.
** قال سليمان بن عبد الملك لسالم بن عبد الله، وقد رآه حسن السحنة: أي شيء تأكل؟ قال: الخبر والزيت، وإذا وجدت اللحم أكلته. قال له: وتشتهيه؟ قال: إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيه.

** قيل لبعض العقلاء: أي الطعام أطيب؟ قال: الجوع أعلم.

** كان يقال: نعم الإمام الجوع، ما ألقيت إليه شيئاً إلا قبله وطاب عنده.

** روى معن بن عيسى، عن مالك بن أنس، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال: الخبيص يزيد في الدماغ.

** وروى عن جعفر بن محمد رحمه الله، أنه قال: الخلال بعد الطعام يشد اللثات، ويجلب الرزق، ويطيب نكهة الفم.

** دخل جنادة بن أبي أمية على معاوية، وهو يأكل، فدعاه إلى الأكل، فقال: أنا صائم، قلم تزل الألوان تختلف بين يدي معاوية حتى جيء بجدي محنوذ سمين، فقال جنادة: ليأمر لي أمير المؤمنين بماء أغسل يدي وأكل من هذا الجدي. فقال له: ألم تقل إنك صائم؟ قال: بلى. ولكني على رد يوم أقدر مني على رد مثل هذا الجدي. فضحك معاوية وأمر بالماء، فغسل يده وأكل معه.

** قال الحسن البصري: غسل اليد قبل الطعام ينفي الفقر. وبعد الطعام ينفي اللحم.

** كان يقال: أحب الطعام إلى الله عز وجل ما كثرت عليه الأيدي.

** قال أبو بكر الهذلي: إذا جمع الطعام أربعاً كمل، إذا كان حلالاً، واجتمعت عليه الأيدي، وسمى الله في أوله، وحمد في آخره.

** كان يحيى بن معين يتمثل:

المالُ يَنْفَدُ حِلُّهُ وَحَرَامُهُ ... يوماً وَتَبَقَى فِي غَدٍ آثَامُهُ

ليسَ التَّقَى بِمُتَقٍ فِي دِينِهِ ... حتى يَطِيبَ شَرَابَهُ وَطَعَامَهُ

** قال لقمان لابنه: يا بني! لا تأكل شيئاً على شبع، فإنك إن تركته للكلب خير لك من أن تأكله.

** كان الحسن بن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول: ائتونا بالخوان نأتنس به حتى يأتي الطعام.

** كان لكسرى جامٌ فيه حب رمان يسف منه بين كل لونين ملعقة ليعرف اختلاف الألوان.

** روى عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رجل من أهل الشام: أنعت لكم الأكل؟ قالوا: نعم. قال: إذا أكلت فابرك على ركبتيك. وافتح فاك، وأحج عينيك، وفرج أصابعك، وعظم لقمته، واحتسب نفسك.

** قال عبد الله بن دينار: ما سمعت عبد الله بن عمر يحدث بهذا الحديث قط، فبلغ قوله: واحتسب نفسك، إلا ضحك حتى بدت نواجذه.

** قال الشاعر:

فكم من أَكَلَةٍ مَنَعَتْ أَخَاهَا ... بَلَدَةَ سَاعَةٍ أَكَّالَتِ دَهْرِي

وكم من طالبٍ يَسْعَى لشيءٍ ... وفيه هلاكُهُ لو كان يدري

** قال المأمون: سبعة أشياء لا تمل، أكل خبز البر، وشرب ماء العنب، وأكل لحم الضأن، والثوب اللين، والرائحة الطيبة، والفراش الوطيء، والنظر إلى كل شيء حسن.

فقال له الحسن ابن سهل: أين محادثة الإخوان يا أمير المؤمنين؟ قال: هن ثمانٍ وهي أولهن.

** قال ابن عباس: من السنة إذا دعوت أحداً إلى منزلك أن تخرج معه حتى يخرج.
** روى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، أنه قال: رب البيت آخر من يغسل يديه.

** وقال أبو الزناد: من إكرام الضيف وحسن الأدب في مؤاكلته، أن تغسل يديك قبله أولاً، وبعده آخراً.

** لعبد الله بن المبارك، وتمثل بها المأمون:

احضر طعامك وابذله لمن أكلا ... واحلف على من أبي، واشكر لمن فعلاً

باب النوم وتصرف المعاني فيه

** روى أن المسيح عليه السلام قال: خلقان أكرههما، النوم من غير سهر، والضحك من غير عجب، والثالثة وهي العظمى: إعجاب الرجل بعلمه.

** قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: إياك وكثرة النوم، فإنه يفرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم.

** قال لقمان لابنه: يا بني! إياك وكثرة النوم والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً، وإذا ضجرت لم تصبر على حق.

** كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله: بلغني أنك لا تقيل، وإن الشياطين لا تقيل.

** قال علي: من الجهل النوم في أول النهار من غير سهر، والضحك من غير عجب، والقائلة تزيد في العقل.

** قال عبد الله بن مسعود: النوم عند الموعظة من الشيطان.

** قال عبد الله بن عمرو بن العاص: النوم على ثلاثة أوجه: نوم خرق، ونوم خلق، ونوم حمق. فأما النوم الخرق، فنومة الضحى، يقضى الناس حوائجهم وهو نائم، وأما نوم الخلق، فنوم القائلة نصف النهار، وأما نوم الحمق، فالنوم حين تحضر الصلوات.

** قال غيره: نوم أول النهار خرق، ونوم القائلة خلق، ونوم العشى حمق، والنوم بين العشاءين يحرم الرزق.

** قيل لأعرابي: ما يدعوك إلى نوم الضحى؟ قال: مبردة في الصيف، مسخنة في الشتاء.

** قال بعض العلماء: النعاس يذهب العقل، والنوم يزيد فيه.

** قال عبد الله بن شبرمة: نوم نصف النهار يعدل شربة دواء، يعني في الصيف.

** كان يقال: لإبليس لعوق وكحل وسعوط، فلعوقه الكذب، وكحله النعاس عند سماع الخير، وسعوطه الكبر.

** قال علي بن الجهم، يهجو قوما:

أَكْثَرُ مَا يَعْرِفُهُ الْقَوْمُ ... الْأَكْلُ وَالرَّاحَةُ وَالنَّوْمُ
نوكي مياسيرٌ إذا عُدت الأيَّام ... لم يُعْرِفْ لهم يومٌ

** وللفرزدق، أو غيره:

يقولون طالَ الليلُ والليلُ لم يَطُلِ ... ولكنَّ من يَبْكُ من الشَّوْقِ يَسْهَرُ

** قال أبو ملجم الأعرابي:

أبيتُ أَراعي النَّجْمَ حتَّى كَأَنِّي ... بناصيتي حَبْلٌ إلى النَّجْمِ مُوثِقُ

وما طال ليلى غير أُنِّي أَحَبُّها ... أُعَلِّلُ نفسي بالأمانِ فتَعَلَّقُ

** قال عدي بن الرقاع:

وكأنَّ ليلى حينَ تَغْرُبُ شمسُهُ ... بسوادِ آخِرِ مثلهُ مَوْصُولُ

** لأبي جندب الهذلي، فيما ذكر المدائني:

تعالوا أعينوني على الليلِ إِنَّهُ ... على كلِّ عينٍ لا تَنَامُ طويلُ

** قال المدائني، وهو القائل أيضاً:

ألا أَيُّها النَّوَامُ ويحكُمُ هُبُّوا ... أسألكم هل يقتلُ الرَّجُلَ الحُبُّ

** قال صالح بن حسان يوماً جلسائه: أيكم ينشد بيتاً نصفه لمخنث يتفكك

بالعقيق، ونصفه لأعرابي في شملة بالبادية؟ قالوا: ما نعرفه. قال: هو قول ابن معمر:

ألا أَيُّها الركب النَّيامُ ألا هبُّوا ... أسألكم هل يقتلُ الرَّجُلَ الحُبُّ؟

باب الحمام

** قال أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: بئس البيت الحمام، يكشف العورة، ويذهب الحياء.

** قال أبو الدرداء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: نعم البيت الحمام، يذهب الدرن، ويذكر النار.

** قال ابن القاسم: سئل مالك عن القراءة في الحمام. فقال: القراءة بكل مكان حسنة، وليس الحمام بموضع قراءة، فمن قرأ الآية والآيتين فليس بذلك بأس، وليس الحمام من بيوت الناس الأول.

** كان الحسن إذا دخل الحمام أغمض مخافة أن تقع عينه على عورة أحد، وربما قادة غلامه.

** ودخل أبو حنيفة الحمام فرأى فيه قوماً لا مآزر لهم، فأغلق عينيه، وجعل يتهدى بيديه. فقال له أحدهم: متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة؟ قال: منذ انكشفت عورتكم.

** كان يقال: إذا جمع الحمام خمس خصال فقد كمل: أن يكون قديم البناء، عذب الماء، كثير الضياء، مرتفع الهواء، وأفضل ذلك كله: أن يكون الحوض نقياً معتدلاً الحر.

** قال أصبغ: سألت ابن القاسم عن دخول الحمام، فقال: ما أن وجدته خالياً، أو كنت تدخل مع قوم يستترون ويتحفظون فلا أرى بذلك بأساً، وإن كان يدخله من لا يبالي ولا يتحفظ لم أر أن تدخله، وإن كنت متحفظاً.

** قال أصبغ: وأدركت ابن وهب يدخله مع العامة متحفظاً، ثم ترك ذلك، وكان لا يدخله إلا مختلياً.

** ودخل أعرابي البصرة، قدمها من البادية فنزل على قريب له، فلما رآه أشعث الرأس عزم عليه في دخول الحمام، وقال له: إنه يوم جمعة تطهر في الحمام وتنظف، فلما

دخل الأعرابي الحمام، زلقت رجله وسقط، فأصابته شجة فوق حاجبه، فخرج وهو يقول:

وقالوا: تَطَهَّرَ إِنَّهُ يَوْمَ جُمُعَةٍ ... فَأُبْتُ مِنَ الْحَمَامِ غَيْرَ مَطَهَّرٍ
تَرَوَّدْتُ مِنْهُ شَجَّةً فَوْقَ حَاجِبِي ... بَغَيْرِ جِهَادٍ بئْسَ مَا كَانَ مِتْجَرِي

باب في البراغيث والبق والبعض

** قال رجلٌ من بني حمدان، وقع في جند الشام، مندوباً في بعض حصون الساحل:

أَنْصُرُ أَهْلَ الشَّامِ مَنْ يَكِيدُهُمْ ... وَأَهْلِي بِنَجْدٍ ذَاتِ حِرْصٍ عَلَى النَّصْرِ

بِرَاغِيثُ تُؤْذِينِي إِذَا النَّاسُ نَوَّمُوا ... وَبِقُ أَقَاسِيهِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ

** تضيف عمرو بن سعيد بن العاص الأموي، رجلاً من الأعراب كان يأتيه يتصيد عنده، ففرش له في بيت خال من ناحية داره، فبات فيه، ثم غدا عليه فقال: يا أبا عثمان! ماذا رأيت هذه الليلة! قال: وما ذاك؟ قال: سود حذب زرق آذيني، وقد قلت فيهن شعراً، قال: وما هو؟ قال: قلت:

الليل نصفان نصف للهموم فما ... أقضي رقاداً ونصف للبراغيث

أبيت حيث تساميني أوائلها ... أنزو وأخلط تسبيحاً بتغويث

كأئن وجلدي إذ خلون به ... أيتام سوء أغاروا في مواريث

ليل البراغيث أنكاني وأرقني ... لا بارك الله في ليل البراغيث

** وذكرت البراغيث عند رجل من كلب، فقال: أخزها الله، ما أدناً صغارها، وما أشر كبارها، وأخفى أنظارها، وأقبح آثارها.
** ولأعرابي من بني جفنة مازحاً:

مر الجراد على زرعي فقلت له: ... الزم طريقك لا تولع بإفساد

فقال منهم خطيب فوق سنبله ... أنا على سفرٍ لابد من زاد

باب في السجن

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
(الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ). [مسلم]

** عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَبَسَ
رَجُلًا فِي تُهْمَةٍ، ثُمَّ خَلَّى عَنْهُ [الترمذي بسند حسن]

** سجن عمر بن الخطاب الحطيئة في قوله في الزبرقان بن بدر:

دع المكارم لا ترحل لبغيها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
بعد أن سأل حساناً وليبداً فقالا: إنه هجاء له وضعة منه، فأمر به فحبس، وقيل
إنه رماه في بئر لا ماء فيها، فقال الحطيئة:

ماذا تقول لأفراخ بذي مخ ... زغب الحواصل لا ماءً ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ... ألفت إليك مقاليد النهي البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الإثر
فامنن على صبية في الرمل مسكنهم ... بين الأباطح يغشاهم بها القدر
فكلمه فيه عبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، واسترضياه حتى أخرجهم من
السجن، ثم دعاه فهدده بقطع لسانه إن عاد يهجو أحداً.

** كتب علي باب سجن بالعراق: هاهنا تلين الصعاب، وتختبر الأحباب.

** مكتوب علي باب سجن كبير من سجون الملوك: هذه منازل البلوى، وقبور
الأحياء، وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء.

** ولأعرابي مسجون:

ولما دخلت السجن كبر أهله ... وقالوا: أبو ليلى الغداة حزين
وفي الباب مكتوب على صفحاته ... بأنك تنزو ثم سوف تلين

** وقال علي بن الجهم في السجن في شعر له:

خرجنا من الدنيا من أهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا جاءنا السجن يوماً حاجةً ... فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا ... إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
** ولبعض السجن:

ما يدخل السجن إنسان فتسأله ... ما بال سجنك إلا قال مظلوم

باب الوكلاء

- ** قال بعض الحكماء: لا مال لمن لا صبر له على خيانة الوكلاء وإضاعة الكفاة.
- ** قال نصر بن سيار: لا تتخذ الوكيل داهيةً أريباً، ولا ذا عشيرة منيعة، فإنك إن قاومته أيام حياتك، عجز عنه ولدك بعد وفاتك.
- ** كان عمر بن مهران يكتب في نهاية اسمه: اللهم احفظه ممن يحفظه.
- ** لما مرض يعقوب بن حميد التاجر، قال له بعض ولده: أي شيء تشتتهي؟ قال: كبد وكيل.
- ** قال نصر بن سيار: لعن الله وكيل الضيعة، إن عشت أكلها دونك، وإن مت ادعاها بعدك، وإن كان عاجزاً جاهلاً استهلكها، وإن كان قوياً ذا عارض أعملها فيك ولم يعملها لك.

باب العادة وما لا ينسى

** قال أَكْثَمُ بن صَيْفِي: ما يسرني أي مكفي أمر الدنيا. قيل: ولم؟ قال: أخاف عادة العجز.

** قال العرب: العادة أملك بالإنسان من الأدب.

** وقالوا: العادة طبيعة ثانية.

** كان يقال: ما دخل باللبن لم يخرج إلا مع الروح.

** قالوا: الخير عادة، والشر لحاجة.

** قال الراجز:

تعود الخير فالخير عادة ... تدعو إلى الغبطة والسعادة

** قال الشاعر:

كل امرئٍ صائرٌ يوماً لشيئته ... وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

** وقال آخر:

وإذا صاحبت فاصحب ماجداً ... ذا عفافٍ وحياءٍ وكرم

قوله للشيء لا إن قلت لا ... وإذا قلت نعم قال نعم

باب في المنجمين

** عن ابن عباس، قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «من تعلم بابا من النجوم، تعلم بابا من السحر، فمن زاد زاد» [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة]

** عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ النَّجْمُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا) [ضعيف جدا]

** قال عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا.

** قال الخليل بن أحمد:

أَبْلَغًا عَنِّي الْمُنْجِمُ أَيُّ ... كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَتْهُ الْكَوَاكِبُ
مُوقِنٌ أَنَّ مَنْ تَكَهَّنَ أَوْ نَجَّمَ ... زَارَ عَلَى الْمَقَادِيرِ كَاذِبٌ
عَالِمٌ أَنَّ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَمْرِ ... قَضَاءٌ مِنَ الْمُهَيَّمِينَ وَاجِبٌ

** أخبرني عبد الله بن محمد بن يوسف، قال أخبرنا أحمد بن مالك بن عابد، قال: أخبرني أحمد ابن محمد بن عبد ربه أبو عمر الشاعر، قال: دخلت على الوزير جهور بن الضيف، وكان القحط قد ألح، والغيث قد احتبس واغتم الناس لذلك، وتحدث المنجمون بتأخر الغيث مدة طويلة، فوجدت عنده ابن عزز المنجم وجماعة من أصحابه، وقد أقاموا الطالع وعدلوا، وقضوا بتأخير الماء شهراً. فقلت للوزير: إن هذا من أمور الله المغيبة، وأرجو أن يكذبهم الله بفضله، ثم خرجت عنه وأتيت داري، فجاء أول الليل والسماء قد تغيمت، ونمت ساعة، فما أيقظني إلا نزول الماء، فقممت وقربت مني المصباح، ودعوت بالدواة والقلم، فما رفعت يدي حتى نسخت هذه الأبيات، ثم صابحت بها الوزير، فسر بها واستحسنها. وهي:

ما قدر الله هو الغالب ... ليس الذي يحسبه الحاسب
قد صدق الله رجاء الورى ... وما رجاء عنده خائب

وأَنْزَلَ الْغَيْثَ عَلَى رَاغِبٍ ... رَحْمَتَهُ إِذْ قَنَطَ الرَّاْغِبُ

باب ثلاثة من الحكم

** روى أحمد في مسنده حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ: مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ الْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ). [صحيح]

** وفي الخبر المأثور: "الخير كله في ثلاث: السكوت والكلام والنظر، فطوبى لمن كان سكوته فكره، وكلامه حكمة، ونظره عبرة".

** كان الحسن يقول: أصول الشر ثلاثة: الحرص والحسد والكبر، فالكبر منع إبليس من السجود لآدم، والحرص أخرج آدم من الجنة، والحسد حمل ابن آدم على قتل أخيه.

** قال ابن عجلان: ثلاثة لا يصلح العمل إلا بهن: التقوى، والنية الحسنة، والإصابة.

** روى سفيان، عن جامع بن أبي راشد، عن ميمون بن مهران، قال: ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر، الأمانة تؤدي إلى البر والفاجر والعهد يوفي به للبر والفاجر، والرحم توصل برّة كانت أو فاجرة.

** ثلاثة لا شيء أقلّ منهن، ولا يزددن إلا قلة: درهم حلال تنفقه في حلال، وأخ في الله تسكن إليه، وأمين تستريح إلى الثقة به.

** قال عمر بن الخطاب: الفواقير في ثلاث: جار سوء في دار مقام، إن رأى حسنة سترها، وإن رأى سيئة أذاعها. وامرأة سوء إن دخلت لسنتك، وإن غبت عنها لم تأمنها. وسلطان جائر إن أحسنت لم يحمذك، وإن أسأت قتلك.

** قال الحسن: لولا ثلاث ما وضع ابن آدم رأسه: المرض والفقر والموت.

** قال الضحّاك أو غيره من الحكماء: إذا ظفر إبليس من ابن آدم بثلاث لم يطلبه بغيرهن: إذا أعجب بنفسه، واستكثر عمله، ونسى ذنوبه.

** قال مسلمة بن عبد الملك: العيش في ثلاث: سعة المنزل، وكثرة الخدم، وموافقة الأهل.

** قال الخليل بن أحمد: ثلاث ينسين المصائب: مر الليالي، والمرأة الحسنة، ومحادثة الإخوان.

** وقال غيره: ليس لثلاثٍ حيلة: فقر يخالطه كسل، وخصومة يداخلها حسد، ومرض يداخله هرم.

** وقال غيره: ثلاثة تجب مداراتهم: الملك السليط، والمرأة، والمريض.

** ثلاثة يعذرون في سوء الخلق: المريض، والمسافر، والصائم.

** ثلاثة لا يستخف بهم: عامل السلطان، والعالم، والصديق: لأن من استخف بالسلطان أفسد ديناه ومن استخف بالعالم أفسد دينه ومن استخف بالصديق أفسد مروءته.

** ثلاثة أشياء تخلق العقل، وتفسد الذهن: طول النظر في المرأة، والاستغراق في الضحك، ودوام النظر في البحر.

** ومما يفسد الذهن ثلاثة: الهم والوحدة والفكر.

** ثلاثة تهرم وربما قتلت صاحبها: الجماع على الامتلاء، ودخول الحمام على البطنة، وأكل القديد اليابس.

** ثلاثة يفرح بهن الجسد ويربو: الطيب، والثوب اللين، وشرب العسل.

** ثلاثة تورث الهزال: شرب الماء البارد على الريق، والنوم من غير وطاء، وكثرة الكلام برفع الصوت.

** قال سليمان بن موسى: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: حليمٌ من سفيه، وبر من فاجر، وشريف من دينيء.

** قال أبو الدرداء: ثلاث لا يجهن غيري: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي، وأحب الفقر تواضعاً لربي، فذكر ذلك لابن شبرمة، فقال: ولكني لا أحب واحدة من الثلاث، أما الفقر فو الله للغني أحب إلى منه، لأن الغني به توصل الرحم، ويحج البيت، وتعتق الرقاب، وتبسط اليد بالصدقة. وأما المرض فو الله لأن أعافي

فأشكر أحب إلى من أن أبتلي فأصبر، وأما الموت فو الله ما يمنعنا من حبه إلا ما قدمناه
وسلف من أعمالنا، فنستغفر الله.

** يقال: ثلاث موبقات: الحرص، وهو أخرج آدم من الجنة: والحسد دعا ابن آدم
إلى قتل أخيه، والكبر حط إبليس عن مرتبته.

** قال سفيان الثوري: دخلت على جعفر بن محمد، فقال لي: يا سفيان! إذا أنعم
الله عليك نعمةً فاحمد الله، وإذا استبطأت رزقاً فاستغفر الله، وإذا حزبك أمر فقل: لا
حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال لي: يا سفيان! ثلاث وأي ثلاث.

** ثلاث خصال من حقائق الإيمان: الاقتصاد في الإنفاق، والإنصاف من نفسك،
والابتداء بالسلام.

** ثلاث من لم تكن فيه لم يطعم الإيمان: حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجزه
عن المحارم، وخلق يداري به الناس.

** ثلاث لا يعرفون إلا في ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشجاع عند الحرب،
والأخ عند الحاجة.

** قال ابن مسعود: ثلاث من كن فيه، ملاً الله قلبه إيماناً: صحبة الفقيه، وتلاوة
القرآن، والصيام.

** قال عمر بن الخطاب: الرجال ثلاثة: رجل عاقل عفيف مسلم ينظر في الأمور
فيوردها مواردها ويصدرها مصادرها إذا أشكلت على عجزه الرجال وضعفتهم، ورجل
يلبس عليه رأيه، فيأتي ذوي الرأي والمقدرة فيستشيرهم، وينزل عند ما يأمرونه به، ورجل
جاهل لا يهتدي لرشد، ولا يشاور مرشداً.

** من فقد ثلاثاً ساء عيشه: النساء، والمال، والإخوان.

** ثلاث لا يأنف الكريم من القيام عليهن: أبوه، وضيافته، ودابته.

** ثلاث يسهرون: قرض فأر، وأنين مريض، ووكف بيت [تقاطر سقفه بماء
المطر].

** ثلاثة لا راحة منها إلا بالمفارقة لها: السن المتآكلة والمتحركة، العبد الفاسد على
مولاه، والمرأة الناشز عن زوجها.

** ثلاث إذا كن في الرجل لم يشك في عقله وفضله: إذا حمده جاره، ورفيقه،
وقرابته.

** كدر العيش في ثلاث: الجار السوء، والولد العاق، والمرأة السيئة الخلق.

** ثلاث الإقدام عليهن غرر: شرب السم على التجربة، وركوب البحر للغناء،
وإفشاء السر إلى النساء.

** قال الشاعر:

ولن يشرب السم الزعاف أخو الحجا ... مدلا بترياقٍ لديه مجرب

** ثلاثة من عازهم عادت عزته ذلة: السلطان، والوالد، والعالم. وقد قيل:
السلطان والوالد، والغريم.

** ثلاثة تبنو الموعظة عن قلوبهم كنبو الماء عن الصفاة: امرأة مغرمة برجل، وشيخ
مغرم بشرب الخمر، وملك فاجر.

** ثلاث لا يستحيا منهن: طلب العلم، ومرض البدن، وذو القرابة الفقير.

** ثلاث من أحسن شيء فيمن كن فيه: جود لغير ثواب، ونصب لغير دنيا،
وتواضع لغير ذل.

** قال سفيان الثوري: ما بقي لي من نعيم الدنيا إلا ثلاث: أخ ثقة في الله أكتسب
في صحبته خيراً، إن رأني زائغاً قومني، أو مستقيماً رغبني، ورزق واسع حلال ليست لله
على فيه تبعة، ولا لمخلوق على فيه منة، وصلاة في جماعة أكفى سهوها وأرزق أجرها.

** قال بُزْجُمُهر: ثلاث نواطق وإن كن خرسا: كسوف البال دليل على رقة الحال،
وحسن البشر دليل على سلامة الصدر، والهمة الدنية دليل على العزيمة الردية.

** قال الشاعر:

وما ضربوا لك الأمثال إلا ... لتحذو إن حذوت على مثال

باب أربعة

** أربع خصال من السعادة، وأربع من الشقاوة، فأما التي من السعادة: فالمركب الهني. أو قال: الوطي، والزوجة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح. وأما التي من الشقاوة: فالمركب الصعب، والزوجة السوء، والمسكن الضيق، والجار السوء.

** أربع تعرف بهن الأخوة: الصفح قبل الاستقالة، وتقديم حسن الظن قبل التهمة، ومخرج العذر قبل العتب، وبذل الود قبل المسألة.

** وقال الحسن: أربع من كن فيه ألقى الله عليه محبته، ونشر عليه رحمته. من بر والديه، ورفق بمملوكه. وكفل اليتيم. وأغاث الضعيف.

** أربع من سنن المرسلين: التعطر، والنكاح، والسواك، والختان.

** أربع لا ينبغي للشريف أن يأنف منهن: قيامه عن مجلسه لأبيه، وحديثه ضيقه، وقيامه على فرسه - وإن كان له مائة عبد -، وخدمته العالم ليأخذ من علمه.

** ذكر بعض قريش عبد الملك بن مروان، فقال: كان آخذاً لأربع، تاركا لأربع: يأخذ بأحسن الحديث إذا حدث، وبأحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر المثونة إذا خولف، وبأحسن البشر إذا لقي، وكان تاركاً لمحادثة اللئيم، ومنازعة اللجوج، وممارسة السفية، ومصاحبة المأفون.

** قال الحسن البصري: لما هبط آدم أوحى الله إليه: أربع فيهن جماع الأمر لك ولولدك من بعدك، أما واحدة فلي، والثانية فلك، وأما الثالثة فبيني وبينك، وأما الرابعة فبينك وبين الناس.

أما التي لي: فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فعملك أجزيكه أفقر ما تكون إليه، وأما الذي بيبي وبينك: فعليك الدعاء وعلي الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس فتصاحبهم بما تحب أن يصاحبوك به.

** أربعة تحتاج إلى أربعة: الحسب إلى الأدب، والسرور إلى الأمن، والقراءة إلى المودة، والعقل إلى التجربة.

** أربعة لا بقاء لها: مودة الأشرار، والبيت الذي ليس فيه تقدير، والمال الحرام، والكسب الذي ليس معه تقدير.

** أربع من حصل عليها واجتمعت عنده، اجتمع له خير الدنيا والآخرة: امرأة عفيفة، وخذن موافق، ومال واسع، وعمل صالح، قال منصور الفقيه:
أفضل ما نال الفتى ... بعد الهدى والعافية
امرأة جميلة ... عفيفة مواتية

** قال عبد الله بن عمر: أربع من كن فيه بوىء بمن بيتاً في الجنة: شهادة ألا إله إلا الله، وإن أصاب ذنباً استغفر الله، وإن جرت عليه نعمة، قال: الحمد لله، وإن أصابته مصيبة استرجع فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

** أربع تفسد العقل وتؤثر فيه: الإكثار من أكل البصل، ومن أكل الباقلاء، ومن الجماع، ومن السكر.

** أربع من كن فيه كان كاملاً، ومن تعلق بواحدة منهم كان من صلحاء قومه: دين يرشده، وعقل يسدده، وحسب يصونه، وحياء يقوده.
قال منصور الفقيه:

فضل التقى أفضل من ... فضل اليسار والحسب
إذا هما لم يجمعا ... إلى العفاف والأدب

** أربع من سلم منهم سلم من مكاره الدنيا والآخرة في الأغلب: العجلة، والتواني، واللجاجة، والعجب.

** أربعة تقبح وهي في أربعة أقبح: البخل في الأغنياء، والفحش في النساء، والكذب في القضاة، والظلم في الحكام.

** أربعة قالها جعفر بن محمد، لا تستقل القليل منها: الدين، والنار، والعداوة، والمرض.

** الأذلاء أربعة: النمام، والكذاب، والمديان، والفقير.

** قالوا: أربعة تشتد معاشرتهم: الرجل المتواني، والرجل العالم، والفرس المرح، والملك الشديد المملكة.

** أربعة تشتد مؤونتهم: النديم المعريد، والجلس الأحمق، والمغني التائه، والسفلة إذا أثرى.

** أربعة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والذاكر حتى يفتر، والإمام العدل، ودعوة المظلوم.

** أربعة لا يقدرن على أن يشبعن: النار من الخطب، والبحر من الماء، والموت من الأرواح، والشه من المال.

** أربعة يهدمن الجسم وربما قتلن: دخول الحمام على البطن، وأكل القديد الجاف، والغشيان على الامتلاء، ومجامعة العجوز.

** أربع لا يشبعن من أربع: عين من نظر، وأذن من خبر، وأنثى من ذكر، وأرض من مطر.

** أربع إذا كن في الرجل أهلكنه: حب النساء، وحب الصيد، وحب الفخار، وحب الخمر.

** قال عمر بن عبد العزيز: أحب الأشياء إلى الله أربعة: القصد عند الجدة، والعفو عند المقدرة، والحلم عند الغضب، والرفق بعباد الله في كل حال.

** قال المأمون: الناس في تصرفهم ومعايشهم بين أربعة أمور، من لم يكن منها كان عيالا عليها وكلاً: الإمارة، والتجارة، والزراعة، والصناعة.

** أربعة لا يستحيا من الختم عليها: المال لنفي التهمة، والجوهر لأمن البدل، والدواء للاحتياط، والطب للصيانة.

** قال العتيبي: اجتمعت الحكماء على أربع كلمات، وهي: لا تحملن على قلبك مالا تطيق، ولا تعمل عملا ليس لك فيه منفعة، ولا تثقن بامرأة، ولا تغتر بالمال وإن كثر.

باب خمسة

** قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ...) الحديث.

** وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شِبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفِرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ). [رواه الحاكم وقال: "صحيح على شرطهما". وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب]

** قال بعض الحكماء: خمسة أشياء من أعطيها فقد كمل عيشه: صحة البدن، وهو الجزء الأكبر، والسعة في الرزق، وهو الثاني، والأمن وهو الثالث، والأنيس الموافق وهو الرابع، والدعة، فمن حرمها فقد حرم العيش.

** واجتمع الحكماء أنه لا ينبغي للمرء أن ينزل بلدةً ليس فيها خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاضٍ عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جارٍ.

** روى الأصمعي، قال: حدثنا الفضل بن عبد الملك بن أبي شهبة، قال: قال الأحنف: لا ينبغي أن تنزل بلدًا حتى يكون فيه خمس خصال، فذكرها سواء.

** ذكر الشافعي عن مالك، عن الزهري، قال: الذل في خمسة أشياء: حضور المجلس بلا نسخة، وعبور المعبر بلا قطعة، ودخول الحمام بلا خادم، وتذلل الشريف للدينئ لينال منه، والتذلل للمرأة لينال من مالها.

** خمسة لا يستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والعالم، والضيف، والدابة. خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف: الحدة في السلطان، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والبخل في ذوي الأموال، والفتوة في الشيوخ، والحرص في العلماء والقراء.

** قال وبرة بن خداش: أوصاني عبد الله بن عباس بخمس كلمات هي أحب إلي من الدهم الموقوفة في السبيل، قال لي: إياك والكلام فيما لا يعينك أو في غير موضعه، فرب متكلم فيما لا يعنيه أو في غير موضعه قد عنت، ولا تمار سفيهاً ولا فقيهاً، فإن

الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك أن يذكرك به، ودع ما تحب أن يدعه منك، واعمل بما تحب عمل رجل يعلم أنه يجازي بالإحسان ويكافئ بالإجرام.

** قال عمر بن الخطاب: من لم يكن فيه خمس فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة: من لم يعرف بالوثيقة في أرومته [حسبه ونسبه]، والكرم في طبيعته، وبالدمائة في خلقه، وبالنبل في نفسه، وبالمخافة لربه.

** خمس من طبيعة الجهال: الغضب في غير شيء، والإعطاء في غير حق، وإتباع البدن في الباطل، وقلة معرفة الرجل لصديقه من عدوه، وتضييعه لسره.

** خمسة أشياء أضيع شيء في الدنيا: سراج يوقد في الشمس، ومطر وابل في أرض سبخة، وامرأة حسناء تزف إلى عينين، وطعام يستجاد ثم يقدم إلى سكران أو شبهان، ومعروف تصنعه عند من لا يشكره.

** خمس لا يشبعن من خمس: أذن من خبر، وعين من نظر، وأنثى من ذكر، وأرض من مطر، وعالم من أثر.

** خمس يزدن في النسيان: إلقاء القملة، وأكل التفاح، والحجامة في النقرة، والبول في الماء الراكد، وأكل سور الفأرة.

** وما يدخل في هذا الباب قول الأحنف: لا راحة لحسود، ولا مروءة لبخيل، ولا إخاء لكذوب، ولا وفاء لملول، ولا سؤدد لسيء الخلق.

** قال الأوزاعي: خمسة كان عليها أصحاب محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

باب نواذر من الرؤيا مختصرة

** في صحيح البخاري قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذُرُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ). وَمَا كَانَ مِنَ النَّبُوءَةِ فَإِنَّهُ لَا يَكْذِبُ. قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَنَا أَقُولُ هَذِهِ، قَالَ: وَكَانَ يُقَالُ: الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: حَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ، وَبُشْرَى مِنَ اللَّهِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلَا يَقْصَهُ عَلَى أَحَدٍ وَلِيَقْمَ فَلْيُصَلِّ، قَالَ: وَكَانَ يُكْرَهُ الْعُلُوفُ فِي النَّوْمِ، وَكَانَ يُعْجِبُهُمُ الْقَيْدُ، وَيُقَالُ: الْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ.

** وفي مسند أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: (إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ، لَمْ تَكْذُرُ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ).

قَالَ: وَقَالَ: "الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالرُّؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالرُّؤْيَا مِنَ الشَّيْءِ يُحَدِّثُ بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلَا يُحَدِّثْهُ أَحَدًا، وَلِيَقْمَ فَلْيُصَلِّ". [صحيح]

** في شرح السنة للبغوي:

قَالَ الْإِمَامُ: «الْعَيْنُ الْجَارِيَةُ» عَبَّرَهَا صَاحِبُ الشَّرْعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِالْعَمَلِ الْجَارِي.

وَالسَّاقِيَةُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي لَا يُغْرَقُ فِي مِثْلِهَا حَيَاةً طَيِّبَةً.
وَالْبَحْرُ هُوَ الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ، فَإِنْ اسْتَقَى مِنْهُ مَاءً، أَصَابَ مِنَ الْمَلِكِ مَالًا.
وَالنَّهْرُ رَجُلٌ بِقَدْرِ عِظَمِهِ.
وَالْمَاءُ الصَّافِي إِذَا شُرِبَ، فَهُوَ خَيْرٌ وَحَيَاةً طَيِّبَةً، فَإِنْ كَانَ كَدْرًا، أَصَابَهُ مَرَضٌ.
وَشُرْبُ الْمَاءِ الْمُسَخَّنِ، وَدُخُولُ الْحَمَامِ هُمْ وَمَرَضٌ.
وَالْمَاءُ الرَّكَدُ أضعفُ فِي التَّأْوِيلِ مِنَ الْجَارِي.
وَالْمَطَرُ غِيَاثٌ وَرَحْمَةٌ إِنْ كَانَ عَامًّا، فَإِنْ كَانَ خَاصًّا فِي مَوْضِعٍ، فَهُوَ أَوْجَاعٌ تَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ.

وَالطَّيْنُ وَالْوَحْلُ وَالْمَاءُ الْكَدِرُ هُمْ وَحَزَنٌ.
 وَالسَّيْلُ عَدُوٌّ يَتَسَلَّطُ.
 وَالتَّلْجُ وَالْبَرْدُ وَالْجَلِيدُ هُمْ وَعَذَابٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّلْجُ قَلِيلًا فِي مَوْضِعِهِ وَحِينِهِ،
 فَحِينَئِذٍ يَكُونُ خِصْبًا لِأَهْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ.
 وَالسَّبَّاحَةُ فِي الْمَاءِ احْتِبَاسُ أَمْرِ.
 وَالْمَشْيُ عَلَى الْمَاءِ قُوَّةٌ يَقِينٌ.
 وَمَنْ غَمَرَهُ الْمَاءُ أَصَابَهُ هُمْ غَالِبٌ.
 وَالغَرَقُ فِيهِ إِذَا لَمْ يَمُتْ غَرَقَ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا.
 وَانْفِجَارُ الْعُيُونِ مِنَ الدَّارِ وَالْحَائِطِ وَحَيْثُ يُنْكَرُ انْفِجَارُهَا هُمْ، وَحَزَنٌ، وَمُصِيبَةٌ،
 وَبُكَاءٌ بِقَدْرِ قُوَّةِ الْعَيْنِ.

وَالْحَمْرُ مَالٌ حَرَامٌ، فَإِنْ سَكَرَ مِنْهَا، أَصَابَ مَعَهُ سُلْطَانًا.
 وَالسُّكْرُ مِنْ غَيْرِ الشَّرَابِ خَوْفٌ.
 وَالتَّبِيدُ الَّذِي يَحُلُّ شُرْبُهُ مَالٌ حَلَالٌ وَفِيهِ نَصَبٌ لِمَا نَالَهُ مِنَ النَّارِ.
 وَمَنْ اعْتَصَرَ حَمْرًا، خَدَمَ السُّلْطَانَ وَأَخْصَبَ، وَجَرَتْ عَلَى يَدِهِ أُمُورٌ عِظَامٌ، قَالَ اللَّهُ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ رُؤْيَا صَاحِبِ السِّجْنِ: {قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ حَمْرًا}
 [يُوسُفُ: ٣٦]، فَأَوَّلُهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا} [يُوسُفُ:
 ٤١].

وَشُرْبُ اللَّبَنِ فِطْرَةٌ، وَقَدْ يَكُونُ مَالًا حَلَالًا، وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
 «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتَيْتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ فَشَرِبْتُهُ، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عَمْرًا»، قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْ يَا
 رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْعِلْمُ».

وَرُوي أَنَّ امْرَأَةً رَأَتْ فِي الْمَنَامِ أَنَّهَا تَحْلِبُ حَيَّةً، فَسَأَلَتْ ابْنَ سِيرِينَ، فَقَالَ: هَذِهِ
 امْرَأَةٌ يَدْخُلُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ، اللَّبَنُ فِطْرَةٌ، وَالْحَيَّةُ عَدُوٌّ لَيْسَتْ مِنَ الْفِطْرَةِ فِي شَيْءٍ.
 وَالْأَشْجَارُ كُلُّهَا رِجَالٌ أَحْوَاهُمْ كَأَحْوَالِ الشَّجَرِ فِي الطَّبَعِ وَالنَّفْعِ، فَمَنْ رَأَى شَجْرًا،
 وَأَصَابَ شَيْئًا مِنْ ثَمَرِهِ، أَصَابَ مَالًا مِنْ رَجُلٍ فِي مِثْلِ حَالِ ذَلِكَ الشَّجَرِ، فَالنَّخْلَةُ رَجُلٌ
 شَرِيفٌ، وَالتَّمْرُ مَالٌ، وَشَجَرُ الْجَوْزِ رَجُلٌ أَعْجَمِي شَحِيحٌ، وَالْجَوْزُ نَفْسُهُ مَالٌ مَكْنُوزٌ.

وشجرة السدر رَجُلٌ شَرِيفٌ .
 وشجرة الزَّيْتُونِ رَجُلٌ مَبَارِكٌ نَفَاعٌ .
 وثمر الزَّيْتُونِ هُمٌ وَحْزَنٌ .
 وَالزَّيْتُ خَيْرٌ وَبَرَكَةٌ .
 وَشَجَرُ الرُّمَّانِ رَجُلٌ عَلَى قَدْرِهَا، وَالرُّمَّانُ مَالٌ مَجْمُوعٌ إِذَا كَانَ حَلْوًا .
 وَالْحَامِضُ هُمٌ وَحْزَنٌ .
 وَالْكَرْمُ وَالْبَسْتَانُ امْرَأَةٌ .
 وَالْعِنَبُ الْأَبْيَضُ فِي وَقْتِهِ غَضَارَةٌ الدُّنْيَا وَخَيْرُهَا، وَفِي غَيْرِ وَقْتِهِ مَالٌ يَنَالُهُ قَبْلَ الْوَقْتِ
 الَّذِي يَرْجُوهُ .
 وَالْأَشْجَارُ الْعِظَامُ الَّتِي لَا ثَمْرَ لَهَا كَالدُّبِّ وَالصَّنْبُورِ إِنْ رَأَى شَيْئًا مِنْهَا، فَهُوَ رَجُلٌ
 ضَخْمٌ بَعِيدُ الصَّوْتِ، قَلِيلُ الْخَيْرِ وَالْمَالِ .
 وَالشَّجَرُ ذَاتُ الشُّوكِ رَجُلٌ صَعْبُ الْمَرَامِ .
 وَالصَّفْرُ مِنَ الثَّمَارِ مِثْلُ الْمَشْمَشِ، وَالْكَمَثْرَى، وَالزَّرْعُورُ الْأَصْفَرُ، وَنَحْوَهَا أَمْرَاضٌ .
 وَالْحَامِضُ مِنْهَا هُمٌ وَحْزَنٌ .
 وَالْحُبُوبُ كُلُّهَا مَالٌ .
 وَالْحَشِيشُ وَالْكَأُ مَالٌ .
 وَالزَّرْعُ عَمَلُهُ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ .
 وَالثُّومُ، وَالْبَصَلُ، وَالْجُزْرُ، وَالشَّلْجَمُ هُمٌ وَحْزَنٌ .
 وَالرِّيَّاحِينَ كُلُّهَا بَكَاءٌ وَحْزَنٌ إِلَّا مَا يَرَى مِنْهَا نَابِتًا فِي مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمْسَهُ وَهُوَ
 يَجِدُ رِيحَهُ فَيَكُونُ وَلَدًا .

بَابُ تَأْوِيلِ رُؤْيَا الْبَقَرِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانِ

** قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قِصَّةِ يُوسُفَ: { وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ
 سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ } [يُوسُفَ: ٤٣] .

** عَنْ أَبِي مُوسَى، أَرَاهُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ
 أَبِيَّ أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِيَ إِلَى أُمَّهَا الْيَمَامَةَ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ

الْمَدِينَةَ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَبِي هَزْرَتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزْرَتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ، وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقْرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْحَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْحَيْرِ، وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ».

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا

قَوْلُهُ: «فَذَهَبَ وَهَلِي أَوْ وَهْمِي» يُقَالُ وَهَلَ الرَّجُلُ يَهَلُّ: إِذَا وَهَمَ الشَّيْءُ، وَفِيهِ أَنْ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُمِّيَ الْمَدِينَةَ يَثْرِبُ، وَقَدْ نَهَى عَنْهُ بَعْدَهُ وَسَمَاهَا طَابَةَ، لِأَنَّهُ كَانَ يُغَيِّرُ الْإِسْمَ الْقَبِيحَ إِلَى الْحَسَنِ عَلَى التَّبَرُّكِ وَالتَّفَاوُلِ.

قَالَ الْإِمَامُ: هَذَا الْحَدِيثُ يَشْتَمِلُ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الرُّؤْيَا مِنْهَا السَّيْفُ، وَالسَّيْفُ السُّلْطَانُ، فَإِنْ رَأَاهُ قَدْ رَفَعَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ، نَالَ سُلْطَانًا مَشْهُورًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَنْبَغِي لَهُ، فَهُوَ وُلْدٌ، وَكَذَلِكَ كُلِّ مَنْ أُعْطِيَ سَكِينًا، أَوْ رِمْحًا، أَوْ قَوْسًا لَيْسَ مَعَهُ سَلَاحٌ، فَهُوَ وُلْدٌ، فَإِنْ كَانَ مَعَهُ سَلَاحٌ، فَهُوَ سُلْطَانٌ، وَمَا حَدَثَ فِي السَّيْفِ مِنْ انْكَسَارٍ أَوْ ثَلْمَةٍ أَوْ كِدْوَرَةٍ، فَهُوَ حَدَثٌ فِيمَا يَنْسَبُ السَّيْفِ إِلَيْهِ فِي التَّأْوِيلِ، فَإِنْ رَأَى أَنَّهُ سَلَ سَيْفًا مِنْ غَمْدٍ، وَوَلَدَتْ امْرَأَتُهُ غُلَامًا، فَإِنْ انْكَسَرَ السَّيْفُ فِي الْغَمْدِ، مَاتَ الْوَلَدُ، وَإِنْ انْكَسَرَ الْغَمْدُ دُونَ السَّيْفِ، مَاتَتِ الْأُمُّ، وَسَلِمَ الْوَلَدُ.

وَالرَّمْيُ عَنِ الْقَوْسِ نَفُوذُ كِتَابِهِ فِي سُلْطَانِهِ بِالْأَمْرِ وَالتَّهْيِ.

وَانْكَسَارُ الْقَوْسِ مُصِيبَةٌ.

وَالْبَقْرُ سُنُونٌ، فَإِنْ كَانَتْ سَمَانًا، كَانَتْ مَخَاصِبَ، وَإِنْ كَانَتْ عِجَافًا كَانَتْ مَجَادِبَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قِصَّةِ يُوسُفَ: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ} [يُوسُفَ: ٤٨]، فَأَوْلُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكَلَ الْبَقَرَاتِ الْعِجَافَ الْبَقَرَاتِ السَّمَانَ بِالسِّنِينَ الْمَجَادِبَ تَأْكُلُ مَا جَمَعَ لَهَا فِي السِّنِينَ الْمَخَاصِبَ.

وَمَنْ رَكِبَ ثَوْرًا، أَصَابَ مَالًا مِنْ عَمَلِ السُّلْطَانِ، وَاسْتَمَكَنَ مِنْ عَامِلٍ.

وَإِنْ رَأَى ثَوْرًا مِنْ الْعَوَامِلِ ذَبَحَ وَقِيمَ حَمِهِ، فَهُوَ مَوْتُ عَامِلٍ وَقِسْمَةُ تَرْكَتِهِ.

فَإِنْ كَانَتْ مِنْ غَيْرِ الْعَوَامِلِ، كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا.

وَالْبَعِيرُ رَجُلٌ ضَخْمٌ.

والناقة امرأة.

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ رَاكِبٌ بِعَيْرٍ مَجْهُولٍ سَافِرٍ، وَإِنْ نَزَلَ عَنْهُ مَرَضٌ.

وَإِنْ دَخَلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْإِبِلِ أَرْضًا، دَخَلَهَا عَدُوٌّ، وَرُبَّمَا كَانَ سَيْلًا، وَرُبَّمَا كَانَ أَوْجَاعًا.
وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَرْعَى غَنَمًا سُودًا، فَهَمَّ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَإِنْ كَانَتْ بَيْضًا، فَمَنْ
الْعَجَمِ، رُوِيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: «أَرَيْتَ غَنَمًا كَثِيرَةً سُودًا
دَخَلَتْ فِيهَا غَنَمٌ كَثِيرَةٌ بَيْضٌ»، قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْعَجَمُ يَشْرِكُونَكَ
فِي دِينِكُمْ وَأَنْسَابِكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مُعَلَّقًا بِالثُّرَيَّا لَنَالَهُ رَجُلٌ مِنَ
الْعَجَمِ وَأَسْعَدَهُمْ بِهِ فَارِسٌ».

والكباش رجل ضخم.

والنعجة امرأة شريفة.

والعنز يجري مجرى النعجة إذا كان في الرؤيا ما يدل على المرأة، إلا أن العنز دون
النعجة في الشرف والحسب، وقد يجري العنز مجرى البقرة في كونها سنة مخصبة إن كانت
سمينة، أو مجذبة إن كانت عجفاء.

والفرس عز وسلطان.

والأنثى امرأة شريفة.

والبغل سفر.

والحمار جد الرجل يسعى به، فمن رأى أنه ذبح حماره ليأكل من لحمه، أصاب مالا
بجده.

والفيل سلطان أعجمي، فإن ركبته في أرض حرب، كانت الدبرة على أصحاب
الفيل، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} [الفيل: ١].

وَمَنْ أَصَابَ حِمَارًا وَحَشًا أَوْ وَعَلًا وَضَمِيرَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَكْلَهُ يُصِيبُ غَنِيمَةً.

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ رَاكِبٌ حِمَارًا وَحَشًا يَصْرَفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، فَهُوَ رَاكِبٌ مَعْصِيَّةً، أَوْ يُفَارِقُ
رَأْيَ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ.

والأسد عدو قاهر.

والخنزير رجل ديني شديد الشوكة.

والضبع امرأة سوء قبيحة.

والدب عدو ديني أحمق.

والذئب سلطان غشوم، أو لص ضعيف كذاب.

والثعلب: كثير الاختلاف في التأويل، فمن رأى أنه ينازعه خصم ذا قرابة، وإن طلب ثعلبا، أصابه وجع، وإن طلبه ثعلب أصابه فزع، ومن رأى ثعلبا يهرب منه فهو غريم يراوغه، ومن أصاب ثعلبا، أصاب امرأة يُحبها حبا ضعيفا، وابن آوى يجري مجرى الثعلب، إلا أنه أضعف.

والكلب عدو ديني غير مبالغ في عداوته.

والقرد عدو ملعون.

والحية عدو مكاتم العداوة.

والعقرب عدو ضعيف لا تجاوز عداوته لسانه.

وكذلك سائر الهوام أعداء على منازلهم، وذو السم منها أبلغ في العداوة.

والنسر، والعقاب سلطان قوي.

والحداة ملك حامل الذكر، شديد الشوكة.

والبازي سلطان ظالم.

والصقر قريب منه.

والغراب إنسان فاسق كذوب.

والعقق إنسان لا عهد له، ولا حفاظ ولا دين. والطاووس الذكر ملك أعجمي.

والأنثى امرأة حسناء أعجمية.

والحمامة امرأة أو خادمة.

والفاخته امرأة غير آلفة. إذا توسعت في مشيها، وفرجت يديها من إنطائها]

والدجاج خدم.

والديك رجل أعجمي من نسل الملوك، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رأيت

فيما يرى النائم أن ديكا نقري نقرة أو نقرتين، فأولت أن رجلا من العجم سيقتلني،

فقتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة.

والعصفور رَجُلٌ ضَخْمٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ.

والببليل غُلَامٌ صَغِيرٌ.

والببغاء وُلْدٌ يِنَاغِي.

والطاووس أَنِيسٌ مِنْ وَحْشَةٍ.

والخفاش عَابِدٌ مُجْتَهِدٌ.

والزرزور صَاحِبٌ أَسْفَارٍ.

والهدهد كَاتِبٌ يَتَعَاطَى دَقِيقَ الْعِلْمِ، وَلَا دِينَ لَهُ، وَالشَّاءُ عَلَيْهِ قَبِيحٌ لِنَتَنِ رِيحِهِ.

والزنابير والذباب سفلة الناس وغوغاؤهم.

والنحلة إنسان كسوب عظيم الخطر والبركة.

وطير الماء أفضل الطير في التأويل، لأنها أكثرها ريشا، وأقلها غائلة، وله سلطانان

سلطان في البر، وسلطان في الماء.

والسمك الطري الكبار منه إذا كثرت عددها مال وغنيمة.

وصغارها هموم كالصبيان.

ومن أصاب سمكة طرية أو سمكتين، أصاب امرأة أو امرأتين، فإن أصاب في بطنها

لؤلؤة، أصاب منها غلاما.

والضفدع إنسان عابد مجتهد، فإن كثرت الضفادع، فعذاب.

والجراد جند، والجنود إذا دخلت موضعا فهي جراد.

باب السوار والحلي

** عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ أُوتِيتُ مِنْ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَوُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ

مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبُرَا عَلَيَّ، وَأَهْمَانِي، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَنْفُخَهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا، فَذَهَبَا، فَأَوْلَتْهُمَا

الكَذَّابِينَ اللَّذِينَ أَنَا بَيْنَهُمَا: صَاحِبُ صَنْعَاءَ، وَصَاحِبُ الْيَمَامَةِ).

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، أَخْرَجَهُ مُحَمَّدٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ نَصْرِ، وَأَخْرَجَهُ

مُسْلِمٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ، كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ

قَالَ الْإِمَامُ: مَنْ رَأَى عَلَيْهِ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ، أَصَابَهُ ضِيقٌ فِي ذَاتِ يَدِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ فَضَّةٍ، فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ.

وَمَنْ رَأَى عَلَيْهِ خَلْخَالَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فَضَّةٍ، أَصَابَهُ خَوْفٌ أَوْ حَبْسٌ، أَوْ قَيْدٌ، وَلَيْسَ يَصِلِحُ لِلرِّجَالِ فِي الْمَنَامِ مِنَ الْحَلِيِّ شَيْءٌ إِلَّا الْقَلَادَةُ، وَالتَّاجُ، وَالْعَقْدُ، وَالْقِرْطُ، وَالْحَاتِمُ، فَأَمَّا النِّسَاءُ، فَالْحَلِيُّ كُلُّهُ زِينَةٌ لَهُنَّ، فَالْقَلَادَةُ وَآيَةٌ، أَوْ تَقْلُدُ أَمَانَةً.

وَاللُّؤْلُؤُ الْمَنْظُومُ كَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَوْ مِنْ كَلَامِ الْبُرِّ، فَإِنْ كَانَ اللَّؤْلُؤُ غَيْرَ مَنْظُومٍ، فَإِنَّهُ وَلَدٌ أَوْ غُلْمَانٌ، وَرُبَّمَا كَانَ اللَّؤْلُؤُ جَارِيَةً أَوْ امْرَأَةً، وَالْقِرْطُ زِينَةٌ وَجَمَالٌ، وَالْحَاتِمُ إِذَا كَانَ مَعْرُوفَ الصِّنَاعَةِ وَالنَّقْشِ سُلْطَانَ صَاحِبِهِ، فَإِنْ أُعْطِيَ حَاتِمًا، فَتَخْتَمُ بِهِ، مَلِكٌ شَيْئًا لَمْ يَمْلِكْهُ، وَرُبَّمَا كَانَ الْحَاتِمُ امْرَأَةً أَوْ مَالًا أَوْ وَلَدًا، وَفِصُّ الْحَاتِمِ وَجْهٌ مَا يَعْبُرُ الْحَاتِمُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ الْحَاتِمُ مِنْ ذَهَبٍ، كَانَ مَا نَسَبَ إِلَيْهِ حَرَامًا، وَإِنْ رَأَى أَنْ حَلَقَةً حَاتِمَهُ انْكَسَرَتْ وَاسْقَطَتْ، وَبَقِيَ الْفِصُّ ذَهَبٌ سُلْطَانَهُ وَبَقِيَ الذَّكْرُ وَالْجَمَالُ.

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ أَصَابَ ذَهَبًا، يُصِيبُهُ غَرَمٌ، أَوْ يَذْهَبُ مَالُهُ، فَإِنْ كَانَ الذَّهَبُ مَعْمُولًا مِنْ إِنَاءٍ أَوْ نَحْوِهِ، كَانَ أَضْعَفُ فِي التَّأْوِيلِ.

وَالدَّرَاهِمُ مُخْتَلَفَةٌ التَّأْوِيلِ عَلَى اخْتِلَافِ الطَّبَاعِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهَا فِي الْمَنَامِ، فَيُصِيبُهَا فِي الْيَقِظَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُرُهَا بِالْكَلامِ، فَإِنْ كَانَتْ بَيْضَاءَ، فَهِيَ كَلَامٌ حَسَنٌ، وَإِنْ كَانَتْ رَدِيئَةً، فَكَلَامٌ سَوْءٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُوَافِقُهُ شَيْءٌ مِنْهَا، وَالدَّرَاهِمُ فِي الْجُمْلَةِ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَائِرِ، وَقَدْ يَكُونُ الدِّينَارُ الْوَاحِدُ وَالدِّرْهَمُ الْوَاحِدُ وَلِذَا صَغِيرًا. [انتهى من شرح السنة]

** مر صهيب بأبي بكر الصديق، فأعرض عنه، فقال أبو بكر: مالك؟ أبلغك عني شيء؟ فقال: لا. إلا رؤيا رأيتها لك كرهتها. قال: وما هي؟ قال: رأيتك مجموع اليدين إلى عنقك على باب أبي الحشر الأنصاري. قال: نعم ما رأيت جمع لي ديني إلى الحشر.

** قالت عائشة لأبي بكر الصديق: رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجري، فقال لها: إن صدقت رؤياك دفن في بيتك ثلاثة من خير أهل الأرض، فلما دفن النبي عليه السلام في بيتها، قال أبو بكر: هذا أحد أقمارك وهو خيرها.

** جاء رجل إلى أبي بكر فقال: رأيت كأني أبول دماً، قال: أنت رجل تأتي امرأتك وهي حائض، فاتق الله ولا تفعل.

** جاء رجل إلى أبو بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فقال: رأيت كأني أحدث ثعلباً، قال: أنت رجل كذاب، فاتق الله ولا تفعل.

** عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: رَأَى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رُؤْيَا فَقَصَّهَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا كَأَنِّي ابْتَدَرْتُ أَنَا وَأَنْتَ دَرَجَةً فَسَبَقْتُكَ بِمِرْقَاتَيْنِ وَنَصَفٍ»، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: خَيْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، يُبْقِيكَ اللَّهُ حَتَّى تَرَى مَا يَسُرُّكَ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي ابْتَدَرْتُ أَنَا وَأَنْتَ دَرَجَةً فَسَبَقْتُكَ بِمِرْقَاتَيْنِ وَنَصَفٍ»، قَالَ: خَيْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، يُبْقِيكَ اللَّهُ حَتَّى يُقَرَّرَ عَيْنَكَ وَتَرَى مَا يَسُرُّكَ، فَأَعَادَهَا الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي ابْتَدَرْتُ أَنَا وَأَنْتَ دَرَجَةً فَسَبَقْتُكَ بِمِرْقَاتَيْنِ وَنَصَفٍ»، قَالَ: خَيْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، يُبْقِيكَ اللَّهُ إِلَى رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَأَبْقَى بَعْدَكَ سَنَتَيْنِ وَنَصْفًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ بِنُ عِيَّاشٍ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُرُ.

[فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل]

** قالت عائشة لأبي بكر: رأيت كأن بقراً نحرن حولي. قال: إن صدقت رؤياك قتل حولك فنة.

** قال رجل لأبي بكر الصديق: إني رأيت الليلة في المنام نوراً عظيماً يخرج من جحر صغير فجعلت أتعجب من صغر الجحر وعظم النور، ثم إن النور أراد أن يعود في الجحر فلم يقدر. فقال أبو بكر: هي الكلمة العظيمة تخرج من الرجل يريد أن يردّها فلا يستطيع.

** رأى رجل في المنام كأنه يطلب بطة معها ثلاثة فراخ، فأدرك البطة وفاتته الفراخ فسئل فقيل: هذا رجل صلى العتمة، ونام عن الوتر حتى أصبح، فقال الرجل: ما تركت الوتر منذ ثلاثين سنة إلا البارحة.

** قام عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قبل أن يقتل بأيام، فقال: إني رأيت ديكاً نقرني نقرتين أو ثلاثاً. فوجأه أبو لؤلؤة غلام المغيرة وجنتين أو ثلاثاً فقتله.

** قال بعض أمراء الشام لعمر: يا أمير المؤمنين! رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فريق من النجوم. قال: مع أيهما كنت؟ قال مع القمر. قال: مع الآية الممحوة، لا عملت لي أبداً. فعزله وقتل مع معاوية بصفين.

** قال علي بن أبي طالب: لا رؤيا لخائف. إلا أن يرى ما يجب.

** رأى عامر بن عبد الله بن الزبير في النوم، امرأةً نائرة الشعر بين الركن والمقام، وهي تقول:

آذنت زينة الحياة بين... وانقضت من أهلها وفناء

فتأول الناس من رؤيا عامر الدنيا.

** قال رجل لابن سيرين: رأيت كأني آكل خبيصاً في الصلاة. قال: الخبيص حلال طيب، ولا يحل الأكل في الصلاة، أنت رجل تقبل امرأتك وأنت صائم. قال: نعم. قال: فلا تعد.

** كان ابن سيرين يعبر الأذان في النوم عملاً صالحاً فيه شهرة.

** وقال ابن سيرين في جنازة يتبعها الناس: هذا قائد له أتباع.

** أتى رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيت البارحة امرأة من جيرانى كأنها ذبحت في بيتٍ من دارها. فقال: هذه المرأة نكحت الليلة في ذلك البيت. فعز على السائل ما ذكره؛ لأن زوج المرأة كان غائباً عنها، فلما انصرف قال له أهله: رأيت فلاناً؟ - يعنون الغائب جاره - فقال: وهل أتى؟ قالوا: نعم. وفي داره بات البارحة. فقصده وسأله، فكان كما قال ابن سيرين.

** قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأن قرداً يأكل معي على مائدة. فقال: هذا غلام أمرد اتخذه بعض نسائك.

** قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأن في حجري صبيلاً يصيح. فقال له ابن سيرين: اتق الله ولا تضرب العود.

** قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأني أطير بين السماء والأرض. فقال: أراك تكثر الأماني.

** قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأن لحيتي بلغت سرتي، وأنا أنظر إليها. فقال له: أنت رجل مؤذن تنظر في دور الجيران.

** كان ابن سيرين يستحب الطيب في النوم، يقول: هو ثناء حسن. وكان يعجبه الطيب الأسود كالمسك والغالية وشبه ذلك، ويقول: يتبعه عيش وثناء حسن.

** سئل ابن سيرين عن الفيل في النوم، فقال: أمر جسيم قليل المنفعة.

** قال رجل لابن سيرين: ما تقول يا أبا بكر في امرأة كانت ترى في المنام كأنها تأكل رأس جزور؟ فقال: تتقي الله ولا تبغض العرب.

** كان ابن سيرين يستحب الزيت في النوم، ويقول: هو بركة كله، إن أكلته أو أدخلته بيتك أو شربته أو ادهنت به أو تلطخت، لأنه من شجرة مباركة.

** كان ابن سيرين يقول: الماء في النوم فتنة، وبلاء في الدين، وأمر شديد؛ لأن الله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ}. وقال: {مَاءٌ غَدَقًا، لَنَفْتَنَهُمْ فِيهِ}.

** قال ابن سيرين: ومن عبر نهرًا، قطع بلاءً وفتنة ومشقة، ونجا من ذلك.

** أتى رجل ابن سيرين، فقال له: خطبت امرأة فرأيتها في المنام. فقال له ابن سيرين: كيف رأيتها؟ قال: رأيتها سوداء قصيرة مكسورة الفم. فقال ابن سيرين: أما الذي رأيت من سوادها فإنها امرأة لها مال، وأما ما رأيت من كسر فمها فإنها امرأة فظيعة اللسان، وأما ما رأيت من قصرها، فإنها امرأة قصيرة العمر، وتوشك أن تموت عاجلاً، فذهب فتزوجها.

** كان ابن سيرين يعبر الرجل إذا رأى أنه حل إزاره أو انحل، قال: هذا رجل يرزق امرأة.

** وكان ابن سيرين لا يعبر الخاتم في المنام إلا امرأة يستفيدها. وكذلك كان هشام بن حسان: لا يعبر الفص في الخاتم: إلا أنه يقول: امرأة فيها قسوة.

** قال هشام بن حسان: كان ابن سيرين يسأل عن مائة رؤيا، فلا يجيب فيها بشيء إلا أنه يقول: اتق الله وأحسن في اليقظة، فإنه لا يضرك ما رأيت في النوم، وكان يجيب في خلال ذلك، ويقول: إنما أجيب بالظن، والظن يخطئ ويصيب.

** قيل لابن سيرين: إنك تستقبل الرجل بما يكره، قال: إنه علم أكره كتمانته.

** رأى الرشيد رؤيا فهمته، فوجه في الكرمانى بربداً، فلما أتاها ومثل بين يديه خلا به وقال: بعثت فيك لرؤيا رأيتها. فقال: وما هي؟ قال: رأيت كلبين ينهشان قبل جارية من جوارى. فقال له الكرمانى: ما رأيت إلا خيراً يا أمير المؤمنين، فقال له الرشيد: قل ما تراه وهات ما عندك، فقال له: هذه جارية دعوتها لتجامعها، وكان لا عهد لك معها بذلك، وكانت ذات شعر، فكرهت أن تحلق فتجد أثر الموسى، وكرهت أن تبقى على هيئتها، فأخذت جلماً فحلقت بعض الشعر وتركت بعضه، فأشار الرشيد إليه بالقعود، وقام فدخل إلى نساءه، ودعا بتلك الجارية فسارها مستفهماً منها عن ذلك، فأقرت به وصدقت الكرمانى، فخرج إليه الرشيد، فقال له: أصبت وسررتنى، وأمر له بصلة سنوية، ثم قال له: إياك أن تحدث بما ما كنت حياً. قال: فوالله ما حدثت بما ما دام الرشيد حياً.

** قال الزبير: حدثني أبو ضمرة أنس بن عياض، قال: قيل لجعفر بن محمد: كم تتأخر الرؤيا؟ فقال: رأى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كأن كلباً أبقع يلغ في دمه، فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، وكان أبرص، فكان تأويل الرؤيا بعد خمسين سنة.

** ذكر ابن المنتاب القاضي المالكي، قال: حدثنا بن أبي خيثمة، قال: حدثنا خالد بن خدّاش قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: وجه إلى جعفر بن سليمان ليلاً، وهو أمير البصرة، فدخلت عليه، فقبلت يده فقبل يدي، وإذا هو مروع، فقال: رأيت البارحة مالك بن أنس في النوم وهو يقول: بيني وبينك الله. فقلت له: مالك بن أنس من العلم بمكان، وإنه لا يطالبك إلا بما بينك وبين رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من القرابة والنسب. قال: فما ترى؟ قلت له: تعتق. فأعتق عن كل سوط رقبة. قال القاضي ابن المنتاب: وكان عدد الأسواط نيفاً وثلاثين سوطاً.

باب من نوادر الأخبار

** بينما عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- جالس مع أناس من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وفيهم علي بن أبي طالب وجماعة من المهاجرين، فالتفت إليهم، فقال: إني سائلكم عن خصال فأخبروني بها، أخبروني عن الرجل بينما هو يذكر الشيء إذ نسيه، وعن الرجل يحب الرجل ولم يلقه، وعن الرؤيين إحداهما حق، والأخرى أضغاث أحلام، وعن ساعة من الليل ليس أحد إلا وهو فيها مروع، وعن الرائحة الطيبة مع الفجر، فسكت القوم.

فقال: ولا أنت يا أبا الحسن؟ فقال: بلى والله. إن عندي من ذلك لعلماً، أما الرجل بينما هو يذكر الشيء إذ نسيه، فإن على القلب طخاءً كطخاء القمر، فإذا سرى عنه ذكر، وإذ أعيد عليه نسي وغفل.

وأما الرجل يحب الرجل ولم يلقه فإن الأرواح أجناد مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

وأما الرؤيا إحداهما حق والأخرى أضغاث؛ فإن في ابن آدم روحين، فإذا نام خرجت روح فأتت الحميم والصديق، والبعيد والقريب والعدو، فما كان منها في ملكوت السماوات فهي الرؤيا الصادقة، وما كان منها في الهواء فهي الأضغاث.

وأما الروح الأخرى فللنفس والتقلب، وأما الساعة من الليل التي ليس أحد إلا وهو فيها مروع، فإن تلك هي الساعة التي يرتفع فيها البحر يستأذن في تغريق أهل الأرض، فتحسه الأرواح فترتاع له، وأما الرائحة الطيبة مع الفجر، فإن الفجر إذا طلع خرجت ريح من تحت العرش حركت الأشجار في الجنة فهي الرائحة الطيبة. خذها يا عمر، قال: صدقت.

** قال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: دخلت على عمر بن عبد العزيز، وعنده رجل من النصارى، فقال له: من تجدون الخليفة بعد سليمان قال النصراني: أنت. قال: فأقبل عمر بن عبد العزيز علي فقال: دمي في ثيابك يا أبا عبد الله، قال: فقلت: سبحان الله! المجالس بالأمانة. قال محمد بن علي: فلما كان بعد ذلك جعلت ذلك

النصراني من بالي، فرأيته يوماً فأمرت غلامي أن يجسسه علي، وذهبت به إلى منزلي، وسألته عما يكون، وقلت: عد لي خلفاء بني مروان واحداً واحداً. فعد لي خلفاء بني مروان واحداً واحداً. وتجاوز عن مروان بن محمد، قال محمد بن علي، فقلت له: ثم من؟ قال: ثم ابنك من الحارثية، وهو اليوم حمل.

**كتب صاحب الروم إلى معاوية يسأله عن أفضل الكلام وما هو؟ والثاني والثالث والرابع؟ وكتب إليه يسأله عن أكرم الخلق على الله، وعن أكرم الإماء على الله، وعن أربعة من الخلق لم يركضوا في رحم، وعن قبر سار بصاحبه، وعن الحجر، وعن القوس، وعن مكان طلعت فيه الشمس لم تطلع فيه قبل ذلك ولا بعده.

فلما قرأ معاوية الكتاب قال: أخزاه الله! وما علمي بما ها هنا؟ فقيل: اكتب إلى ابن عباس، فكتب إليه ابن عباس: أفضل الكلام لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص لا عمل إلا بها، والتي تليها سبحان الله وبحمده، صلاة الخلق، والتي تليها الحمد لله، كلمة الشكر، والتي تليها الله أكبر، فاتحة الصلوات والركوع والسجود.

وأكرم الخلق على الله آدم عليه السلام، وأكرم إماء الله مريم عليها السلام. وأما الأربعة الذين لم يركضوا في رحم: فآدم وحواء والكبش الذي فدى به إسماعيل، وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثعباناً مبيناً.

وأما القبر الذي سار بصاحبه فالخوت الذي النقم يونس، وأما الحجر فباب السماء، وأما القوس فإنها أمان لأهل الأرض من الغرق بعد نوح، وأما المكان الذي طلعت عليه الشمس، لم تطلع فيه قبله ولا بعده، فالمكان الذي انفرج من البحر لبني إسرائيل مع موسى عليه السلام. فلما قدم عليه الكتاب أرسله إلى ملك الروم، فقال: لقد علمت أن معاوية لم يكن له بهذا علم، وما أصاب هذا إلا من أهل بيت النبوة.

**وجه ملك الروم إلى معاوية بقارورة، فقال: ابعث إلى فيها من كل شيء حي، فبعث بها إلى ابن عباس، فقال: تملأ له ماء. فلما ورد به على ملك الروم، قال له أخوه: ما أدهاه! فقيل لابن عباس: كيف اخترت ذلك؟ قال: يقول الله عز وجل: {وجعلنا من الماء كل شيء حي}.
الماء كل شيء حي.

** روى أسامة بن زيد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: أخبرني عمر بن الخطاب قال: خرجت مع أناسٍ من قريش في الجاهلية في تجارة إلى الشام، فبينما أنا في سوق من أسواقها بدمشق إذ أنا ببطريق قد جاءني فأخذ بعنقي، فذهبت أنازعه نفسي، فقيل لي: لا تفعل فليس لك منه النصف، قال: فخرجت معه فأدخلني كنيسةً فإذا تراب كثير متراكم بعضه على بعض، فدفعت إلى بمجرفة وفأساً وزنبيلاً، فقال لي: انقل هذا التراب واحفر لي هاهنا بئراً، قال: فجلست أفكر في أمري كيف أصنع، قال: فأتاني في الهاجرة وعليه سبينة قصب، أرى سائر جسده منها، ولم أحرك شيئاً، فقال لي: وإنك على ما أرى ما حركت شيئاً، ثم ضم كفه وأصابعه يضرب بها وسط رأسي، فقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا عمر، أو قد بلغت ما أرى! قال: فقمتم إليه بالمجرفة فضربت بها رأسه فنشرت دماغه وخر ميتاً، وخرجت إلى الطريق، وأنا لا أدري أين أسلك من بلاد الله تعالى، فمشيت بقية يومي وليلي من الغد حتى أصبحت، ثم انتهيت إلى ديرٍ فاستظلمت بظله، فخرج إلى رجل من أهل الدير، فقال: يا عبد الله! ما يقعدك ها هنا؟ فقلت: أضللت أصحابي. قال: والله ما أنت على طريق، وإنك لتنظر بعين خائف، قم فادخل الدير فأصب من الطعام والشراب، وأقم ما بدا لك، قال: فدخلت فأتاني بطعام وشراب وألطف لي، ثم صعد في النظر وخفضه، ثم قال: يا هذا! لقد علم أهل الكتاب أنه لم يبق على وجه الأرض رجل أعلم مني اليوم، وإني أجد صفتك، إنك الذي تخرجنا من هذا الدير، وتغلب على هذا البلاد. فقلت: أيها الرجل! ذهبت من الأمر في غير مذهب. قال: ما اسمك؟ قلت: عمر بن الخطاب. قال: أنت والله الذي لا إله إلا هو صاحبنا من غير شك، فاكتب لي على ديري هذا وأهله وما فيه أماناً، قال: قلت: أيها الرجل! قد صنعت معروفاً فلا تكدره، قال: إنما هو كتاب في رق، وليس عليك فيه مؤونة ولا شيء، فإن كنت صاحبنا فهو الذي أريد، وإن تكن الأخرى فأبي يضرك؟ قلت: هات، فكتبت له أماناً ثم ختمته ودفعت إليه. قال: فدعا بنفقة وثوب فدفعها إلي، ثم دعا بأتان قد أوكفت، فقال: أتسمع؟ قلت: نعم. قال: اخرج على هذه الأتان فإنها لا تمر بقوم ولا أهل دير إلا علفوها، حتى إذا بلغت مأمناك فخل عنها واضرب وجهها مدبرة، فإنها تعلف وتسقي حتى تصل.

قال: فركبتها ثم سرت عليها حتى أدركت أصحابي وهم متوجهون، فلم أمر بقوم إلا سقوها وعلفوها حتى لحقت أصحابي، فنزلت عنها، وضربت وجهها مدبرة، ثم سرت معهم حتى قدمت على أهلي.

قال أسلم: فلما قدم عمر بن الخطاب الشام أتاه ذلك الراهب في خلافته، وهو صاحب دير العدس بذلك الكتاب، فلما قرأه عمر عرفه، فقال له الراهب: في لي بشرطي، فقال له عمر: جاء أمر غير ذلك، جاء ما ليس لعمر ولا لأبي عمر فيه شيء، فاستشار فيه عمر المسلمين، فقالوا: نرى أن تفي له يا أمير المؤمنين، قال عمر: هل عندك للمسلمين منفعة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فأنشأ عمر يحدثنا حديثه حتى أتى على آخره، ثم قال عمر للراهب: إن أضفتم المسلمين، وأرشدتموهم الطريق، وهديتهم الضال، ومرضتم المرضى ممن يمر بكم من المسلمين فعلنا، قال: نعم يا أمير المؤمنين نفعل. قال: فوفي له عمر.

** روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبيه، قال: خرجت في الجاهلية بتجارة إلى الشام فنزلت في بعض الطريق لقضاء حاجة، وتقدمتني القافلة، فإني لذلك إذ أقبل إلى راهب على أتانٍ له قد خرج في بعض الزيارات يريد فلسطين وهو يذهب عطشاً، وكان يوماً صائفاً، فسلم على واستسقاني ماء.

ولم يكن معي غير فضلة في إداوةٍ معلقة على كفل الفرس، فأثرته بها، وتبين له ذلك، فشكر لي فعلى، وشكا تعباً لحقه، وأنه يريد النزول والراحة قليلاً، وهو خائف من الوحدة وفساد الطريق، وكأنه أراد الأناضول. فقلت له: انزل فإني أونسك ولا أتركك.

وكنت عارفاً بالطريق، فخرجنا إلى ظل شجرة أرزٍ فعرسنا تحتها، وقلت: أعينه، ثم ألق القافلة بعد تعريسيها بساعة، وكان له غلام ورحل قد تأخرا عنه، فكان مع ذلك ينتظر، فلما نزلنا استلقى على جنبه ونام، وركبت فرسي أطلب بعض الحياض التي كنت أعرفها لأملأ إداوتي منها، فوجدت واحداً منها فملأت الإداوة، ورجعت والراهب نائم بحاله، وإذا بثعبان عظيم يسير إليه لينهشه، فاخرطت سيفي ونزلت إليه فلحقته، وقد كاد ينقره فقتلته، وجلست أخفر الراهب إلى أن قام وقد استراح من تعبته، فعرضت عليه الماء فشرب، ونظر إلى الثعبان فهاله أمره، فعرفته أنه قصده وأني قتلته فشكر،

وقال: قد أحبيتني مرتين، ووجب حقلك علي، قد حبست نفسك علي، ونزلت معي حتى استرحت، وأنستني من الوحدة ووحشة الطريق، وأنا مع ذلك في غربة. ولا أدري بماذا أكافئك، ثم ركبنا وسرنا فما لحقنا القافلة إلا مساء، وطلبت رحلي وغلاماً كان معي إلى أن وجدته، فأنزلت الراهب معي إلى أن أصبحنا، فجاءه غلامه ورحله، فقال لي: أين تريد؟ فعرفته أي أريد دمشق بتجارة معي، فسألني عنها فأخبرته، فقال لي: أي تريد؟ تدخل معي إلى مصر فإن لي بها حالا جميلة وجاهاً عريضاً، ولعلي أكافئك على ما أوليتني، فإن يدي تقصر هاهنا عن مكافأتك، وعلي أن أربحك في تجارتك ضعف ما تأمله من الربح منها، فوقع كلامه بقلبي، فقلت له: على أن تخرج معي من يكفني ويحملني في طريقي، أو تضيفني إلى من يبلغني هذا المكان، فإني إذا بلغت عرفته الطريق إلى موضعي. قال: بل أردك إليه من طريق هو أقرب من طريقك هذا.

فسرت معه فرأيت رجلاً جميلاً والصحة والمرافقة، وكان فيه مع ذلك فهم وعلم، وكان من أبناء القبط الأولين، وكان يخبرني عن مصر وأهلها في القديم، وعن عجائبها وطلسماتها وملوكها، وخبر بخت نصر وكيف دخل البلد وأخذه بالحيلة التي تمت له حتى وصل إليه وما كان بعد ذلك، ولم نزل في أنس إلى أن دخلنا مصر، فلم نكن نمر بموضع ولا ديرٍ إلا تلقونا بالإكرام والجميل، وعدينا النيل، وسرنا حتى دخلنا الإسكندرية، فأنزلني عنده وأتاه جماعة من أهله وذوي قرابته وجماعة من وجوه أهل البلد، وكان مقدماً عندهم، فسلموا عليه وهنأوه بالسلامة وقضوا حوائجه وأكرموه وأتحفوه، ولم يكن يدخل إليه أحد من أهله وغيرهم إلا أخبرهم بخبري، وأني خلصته من العطش بما كان معي من الماء، وأني آثرته على نفسي، وخبرهم بما كان من أمر الثعبان. فما منهم أحد إلا برني وأكرموني. واجتمعت لي دنائير كثيرة، ووجه أقاربه وباع منهم ومن غيرهم البضاعة التي كانت معي، وأفضلت فيها فضلاً كثيراً، وأقمت أكثر من شهر وأنا أطوف بالإسكندرية، وأنظر إلى عجائبها ومنازرها ثم استأذنته للخروج، فقال لي: إن لنا عيداً وقد حضر، فأقم عندي حتى تشاهده وأوجه معك من يخفرك إلى حدود أرض الحجاز، فأجبتة إلى ذلك، وحضر العمدة، وزينت كنائس الإسكندرية، وخصوا منها كنيسة مرخمة عظيمة كانوا يجتمعون إليها بأحدث الزي، وكان خارج الكنيسة أسطوان كبير واسع مفروش بالبسط،

وقد جلس عليه رؤسائهم وبطارقتهم، وكان من عاداتهم أن يضربوا خارج الأسطوان في فسيح هناك بصولجان وكرة تطير إلى ذلك الأسطوان، فمن وقعت في حجره الكرة من أولئك البطارقة والرؤساء، حكم له بولاية مصر، قال عمرو: فأجلسني وسط أولئك الوجوه والبطارقة فإني لمشغول بالنظر إليهم وإلى زبيهم، وأولئك خارج الأسطوان يضربون تلك الكرة إذ طارت إلى فسقطت في حجري فأكبروا ذلك، وجعلوا يتأملوني ويعجبون مني، ومن سقوط الكرة في حجري، ثم ردوا الكرة إلى خارج، وضربوها أيضاً مرة أخرى، فطارت حتى سقطت ثانية، فازدادوا عجباً، وجعل بعضهم ينظر إلى بعضٍ ويزمزمون بكلامهم، وأنا لا أعرف ما يقولون.

ثم أخرجوا الكرة وضربوها مرة ثالثة فسقطت في حجري ودخلت في كمي، فزاد تعجبهم وقالوا: إن هذا الأمر يراد أو بطل فعل الكرة.

وأقمت حتى انقضت أيام عيدهم، فسألته أن يأذن لي في الخروج إلى الحجاز، فأذن لي في ذلك، بعد أن شرط على أن لا أترك زيارته في كل وقتٍ يمكنني، وأنفذي مع غلام له وجهزني بطريفٍ من ثياب الوشي التي كانت تعمل بالإسكندرية، وثياب من دبيق دمياط، وأكسية رقيقةً من صوف، وفصوص وغير ذلك، فانصرفت إلى أهل بواقر حال، وأخرجني الغلام من ناحية أستغني فيها عن الخفير، وكان الغلام الذي وجهه به معي يدري أمرهم، فسألته عن أمر الكرة فعرفني أن من عاداتها ذلك اليوم، ألا يقع في حجر أحدٍ إلا ولي مصر، وأنهم عجبوا من ذلك، وقالوا: هذا رجل عربي وغريب. وكيف يلي هذا مصر؟! وصرخوا الأمر إلى فساد فعل الكرة، قال عمرو: فوقع في نفسي من ذلك أمر لم أعرف الوجه فيه، وسرت إلى منزلي وأنا أوفر التجار الذين خرجت معهم إلى الشام وأحسنهم حالاً، وعرض في نفسي شيء من أمر مصر، فقلت: أحمل تجارة إلى بلد الروم، وأدخل إلى الملك ولعله أن يقلدني أمر مصر، ثم قلت: إن هذا النظر فاسد، وهل يترك الملك بطارقتة وأصحابه ويولينني أنا وأنا عربي على غير دينه؟

فسمعت قائلاً يقول: لا بد لفلان من ذلك وبصير منه إلى ما يجب. فزاد ذلك في قوة أمني في الولاية على مصر إلى أن كان من أمر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما

كان، وجاءته هدية المقوقس، وقال: (إنكم ستفتحون مصر فاستوصوا بالقبط خيراً،
وجازوا أهلها بالجميل، فإنهم خؤولة إبراهيم)

فلما سمعت ذلك تحققت أنه سيكون لي يد على مصر.

** روى ابن جريج، قال: حدثني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير، أنه قال:
سمعته يقول: كان رجل من بني إسرائيل يقرأ، فإذا بلغ {بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأسٍ
شديد} بكى وفاضت عيناه، ثم يطبق المصحف. فعل ذلك ما شاء الله من الزمان، ثم
قال: أي رب! أرنى هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه، فأرى في
المنام مسكيناً سائلاً يقال له: بخت نصر ببابل، فانطلق بمال وأعبد له، وكان رجلاً
موسراً، فقيل له: أين تريد؟ فقال: أريد التجارة. فنهض حتى نزل ببابل فاكتري بها منزلاً
ليس فيه أحد غيره، وجعل يدعو المساكين ويعطيهم ويلطف بهم حتى لم يبق أحد منهم
إلا جاء، فقال: هل بقي مسكين غيركم؟ قالوا: نعم، مسكين بفتح آل فلان مريض يقال
له: بخت نصر.

فقال لغلمته: انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه، فقال له: ما اسمك؟ قال: بخت نصر،
قال لغلمته: احتملوه. فنقله إليه فمرضه حتى برأ، وكساه وأعطاه نفقةً، ثم أذن
الإسرائيلي بالرحيل، فبكى بخت نصر، فقال له الإسرائيلي: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنك
فعلت معي ما فعلت ولا أجد شيئاً أجزيك به. قال: بل شيئاً يسيراً إن ملكت أطعني.

فجعل بخت نصر يلتوي ويقول: تستهزئ بي؟ ولا يمنعه أن يعطيه ما سأل إلا أنه
يستهزئ به، وأبي عليه. فبكى الإسرائيلي وقال: لقد علمت أنه ما يمنحك أن تعطيني ما
سألت إلا أن الله تعالى يريد أن ينفذ ما قضى وما قد كتبه عنده في كتابه، ثم ضرب
الدهر ضرباته، فقال سيحون وهو ملك فارس ببابل: إنا لو بعثنا طليعةً إلى الشام كان
حسناً. قالوا: وما يمنحك؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان. فبعث رجلاً وأعطاه مائة ألف،
فخرج وخرج بخت نصر في مطبخه لا يخرج إلا أن يأكل، لا همة له غير شبع بطنه، فلما
قدم الشام رأى صاحب الطليعة أرضاً أكثر أرض الله خيلاً ورجلاً وسلاحاً، فكسر ذلك
في ذرعه، فلم يسأل ولحقه جزع، وجعل بخت نصر يمشي في مجالس أهل الشام فلا يدع

مجلساً إلا وهو يقول لأهله: ما يمنعكم أن تغزوا بابل مع كثرة ما أرى معكم من الخيل والرجل، فلو غزوتموها لأصبتم بها المال والعيال.

قالوا: فلا نحسن القتال ولا نعرفه، حتى استنفد مجالس أهل الشام، ثم رجع إلى الطليعة ولم ينل منهم كثير نيلٍ لما رأى، وجعل بخت نصر يقول لمن يلج على الملك: لو دعاني الملك لأخبرته غير ما يخبره فلان - يعني الطليعة - فرفع ذلك إليه، فدعاه، فأخبره الخبر، وقال: إن فلاناً لما رآها أكثر أرض الله خيلاً ورجلاً حسبهم أجلد الناس، فكسر ذلك في ذرعه، ولم يسألهم عن شيء، وإن لم أدع مجلساً بالشام إلا جالست أهله، فقلت لهم كذا فقالوا لي كذا، فقال الطليعة لبخت نصر بعد خروجه من عند الملك: فضحتني أيها الرجل، فهل لك في مائة ألفٍ تأخذها وتنزع عما قلت؟ قال: لو أعطيتني بيت مال بابل لما نزعت.

ثم أن الدهر ضرب ضربه، وقال الملك: لو بعثنا جريدة خيلٍ إلى الشام، فإن وجدوا مساعاً ساغوا، وإلا انهبوا ما قدروا عليه؟ قالوا: فما ضرك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان أو فلان. قال لهم: بل الرجل الذي أخبرني بما أخبر.

فدعا بخت نصر، فأرسله وأرسل معه أربعة آلافٍ من فرسانهم، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار، فسبوا ما شاءوا وخرّبوا ولم يقتلوا، ورمى في جنازة سيحون فمات، فقالوا: استخلفوا رجلاً. فقالوا: على رسلكم حتى يأتي أصحابكم من وجهتهم، فأمهلوا حتى جاء بخت نصر فقسم ما جاء به في الناس، فقالوا: ما رأينا أحق بالملك من هذا؟ فملكوه.

فلم ضرب له ملكه بجرانه، قال لهم يوماً: موعدكم ثلاثة فمن استأخر بعدها منكم فليمش إلى خشبته، فغزا الشام، فذلك حين قتل، وخرّب بيت المقدس وانتزع حلبيته وحملها، وجعل يشرب فيها الخمر وخواناً يأكل عليها الخنازير، وحمل التوراة معه ثم ألقاها في النار، وقدم فيما قدم بمائة وصيف منهم دانييل وعزير، وكان يقال له عزيريا، وحنانيا وميشائيل، فقال لإنسان: أصلح لي أجسام هؤلاء، لعلني أختار منهم أربعة يخدمونني. فقال دانييل لأصحابه: اعلّموا أنهم إنما نصرّوا عليكم بما غيرتم من دين آبائكم. لا تأكلوا لحم الخنزير، ولا تشربوا الخمر. فقالوا للذي يصلح أجسامهم: هل

لك أن تطعمنا طعاماً هو أهون عليك في المؤونة مما تطعم أصحابنا، فإن لم نسمن قبلهم أكثر من سمنهم رأيت رأيك؟ قال: ماذا؟ قالوا: خبز الشعير والكراث. ففعل، فسمنوا قبل أصحابهم. فأخذهم بخت نصر يخدمونه.

قال: فبينما هو كذلك إذ رأى بخت نصر رؤيا، فجلس ثم نسيها، ثم عاد فرآها، ففزع فقام من نومه، ثم عاد فرقد فرآها، فخرج إلى الحجر فنسيها، فلما أصبح. دعا العلماء والكهان، فقال: أخبروني بشيء رأيت البارحة، وإذا أخبرتموني بما رأيت. فأولوا لي رؤياي، وإلا فليمش كل رجل منكم إلى خشبته، موعدكم ثلاث.

فقالوا: هذا خبر قد أظلنا منه بلاء، فكيف بالنجاة منه، فجعل دانييل يقول كلما مر به رجل من رجاله: لو دعاني الملك لأخبرته بما رأى وأولت ذلك. فجعلوا يقولون: ما أحق هذا الغلام الإسرائيلي! إلى أن مر به كهل فقال ذلك له، فرفعه إلى الملك وقال له: ماذا رأيت؟ قال: رأيت تمثالا. قال: إيه. قال: ورأسه من ذهب. قال: إيه، قال: وعنقه من فضة، قال: إيه: قال: وصدرة من حديد. قال: إيه. قال: وبطنه من صفر. قال: إيه: قال: ورجلاه من أنك. قال: إيه. قال: وقدماه من فخار. قال: نعم، هذا الذي رأيت. قال: فجاءت حصاة فوقعت في رأسه ثم في عنقه ثم في صدره ثم في بطنه ثم في رجله ثم في قدميه فأهلكته، قال: نعم، فما تأويل هذا؟

قال: أما الذهب فملكك، وأما الفضة فملك ابنك من بعدك ثم ملك ابن ابنك، وأما الفخار فملك النساء. فكساه جبة سبئية وسوره وأجازه وأمر أن يطاف به في القرية، وأخبر أن خاتمة جائز على ما ختم، فلما رأت ذلك فارس، قالوا: ما الأمر إلا أمر هذا الإسرائيلي فكيف نهدمه؟ قالوا: اتوه من نحو الفتية الثلاثة أصحابه، ولا تذكروا له دانييل فإنه لا يصدقكم عليه، فأتوه، فقالوا: إن هؤلاء الفتية الثلاثة ليسوا على دينك، وهم يكرهون ما تستحسنه، وآية ذلك أنك إذا قربت إليهم لحم الخنزير والخمر لم يأكلوا ولم يشربوا، فأمر بحطب كثير فوضع، ثم أوقدت النار ورماهم فيها، فلما كان من آخر الليل أمر بالنظر إليهم فإذا هم يتحدثون، وإذا معهم رابع يروح عليهم ودانييل يصلي، قال: من هذا يا دانييل؟ قال: هذا جبريل، ظلمت القوم.

فأمر بهم فأنزلوا. قال: ومسح الله عز وجل بخت نصر من الدواب كلها، فجعله من كل صنف من الدواب رأسه من السباع الأسد، ومن الطير النسر، وملك ابنه بعده، وكان دانييل يسدده، وكان معه ثم رماه عنه وأقصاه، ثم أنه رأى كفاً فرجت بين لوحين مكتوب فيها سطران، فدعا الكهان والعلماء، فلم يجد عندهم منه علماً، فقالت أمه: إنك لو دعوت دانييل وأعدت إليه منزلته ومنك ومن أبيك عرفك، فدعاه فقال: إني معيد إليك منزلتك من أبي، فأخبرني ما هذان السطران؟ قال: أما معيد لي منزلي من أبيك فلا حاجة لي بذلك، وأما السطران فإنك تقتل الليلة.

قال: فأمر أن يخرج كل من في القصر، فأخرجوا أجمعين، وأمر بقفل أبوابه فغلقت الأبواب، وأدخل معه رجلاً وضع بيده سيفاً، وقال له: كل من جاءك من خلق الله الليلة فاقتله، ولو قال: أنا فلان - يعني نفسه - وبعث الله عليه البطن، فجعل يمشي والآخر نائم، فبينما هو كذلك إذ استيقظ ونهض إليه، فقال: أنا فلان. فضربه بالسيف فقتله؟ قال الله تعالى: {وإن عدتم عدنا}.

قال: فبعث الله عليهم العرب، فلم يزالوا يسومونهم سوء العذاب، ولا يزالون إلى يوم القيامة في ذلة وصغار.

قال ابن جريج: فبلغني أن سعيد بن جبير كان يحدث بهذا الحديث، فلما بلغ هذا الموضوع أخذه رسول الحجاج بن يوسف.

**وروى حماد، عن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: أن رجلاً من علماء أهل الشام وجد نعت بخت نصر وأنه غلام يتيم، وله والدة، وله ذؤابة في رأسه من أهل بابل، وأنه تقدم فسأل عنه وعن أمه حتى عرفهما بالنعت، فنزل عليهما وكان وهو غلام يسوق العجاجيل والدجاج، فقال له ذات يوم: إنك ستملك فارس والشام، فاكتب لي أماناً ولقومي. قال: ما أدري ما هذا الذي يذكر، فلم يزل به حتى قال له: اكتب أنت ما شئت، وكتب له ولقومه أماناً، فأراد أن يختمه، فلم يكن لبخت نصر خاتم فأخذ خاتم حديد من نطاق أمه فختمه، ثم أنه دخل الشام، فأتاه الرجل فحيل بينه وبينه، فقال لمقدمته: إن للملك ودخل عليه، فقال: ما تعرفني؟

قال: ما أعرفك. فقص عليه القصة وذكره، ودفع إليه الأمان. فقال: ما أدري ما هذا الذي تذكر، ورثت هذا كائناً عن كابر عن آبائي. فلم يزل به حتى أقر.

فوفي له وأمنه، وقال: لا يسمع هذا منك أحد. ولما ظهر على الشام، إذ هو بدم يحيى بن زكريا يغلي، فقال: لأقتلن على هذا الدم حتى يسكن، فقتل عليه سبعين ألفاً، فجاء قاتله فقال: إن هذا الدم لا يسكن أبداً حتى تقتلني فأنا قتلته فقتله وسكن الدم، وظهر على الشام وخرب بيت المقدس وحرقت التوراة، وجاء معه دانييل وميخائيل وعزير وحزقيايل ودفعهم إلى صاحب مطبخه، ثم ذكر الرؤيا وزاد فيها فيجئ بني من العرب فيغلب وينقض تلك الأوثان كلها ويكون الدين كله لله.

** وقال ابن الكلبي: كان سنمار الرومي من أصنع الناس للبنيان، فبنى لبعض ملوك العرب بنياناً سر به وأعجبه، وخاف إن استبقى سنمار بني بعده مثل ذلك البنيان، لغيره من الملوك، فأمر به فرمى من فوق القصر فمات، فضربت به العرب الأمثال في سوء الجزاء، حتى قال بعضهم:

جزاني جزاه الله شر جزائه... جزاء سنمار وما كان عن ذنب

** كتب ملك الروم إلى معاوية: إن الملوك لم تنزل تراسل بعضهم بعضاً، وتجتهد أن يغرب بعضهم على بعض، أفتأذن في ذلك؟ فأذن له. فوجه إليه رجلين أحدهما طويل والآخر أيد، فقال معاوية لعمرو: أما الطويل فقد أصبنا كفوفاً له وهو قيس بن سعد بن عبادة، وأما الآخر الأيد فقد احتجنا إلى رأيك فيه.

فقال: ها هنا رجلان كلاهما إليك بغيض: محمد بن الحنفية، وعبد الله بن الزبير. قال معاوية: الذي هو أقرب إلينا منهما فلما دخل الرجلان وجه إلى قيس ابن سعد فدخل، فلما مثل بين يديه معاوية نزع سراويله فرمى بها إليه فلبسها فبلغت ثنودته، فأطرق مغلوباً. وقيل لقيس في ذلك: لم تبذلت في حضرة معاوية؟ هلا فعلت غير ذلك؟ فقال:

أردت لكي ما يعلم الناس أنها... سراويل قيس والوفود شهود

وألا يقولوا غاب قيس وهذه... سراويل عاد نمته ثمود

ثم وجه إلى محمد بن الحنفية، فدخل فخير بما دعي إليه، فقال: قولوا له: إن شاء
فليجلس وليعطني يده حتى أقيمه أو يقعدني، وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد، فاختار
الرومي الجلوس، فأقامته، فانصرف الطويل والأيد مغلوبين.
قلت: أما هذا الخبر فمنكر ليس بصحيح، ولا له أصل لأنه يخالف أخلاق قيس
ومحمد، وليس فيه كبير فائدة لمنزلتهما.

باب جامع من المذكرات مما لم يذكر في الأبواب المتقدمة

- ** كان يقال: المتقون سادة، والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة - يعني في الخير.
- ** قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: حلق القفا مما يزيد في الحفظ.
- ** وقال عبد الله بن عباس أيضاً: حلق الرأس لا يصح في العقوبة، لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نسكاً لمرضاته.
- ** قال عمر بن عبد العزيز: إياكم والمثلة في العقوبة: حز الرأس واللحية.
- ** وقال عبد الله بن عباس: إني لأسمع بالحكم من حكام المسلمين يعدل فأفرح به، ولعلي لا أتحاكم أبداً، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلدان فأفرح ومالي فيها سائمة، وإني لآتي على الآية فأود أن الناس يعملون بها، ويعلمون منها ما أعلم.
- ** سأل رجل مطرف بن الشخير عن شيء، فقال: يا ابن أخي لا تحمل سعة الإسلام على ضيق صدرك.
- ** كان يقال: لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الرياء، وآفة الحياء الضعف، وآفة اللب العجب، وآفة الظرف الصلف [تجاوز القدر في الظرف]، وآفة الجود الشرف، وآفة الجمال التيه، وآفة السؤدد الكبر، وآفة الحلم الذل.
- ** كان يقال: العجب ممن يخاف العقاب ولم يكفن ورجا الثواب ولم يعمل.
- ** قال حارثة بن بدر الغداني:
- طربت بقانونٍ وما كنت أطرب ... سفاها وقد جربت فيمن يجرب
وما اليوم إلا مثل أمس الذي مضى ... ومثل الغد الجائي وكل سيذهب
- ** امتحن يحيى بن أكثم رجلاً أرادته للقضاء، فقال: ما تقول في رجلين أنكح كل واحدٍ منهما الآخر أمه، فولد لكل واحدٍ منهما ولد، فما قرابة ما بين الولدين؟ فلم يعرف. فسئل عن ذلك، فقال: كل واحدٍ منهما عم الآخر لأمه.
- ** دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقال له: إني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمها، ولا غناء بنا عن رفدك، فقال له عبد الملك: إن أخبرتني ما قرابة أولادكما إذا

ولدتما، فعلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين! هذا حميد بن بحدل، قد قلدته سيفك ووليته ما وراء بابك، سله عنهما، فإن أصاب لزمي الحرمان، وإن أخطأ اتسع لي العذر. فدعا به فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين! إنك ما قدمتي على العلم بالأنساب، ولكن على الطعن بالرماح. أحدهما عم الآخر والآخر خاله.

لو تزوج رجل امرأة، وزوج ابنه ابنتها، ثم ولد لهما، كان أحد المولودين عم الآخر، والآخر ابن أخيه.

** كان يقال: ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم؛ الذهاب إلى مائدة لم يدع إليها، وطالب الفضل من اللثام، والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يدخلاه فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلساً ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه ولا يصغي إليه.

** ذكر الخشني عن أبي حاتم عن الأصمعي، قال: تذاكر نفر من الجن عيافة بني أسد، فقالوا: لو نظرنا إلى بعض ذلك فأتوهم، وقالوا: إنا ضلت لنا ناقة، فلو أرسلتم معنا بعض من يقفو لنا أثرها، فقالوا لغليم منهم: انطلق معهم، فاستردفه أحدهم ثم ساروا، فلقبهم عقاب كاسر إحدى جناحيها، فاقشعر الغلام فبكى، فقالوا: ما بالك؟ فقال: كسرت جناحاً ورفعت جناحاً، حلفت بالله صراحاً ما أنت بإنسي ولا تبغي لقاحاً. قال الخشني: الجناح يؤنث ويذكر.

** نذرت امرأة أن تكسو ثوباً غزله فأتقنته أفضل رجل بالبصرة، فقيل لها: الحسن، فأنت به الحسن فأرسل بها إلى أبي قلابة، فردها أبو قلابة، وقال: إن الناس أصابوا فيك وأخطأت في.

** قال أبو عبيد: العارضة كناية عن الندى، فإذا قيل: فلان شديد العارضة فذاك كناية عن سفه الكف بالعطاء.

وإذا قيل: فلان يقتصد، فذلك كناية عن البخل.

وإذا قيل العامل مستقص، فذلك كناية عن الجور.

وأما قولهم في المثل: هذا أجل من الحرش، فإن الأصمعي ذكر في تفسيره ذلك، أن

الضب قال لابنه: إذا سمعت صوت الحرش فلا تخرجن، قال: وذلك أنهم يزعمون: أن

الحرش تحرك اليد عند حجر الضب ليخرج إذا ظن أنها حية. قال: وسمع ابنه يوماً صوت الحفر، فقال: يا أبت! هذا الحرش؟ فقال: يا بني! هذا أجل من الحرش، فأرسلهما مثلاً وفي المثل: تعلمني بالضب وأنا حرشته.

** قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: ما خلق الله خلقاً أشر من الخزر، ما بعث منهم نبي ولا صديق.

** قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لابنه الحسن: يا بني! كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع. قال: وكيف؟ قال: الإيمان ما سمعناه بآذاننا وصدقناه بقلوبنا، واليقين ما رأيناه بأعيننا فتيقنا، وبين السمع والبصر أربع أصابع. قال: أشهد أنك ابن رسول الله.

** قال الحكماء: شيئان أعييت الحكماء الحيلة فيهما، إذا أقبل الأمر أعييت الحيلة فيه أن يدبر، وإذا أدبر أعييت الحيلة فيه أن يقبل.

** قال خالد بن صفوان: احترس من العين فو الله هي أمم من اللسان.

** كان يقال: من أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك.

** كان يقال: مثلت الدنيا بطائر، فالبصرة ومصر جناحان، والشام والعراق والجزيرة وما والاها الجوف، واليمن الذنب.

** قال الحشني: لا تكرم ولا تعظم إلا من يرجى خيره، أو يخاف شره، أو يقتبس من علمه، أو من بركة دعائه.

** خطب أرسطو طاليس يوماً فأطال، وعنده شاب مطرق، فقال له: مالك لا تتكلم؟ قال: إن الله خلق الإنسان أذنين اثنتين ولساناً واحداً ليسمع أكثر مما يقول.

** من أمثال العرب: من يجمع بين الأروى والنعام! لأن الأروى لا تسهل، وإنما تسكن الجبال، والنعام يسكن السهل، ولا ترقى الجبال.

** قال أبو لييد الرياحي: سألت شيخاً لنا: أي شيء أحسن؟ قال: بيضة في روضة.

** تقول العرب: لا شيء أظل من حجر، ولا أفيأ من شجر.

** قال الشاعر:

فلا تجزعن على أيكةٍ ... أبت أن تظلك أغصانها

**كلم الحجاج امرأة من الخوارج، وهي معرصة عنه، فقيل لها: يكلمك الأمير وأنت معرصة عنه؟ فقالت: إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه.
قال عمر بن الخطاب: ما أبالي على أي حال أصبحت؟ أعلى ما أحب أم على ما أكره، لأني لا أدري فيم الخيرة، أفيما أحب أم فيما أكره. وما أبالي إذا استخرت الله في الأمر أكان أو لم يكن.

باب من منشور الحكم والأمثال منتقى من نتائج عقول الرجال

خير المقال ما صدقه الفعال.
رأس الدين صحة اليقين.
كفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم.
من الفساد إضاعة الزاد.
محض أخاك النصيحة، وإن كانت عنده قبيحة.
التجارب ليس لها غاية، والعاقل يستزيد منها إلى غير نهاية.
من بذل لك مودته، أجزل لك عطيته.
الأحمق لا يبالي ما قال، والعاقل يتعاهد المقال.
من غلب عليه العجب، ترك مشورة الرجال.
جانب مودة الحسود، وإن زعم أنه ودود.
إذا جهل عليك الأحمق، فالبس له سلاح الرفق.
من طلب إلى لئيم حاجةً، فهو كمن طلب صيد السمك في المفاوز.
مؤمل النفع من اللئيم، كزارع السمسم في الحمام.
إذا صادقت الوزير، لم تخف الأمير.
لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير.
من كان السلطان يطلبه، ضاق عليه بلده.
الزائر لمن يستثقله مذل لنفسه.
صديقي درهمي، إذا سرحته فرج همي وقضى حاجتي.
من جالس عدوه فليحترس من منطقه.
من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه.
من عرف من نفسه الكذب، لم يصدق الصادق.
كثرة الذنوب مفسدة للقلوب.
من بذل لك نصحه، فاحتمل غضبه.

من بذل لك ماله، فاصبر على ما يأتي منه.
لن يذهب من مالك ما وعظك.
من قل خيره على أهله، فلا ترج خيره.
قتل أرضا علمها، وقتلت أرض جاهلها.
الإكثار من الملامة يولد القطيعة.
صاحب الزلل موكل به الندم.
الشجاعة لمن كانت له الدولة.
لا ترسل الكسلان في حاجتك فيتكاهن عليك.
عناء في غير منفعة خسارة حاضرة.
من ألح في المسألة على غير الله، استحق الحرمان.
صحبة الفاسق شين، وصحبة الفاضل زين.
من أكثر الكلام على المائدة غش بطنه، واستثقله إخوانه.
الكريم يواسي إخوانه في دولته.
من حفظ سره ركب أمره.
من جرى في ميدان أمله، عثر في عنان أجله.
من أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك.
من لم تقدر على مكافأته، فانصح له.
من لم يصبر على البلاء، لم يرض بالقضاء.
من استهوته الخمر والنساء، أسرع إليه البلاء.
إذا احترق الفؤاد، ذهب الرقاد.
من تسلط على الناس بغير سلطان، لم يسلم منهم الهوان.
الغريب الناصح خير من القريب العاش.
من نسي إخوانه في الولاية، أسلموه في العزل والشدة.
من لم ينلك البر في حياته، لم تبك عينك على وفاته.
من لم يقنع برزقه، عذب نفسه.

من اجترأ على السلطان، تعرض للهوان.
إذا لم يواتك البازي في صيده، فانتف ريشه.
المهم ظلمة جلاؤها الفرج.
فقد الصبر، أعظم مصائب الدهر.
ساعات السرور جالبة للمحذور.
فكر في المعاد، تنس أمور العباد.
الصعود إلى السماء، أيسر من صرف القضاء.
من مدحك بما لا يعلم منك جهراً، ذمك بما لا يعلم منك سرا.
أمسك لسانك يسلم جنانك.
الحجة تدعو إلى المذهب الصحيح، والشبهة تدعو إلى المذهب الفاسد.
إن قدرت ألا تسمع أذنك سرّك فافعل؛ فإن الدهر إذا عرف لذة كدرها.
لقاء الأحبة مسلاة للهموم.
حسن التدبير مع الكفاف، خير من التبذير مع الإيسار.
أشد الأشياء تأييداً للعقل للمشاورة العلماء، والأناة في الأمور، والاعتبار بالتجارب.
وأشدّها إضراراً بالعقل الاستبداد والتهاون والعجلة.
أصعب من السلو التذلل للعدو
قليل مهناً، خير من كثير مكدر.
كلب شاكر، خير من صاحبٍ غادر.
روضة العلم أزين من روضة الرياحين.
الكتاب مفيد علم من سلف، باقٍ لمن خلف.
القلم لسان الغائب.
رب خيرٍ جديد ألد من مالٍ عتيق.
السلام وحسن البشر، ربما زرعا المودة في القلوب.
الحسود مغتاز على من لا ذنب له عنده.
المرأة العفيفة الجميلة المواتية جنة الدنيا.

موت الولد العاق والزوجة المهارشة نعمة سابعة.
في الوجوه تظهر المودات.
القلوب تجازي، وبضميرك تستدل.
من الآفات كثرة الالتفات.
ومن كلام أكثر بن صيفي: مع كل حبرة عبرة، مع كل فرحة ترحة.
لا جماعة لمن اختلف عليه.
الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والإفراط في الأنس مكسبة لقرناء السوء.
رب عجلة تعقب ريثاً.
العجز والتواني سبب الفاقة.
من مأمنه يؤتى الحذر.
اسع بجداً أو فذر.
جداك لا كدك.
ستساق إلى ما أنت لاق.
من جهل شيئاً عاداه، ومن أحب شيئاً استعبده.
ويل عالم من امرئٍ جاهل.
إن قدرت أن ترى عدوك أنك صديقه فافعل.
كم بين روعة الفراق، وفرح التلاق.
من أشد العذاب فرقه الأحباب.
احذر من وترته وإن أحسنت إليه.
سوقي نفيس، خير من قرشي خسيس.
العقل كالزجاج إن يصدع لم يرقع.
موت مريح خير من فقرٍ صريح.
خير القريض والكلام ما إذا فرغ منشدته وقائله، أحب إعادته سامعه.
إذا لم تقبل الحجة منك فالسكوت أولى بك.
من وعظه اليسير استغنى عن الكثير.

إذا جاء القدر عمى البصر.
إذا جاء الحين غطى العين.
إن غلبت على القول لم تغلب على السكوت.
في الإنصاف للعلماء زيادة، وفي الإنصاف للجهاال سلامة.
من نظر أبصر، ومن فكر اعتبر.
العيال سوس المال.
حسبك من المال ما نفعك، ومن الدين ما ورعك.
لا ينطق لسانك إلا على ما يتسع به بنانك.
من حكم فليعدل، ومن قضى فليفصل.
إذا صدق العيان لم يحتج إلى برهان.
إذا خان البرهان فرغت إلى العيان.
شفاء الصدور في التسليم للمقدور.
شدة الحاجة ربما بعثت الحيلة.
ويح ابن آدم كيف ينهي ولا يرعوي، أم كيف يأمر ولا ينتهي.
الكذب عار وربما نفع.
الحلف لؤم، وربما افتقر إليه.
العذر قبيح، وربما حسن.
البخل مذموم وربما حمد.
لا شيء تراه العين، أحلى من اجتماع إلفين.
حفظك ما في يدك خير من طلبك ما في يد غيرك.
من التواني ما يكون سبباً للحرمان.
من حلم ساد، ومن تعلم ازداد.
العجب من ورثة الموتى، كيف لا يزهدون في الدنيا؟
من أيقن بالأجر، رغب في الصبر.
الإفراط في العتاب، يدعو إلى الاجتناب.

من نَمَّ عندك، نَم بك.
من سعى إليك سعى عليك.
رب أخ لك لم تجمعك به ولادة.
لا يرتفع الرجل فوق قدره إلا لذلَّ يجده في نفسه.
مدح الغائب تعريض بالحاضر.
آخر الشر إذا شئت تعجيله.
ما أحق من غدر بألا يوفى له.
الحق أبلج، والباطل لجلج. [المختلط الذي ليس بمستقيم]
الخط صورة فأحسنها أبينها.
ذم الإنسان لنفسه في الملاء، مدح منه لها في الخلاء.
بطن جائع خير من ظلم شائع.
الثقل عذاب وبيل.
رب بزة ظاهرة، تحتها خلة باطنة.
علم الرجل، ابنه الباقي بعده.
من عالته امرأة، لم يفقد ذلاً.
شهود الزور كلاب القبور.
العيان رائد الاستحسان.
الاشتياق يذهب بالعناق.
ليس بالتحفظ في الأمور يسلم من المقدور.
من تردى بثوب السخاء غاب عن الناس عيبه.
من يفرغ للشر يطلبه، أتيح له من يغلبه.
من أمل أحداً هابه، ومن لم يدرك الشيء عابه.
لا يضر السحاب نباح الكلاب.
وقال الشاعر:

ما يضر البحر أمسى زاخراً... أن رمى فيه غلام بحجر

وقال جرير:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً ... أبشر بطول سلامة يا مربع

وقال آخر:

تهددني لتقتلني نمير ... متى قتلت نمير من هجاها

باب من نواذر الفلاسفة مختصرة

** قيل لأرسطو طاليس: ما الفلسفة؟ قال: فقر وصبر، وعفاف وكفاف، وهمة وفكرة.

** قيل لسقراط: بم فضلت أهل زمانك؟ قال: لأن غرضي في الأكل الحياة، وغرضهم في الحياة أن يأكلوا.

** قيل لسقراط: ما أتعب فلاناً بخضاب لحيته؟ فقال: لخوف المطالبة بالحكمة، ولا تطلب إلا من المشايخ.

** قال بقراط: أعظم آفة الحيوان الصامت من صمته، وأعظم آفة الحيوان الناطق من نطقه.

** قيل لجالينوس: بم فقت أصحابك في علم الطب؟ فقال: لأني أنفقت في زيت السراج لدرس الكتب مثل ما أنفقوا في شرب الخمر.

** كتب فيلسوف إلى طبيب: صناعتي أقرب الصناعات من صناعتك؛ لأنك تصلح الأبدان وأنا أصلح النفوس.

** قيل لفيلسوف: أين بلغت بك الحكمة؟ قال: إلى الوقوف على القصور عنها.

** قال أنوشروان لبُزْرَجْمَهْر: من أدبك؟ قال: قريحتي، نظرت إلى ما استحسنت من غيري فاستعملته، وما استقبحتته اجتنبته، ولقد تفقدت من كل شيء محاسنه، فأخذت من الخنزير قناعته، ومن الكلب محافظته، ومن القرد مساعدته، ومن الحمار صبره، ومن الغراب بكوره، ومن السنور لطافة المسألة عند الخوان.

** قيل لرجل من الحكماء: لمن أنت أرحم؟ قال: لعالمٍ جاز عليه حكم جاهل.

وقيل له: متى يكون البليغ عيباً، والعيُّ بليغاً؟ فقال: إذا وصف حبيباً، وإذا احتج البليغ على محبوب.

** قيل للإسكندر: رأيناك تعظم معلمك، أكثر من تعظيمك لأبيك؟ فقال: لأن أبي سبب موتي، ومعلمي سبب حياتي.

** نظر حكيم إلى قوم يرمون ولا يصيبون ويسبون الرمي، فجلس في الهدف إلى الغرض، فقبل له: جلست هناك! قال: لأني لم أر موضعاً أوقى من هذا.

** قيل لبعض الحكماء: متى أثرت فيك الحكمة؟ قال: منذ بدا لي عيب نفسي.

** رأى أفلاطون رجلاً معجباً بنفسه، فقال: وددت أن أعدائي مثلك في الحقيقة، وأنا مثلك في ظنك.

** كان رجل مصوراً فترك التصوير وتطرب، فقبل له في ذلك، فقال: الخطأ في التصوير تدركه العيون، وخطأ الطبيب تواريه القبور.

** سعى إلى الإسكندر بعض رجاله برجل من أصحابه فقال له: أتحب أن أقبل قولك فيه، على أن أقبل قوله فيك؟ قال: لا. قال: فكف إذاً عن الشر ليكف الشر عنك.

** قال الإسكندر لجلسائه: ينبغي للرجل أن يستحي من أن يأتي قبيحاً في منزله من أهله؛ وفي غير منزله ممن يلقاه.

** أتى الإسكندر يوماً جاسوس يخبره عن عسكر دارا الفارسي، وأخبره أن فيه خلقاً كثيراً، فقال له: إن الذئب وإن كان واحداً لا تهو له كثرة الغنم.

** كان في أصحاب الإسكندر رجل يسمى الإسكندر لا يزال يهزم في الحرب، فقال له: إما غيرت اسمك، وإما غيرت فعلك.

** قيل للإسكندر: قد بسط الله لك في الملك، فأكثر من النساء ليكثر ولدك ونسلك، فقال لا يصح لمن غلب الرجال أن تغلب عليه النساء.

** سأل الإسكندر رجلاً من خاصته أن يحكم بينهما، فقال: الحكم يرضي أحدهما ويسخط الآخر، فاستعملا الحق ليرضيكما جميعاً.

** وقال له أصحابه: قد بسط الله ملكك وعظم سلطانتك، فبأي الأشياء أنت أسر: بما نلت من أعدائك، أم بما بلغت من سلطانتك؟ قال: كلاهما يسير، وأعظم ما أسر به ما سنتت في الرعية من السنن الجميلة والشرائع الحسنة.

** قال الإسكندر: ينبغي للرجل إذا صافى مصافياً أن يتوقى مباشرته، ولا يسترسل إليه فيما يشينه.

** قال بعض الحكماء لتلاميذه: استعملوا الكذب عند الضرورة كما تستعملون الدواء.

** ولما مات الإسكندر قال نادبه: حركنا الإسكندر بسكونه.

** قال الموبذ يوم مات قباذ: كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس.

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى، فقال:

وكانت في حياتك لي عطات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا

** يقال: إن الإسكندر مات وكان عمره ستاً وثلاثين سنة، هذا قول الفرس ومنهم من يقول: كان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة، وفي قول الفرس: إنه ملك أربع عشرة سنة. وأن قتله لدارا كان في السنة الثالثة من ملكه، وزعم الروم أن ملكه كان ثلاثاً وعشرين سنة وأنه مات وعمره ثلاث وأربعون سنة وهم أعلم به، وزعموا أنه مات بشهرزور، وأنه حمل إلى الإسكندرية ودفن بها، وأقامت عليه النوائح شهوراً. وقيل: بل مات بالإسكندرية.

** قال بعض الحكماء: لا تغترن بحسن الكلام وطيبه إذا كان الغرض المقصود منه ضاراً؛ فإن الذين يخدعون الناس إنما يخلطون السم بالخلو من الأطعمة والأشربة، ولا يصعب عليك الكلام الغليظ، إذا كان الغرض المقصود إليه نافعاً؛ فإن أكثر الأدوية الجالبة للصحة مرة مستبشعة.

** قيل لبعض الحكماء: أي شيء أنفع الأشياء؟ قال: الاعتدال. قيل: وما الاعتدال؟ قال: هو الشيء الذي الزيادة فيه والنقص منه ضرر.

** يروى أن المسيح عليه السلام قال: أمر لا تعلم متى يغشاك، ينبغي أن تستعد له قبل أن يفجأك.

باب الرياء

** جاء رجل إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال: إني أحب الجهاد في سبيل الله، وأحب أن يرى مكاني وموضعي، وإني أتصدق وأعمل العمل وأحب أن يراه الناس. فأنزل الله عز وجل: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمِعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ) [أحمد بسند صحيح]

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ») [مسلم]

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (قَالَ اللهُ عز وجل: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ) [ابن ماجه، صحيح]

** عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ " قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عز وجل هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً) [أحمد بسند حسن]

** وفي الأدب المفرد للبخاري حَدَّثَنَا لَيْثٌ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَ: سَمِعْتُ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ يَقُولُ: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لِلشِّرْكِ فِيكُمْ أَحْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكَ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِلشِّرْكِ أَحْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟» قَالَ: (قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرَكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ). [صححه الألباني]

** روى الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، قال: إن الملك ليصعد بعمل العبد مستفتحاً به، حتى إذا انتهى إلى ربه قال: اجعلوه في سجين، إني لم أرد بهذا. قال الأوزاعي: فما ظنك بما قد خفي عن الملك.

** عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ، فَيُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ! قَالَ: (ذَلِكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ) [ابن ماجة بسند صحيح]

وفي رواية: الرَّجُلُ يَعْمَلُ مِنَ الْخَيْرِ يَحْمَدُهُ النَّاسُ؟

** قال الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
لهونا عن الأعمال حتى تتابع ... علينا ذنوب بعدهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ... ويأذن لي في توبةٍ فأتوب

باب في الشيب ومدحه

** عَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (لَا تَتَّبِعُوا الشَّيْبَ، فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ، مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَكَفَّرَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً، وَرَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً) [أحمد بسند حسن]

** وفي سنن الترمذي عن سالم بن أبي الجعد، أَنَّ شُرْحَبِيلَ بْنَ السَّمْطِ، قَالَ: يَا كَعْبُ بْنُ مُرَّةَ، حَدَّثْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاحْذَرِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [صحيح لغيره]

** قال جعفر الخواص: رأيت يحيى بن أكثم في النوم، فقلت ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه فسألني وناقشني، وقال: يا شيخ السوء! لولا شيبتك لأدخلتك النار - ردها ثلاثاً - فقلت: يا رب! ما هكذا حدثني عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري عن أنس، عن نبيك، عن جبريل، عنك. قال: وما هو؟ قلت: " حدث أنه من شاب شيبَةً في الإسلام لم تحرقه بالنار "، فقال الله عز وجل: " صدق عبد الرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهري، وصدق أنس، وصدق نبي، وصدق جبريل؟ انطلقوا به إلى الجنة ".

** وقال أبو موسى الزمن: رأيت أبا الوليد الطيالسي في النوم فقلت: يا أبا الوليد، أليس قدمت؟ قال: بلى. قلت: فما فعل الله بك. قال: غفر لي ورحمني وطيبني بيده، وقال: هكذا أفعال أبناء الخمسين والسبعين.

** وممن مدح الشيب من الشعراء الفرزدق، حيث يقول:

تفاريق شيب في السواد لوامع ... وما خير ليلٍ ليس فيه نجوم

** وروى أبو هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنَّهُ قَالَ: ("أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقْلُهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ) [ابن ماجه، حسن] قال أبو هريرة: وأنا من أقلهم، وقاله أبو سلمة ومحمد بن عمرو.

** عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَانِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» [أبو داود، حسن]

** رأى إياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته، فقال: أرى الموت يطلبني، وأراني لا أفوته، أعوذ بك يا رب من فجأة الموت. يا بني سعد! قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبتي.

باب في خضاب الشيب وشفه

** قال محمود الوراق:

إذا ما الشيب جار على الشباب ... فعاجله وغالط في الحساب
وقل لا مرحباً بك من نزيلٍ ... وعذبه بأنواع العذاب
بنتفٍ أو بقص كل يومٍ ... وأحياناً بمكروه الخضاب
وخذ للشيب أهفته وبادر ... واخل عنان رحلك للذهاب
فقد جد الرحيل وأنت ممن ... يسير على مقدمة الركاب

** ولمنصور الفقيه:

هني سترت مشيبي ... تستراً عن حبيبي
فهل أروح وأعدو ... إلا بوجه مريبٍ

** وقال آخر:

فما منك الشباب ولست منه ... إذا سألتك لحيتك الخضابا

باب جامع مختصر في الشيب والبكاء على فقد الشباب

** نظر كسرى إلى رجلين من مرابته أحدهما قد شاب رأسه قبل لحيته، والآخر قد شابت لحيته قبل رأسه، فأراد أن يعرف جواب كل واحد منهما عن حاله تلك. فقال لأحدهما: لم شاب رأسك قبل لحيتك؟ قال: لأن شعر رأسي خلق قبل شعر لحيتي، والكبير يشيب قبل الصغير. وقال للآخر: لم شابت لحيتك قبل رأسك؟ قال: لأنها أقرب إلى الصدر موضع الهم والغم.
** قال حبيب:

شاب رأسي وما رأيت مشيب ... الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد
** قيل لعبد الملك بن مروان: أسرع إليك المشيب. قال: فكيف لا أشيب وأنا أعرض عقلي على الناس في كل أسبوع - يعني الخطبة.
** روى عن ابن عباس رحمه الله، قال: شيب الناصية من الكرم، وشيب الصدغين من الروع، وشيب الشارب من الفحش، وشيب القفا من اللؤم.
** قال قيس بن عاصم: الشيب خضاب المنية.
** قال بعض الحكماء: الشيب موت الشعر.
** قال معمر بن سليمان: الشيب مراحل الموت.
** نظر بعض الأعاجم إلى شيب في رأسه أو لحيته، فجمع نساءه وقال: تعالين فاندبني إذا مات بعضي، لأبصر كيف تندبني إذا مات كلي.

باب الكبر والهرم

** قال الله تعالى: {ومن عمره نكسه في الخلق}.

** وفي صحيح البخاري عمرو بن ميمون الأودي قال: كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْغِلْمَانَ الْكِتَابَةَ، وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ ذُبُرَ الصَّلَاةِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ). فَحَدَّثْتُ بِهِ مُصْعَبًا فَصَدَّقَهُ.

** عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْمَغْرَمِ، وَالْمَأْثَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ " [أحمد بسند صحيح]

** عَنْ أَنَسِ بْنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ). قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ: (وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ) [أحمد بسند صحيح]

** وفد عمرو بن مسعود السلمي على معاوية بن أبي سفيان، وكان صديقاً لأبي سفيان، فلما مثل بين يدي معاوية عرفه، فقال له: كيف أنت وحالك؟ فقال: ما يسأل أمير المؤمنين عمن سقطت ثمرته، وذبلت بشرته، وأبيض شعره، وانحنى ظهره، وكثر منه ما يجب أن يقل، وصعب منه ما كان يجب أن يذل، وترك المطعم وكان المنعم، وهجر النساء وكن الشفاء، وقصر خطوه، وذهب لهوه، وكثر سهوه، وثقل على الأرض، وقرب بعضه من بعض، فقل إيجاشه، وكثر ارتعاشه، فنومه سبات، وهمه تارات، وأنشد شعراً حسناً في معناه، تركته لطوله.

** روى سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، قال: دخل عمرو بن حريث على أبي العريان الهيثم بن الأسود النخعي يعودوه ويزوروه، فقال: كيف تجدك يا أبا

العريان؟ قال أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين. وزاد غيره في هذا الخبر: وأجدني يسبقني من بين يدي، ويدركني من خلفي، وأنسي الحديث، وأذكر القديم، وأنعس في الملاء، وأسهر في الخلاء، وإذا قمت قربت الأرض مني، وإذا قعدت بعدت عني. ثم اتفقت الرواية:

فاسمع أنبئك بآيات الكبر
تقارب الخطو وضعف في البصر
وقلة الطعام إذا الزاد حضر
وكثرة النسيان ما بي مدكر
وقلة النوم إذا الليل اعتكر
أوله نوم وثلاثه سهر
وسعلة تعتادني مع السحر
وتركي الحسناء في حين الطهر
وحذراً أزداده إلى حذر
والناس يبلون كما يبلي الشجر

** قال معاوية بن أبي سفيان: من أخطأه سهم المنية قيده الهرم.

** مر شيخ قد انحنى بفتى شاب، فقال له: أتبيع القوس يا شيخ؟ فقال له: إن كبرت أخذتها بلا ثمن.

** قالت امرأة لرجل عهدته شاباً ثم رأته شاخاً: أين شبابك؟ قال: أودى به خصال من طال أمده، وكثر ولده، وضعف جلده، وذهب عدده.

مر أعرابي وهو شيخ كبير ببعض الغلمان، فقال له: من قيدك أيها الشيخ؟ قال: الذي هو دائب في فتل قيدك.

** قال عبد الرحمن بن أبي بكر: من طالت أيامه، كانت مصيبتته في أحبائه، ومن قصرت أيامه كانت مصيبتته في نفسه.

** سأل الحجاج رجلاً من بني ليث، قد بلغ سنّاً كبيرة، قال: كيف طعمك؟ قال: إذا أكلت ثقلت، وإذا تركت ضعفت. قال: فكيف نكاحك؟ قال: إذا بذل لي عجزت، وإذا منعت شرهت. قال: كيف نومك؟ قال أنام في المجمع، وأسهر في المضجع. قال: كيف قيامك وعودك؟ قال: إذا أردت الأرض تباعدت مني، وإذا أردت القيام لزممتني. قال: فكيف مشيتك؟ قال: تعقلني الشعرة، وأعثر بالبعرة.

** قال عبد الرحمن بن أبي بكر: من تمنى طول العمر، فليوطن نفسه على المصائب، وأقلها فقد الأحبة والقربات.

** قال لبيد:

المرء يأمل أن يعيش ... وطول عيشٍ قد يضره
تفني بشاشته ويبقى ... بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى ... لا يرى شيئاً يسره

** وقال آخر:

من عاش أخلقت الأيام جدته [عافيته] ... وخانه ثقناه السمع والبصر
** قال محمد بن نصر: كنت بأرض الطفافة، إذ سمعت امرأةً تكلم أخرى من طاقٍ إلى طاقٍ فقالت لها: ما تقولين في ابن العشرين؟ قالت ربحانة تشمين. قالت فما تقولين في ابن الثلاثين؟ قالت قرّة عين الناظرين. قالت فما تقولين في ابن الأربعين؟ قالت: قوى الظهر في ماء مكين. قالت: فما تقولين في ابن الخمسين؟ قالت: تعرفين وتنكرين. قالت: فما تقولين في ابن الستين؟ قالت: كثير السعال والأنين. قالت: فما تقولين في ابن السبعين؟ قالت: اكتبيه في الضارطين.

** ذكر ابن الأنباري، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، قال: كان العرب تقول: الرجل يزداد قوةً إلى الأربعين، فإذا بلغ الأربعين اصله إلى الستين، فإذا جاوز الستين أدبر. وقال: اصله بقي على حال واحدة.

باب الوصايا الموجزة

** عَنْ جَابِرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ)» [مسلم]

** عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءٍ أَخِيكَ) [أحمد، صحيح بشواهده]

** وفي رواية: (لَا تَخْفِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ صِلَةَ الْحَبْلِ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ شِسْعَ النَّعْلِ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءٍ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تُنْحِيَ الشَّيْءَ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ يُؤْذِيهِمْ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْطَلِقًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ فَتَسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنْ تُؤَنَسَ الْوَحْشَانَ فِي الْأَرْضِ، وَإِنْ سَبَّكَ رَجُلٌ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فِيكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ فِيهِ نَحْوَهُ، فَلَا تَسْبَهُ فَيَكُونَ أَجْرُهُ لَكَ وَوِزْرُهُ عَلَيْهِ، وَمَا سَرَّ أذُنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ، فَاعْمَلْ بِهِ، وَمَا سَاءَ أذُنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ فَاجْتَنِبْهُ) [أحمد، إسناده صحيح]

** قَالَ عَدِيُّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) [البخاري]

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَوْصَانِي حَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِثَلَاثٍ: «الْوِتْرُ قَبْلَ النَّوْمِ، وَصَلَاةُ الصُّحَى رَكَعَتَيْنِ، وَصَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ» [صحيح ابن حبان]

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنَعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحَبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسَنَ جَوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقْلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ". [سنن ابن ماجه، بسند حسن]

** عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَنْ سَأَلَكَمُ بِاللَّهِ فَأَعْطَوْهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ أَهْدَى لَكُمْ فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ، فَادْعُوا لَهُ) [مسند أحمد، صحيح لغيره]

** وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّظْلَمَ، فَإِنَّهُ هُوَ التَّظْلِمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّشَحُّحَ، فَإِنَّهُ دَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَدَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَقَطَّعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَدَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَاسْتَحَلُّوا حُرْمَاتِهِمْ). [صحيح الترمذ]

** وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» [أحمد والتِّرْمِذِيُّ، صحيح]

** عَنْ الْحَسَنِ بْنِ ذَكْوَانَ، أَنَّ دَاوُدَ -عليه السلام- قَالَ: "أَوْصَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِتِسْعِ خِصَالٍ: أَوْصَانِي بِخَشْيَتِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْإِقْتِصَادِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَنْ أُعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي، وَأَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَنْ يَكُونَ نَظْرِي عِبْرًا، وَصَمْتِي تَفَكُّرًا، وَقَوْلِي ذِكْرًا" [إصلاح المال، ابن أبي الدنيا]

** قال الأعمش:

أجدك لم تسمع وصاة محمدٍ ... نبي الهدى في حين أوصى وأشهدا

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى ... ولا قيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ألا تكون كمثلته ... وترصد للموت الذي كان أرصدا

** قال موسى بن عمران للخضر عليهما السلام: إني قد حرمت صحبتك؛

فأوصني. قال: إياك واللجاجة، والمشى في غير حاجة، والضحك من غير عجب.

** قال أبو بكر لعمر -رضي الله عنهما- في وصيته إياه: إذا جنيت جنياً فكف

يدك، أو يشبع من جنيت له. من نازعتك نفسك إلى شركتهم، فكن فيهم كأحدهم، ولا

تستأثر عليهم، وأعلم أن ذخيرة الإمام تهلك دينه وتسفك دمه.

** وأوصى أبو الدرداء رجلاً، فقال له: اعتقد لنفسك ما يدوم، واستدل بما كان على ما يكون.

** كان جندب بن عبد الله الأنصاري صديقاً لعبد الله بن عباس، فقال له حين ودعه: أوصني يا ابن عباس، فإني لا أدري أنجتمع بعدها أم لا. فقال: أوصيك يا جندب ونفسي بتوحيد الله، وإخلاص العمل لله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ فإن كل خير أتيت بعد هذه الخصال مقبول، وإلى الله مرفوع، ومن لم يكمل هذه الأعمال رد عليه ما سواها. وكن في الدنيا كالغريب المسافر، واذكر الموت، ولتهن الدنيا عليك، فكأنك قد فارقتها وصرت إلى غيرها، واحتجت إلى ما قدمت، ولم تنتفع بشيء مما خلفت.

** كتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله: أوصيك بتقوى الله، فإنه من اتقاه كفاه ووقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، فاجعل التقوى عماد بصرك، ونور قلبك، واعلم أنه لا عمل لمن لا نية له، ولا جديد لمن لا خلق له، ولا إيمان لمن لا أمانة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا أجر لمن لا حسنة له.

** كان علي بن أبي طالب إذا أراد أن يستعمل رجلاً دعاه فأوصاه، وقال: عليك بتقوى الله الذي لا بد من لقائه، ولا تنتهي لك دونه، فإنه يملك الدنيا والآخرة، وعليك فيما أمرك به بما يقربك من الله، فإن ما عنده خلف من الدنيا.

** دخل عثمان بن عفان على العباس بن عبد المطلب في مرضه الذي مات فيه، فقال: أوصني. قال: أوصيك بالصدق؛ فإنه يعرف في ثلاث: في حفظ اللسان، وترك المصانعة، واستواء السر والعلانية.

** أوصى أعرابي ابنه فقال: يا بني؟ اغتنم مسالمة من لا يدان لك بمحاربتك، وليكن هربك من السلطان إلى الوحش في الفياض وأطراف البلدان، حيث تأمن سعاية الساعي، وطمع الطامع منك، ولا تغرنك بشاشة امرئٍ حتى تعلم ما وراءها؛ فإن دفاثن الناس في صدورهم، وخذعهم في وجوههم، ولتكن شكاتك الدهر، إلى رب الدهر، واعلم أن الله إذا أراد بك خيراً أو شراً أمضاه فيك على ما أحب العباد أو كرهوا، وأرح نفسك من التعب بقبول القليل والقال، فإن كلمة السوء حبة القلب، كما أن الحنطة حبة الأرض،

إذا أصابها الماء نبتت، وكذلك الكلمة السوء إذا زرعت في صدرك نبتت منها الضغائن والبغضاء والعداوة.

** قال شبيب بن شيبه: قال لي أبو جعفر المنصور - وكنت من سماره - عطني وأوجز. قال: فقلت يا أمير المؤمنين! إن الله لم يجعل فوقك أحداً من خلقه؛ فلا ترض من نفسك بأن يكون عبد هو أشكر منك. قال: والله لقد أوجزت وما قصرت. قلت: والله لئن كنت قصرت فما بلغت كنه النعمة فيك.

** قال سعد بن أبي وقاص لسلمان: أوصني. فقال له: اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند لسانك إذا تكلمت، وعند حكمتك إذا حكمت، وعند يدك إذا بطشت. ** دخل محمد بن علي بن حسين على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: أوصني. فقال: أوصيك أن تتخذ صغار المسلمين ولداً، وأوسطهم أخاً، وأكبرهم أباً، فارحم ولدك، وصل أخاك، وبر أباك.

** أوصى رجل ابنه، فقال: أوصيك يا بني بتقوى الله عز وجل؛ فإنه جنب أولياء الله محارمه، وألزم قلبك طاعته، فكذب الأمل، ولا حظ الأجل.

** لما التقى هرم بن حيان بأويس القرني، كان فيما أوصاه ووعظه به أن قال: يا هرم! توسد الموت إذا بت، واجعله أمامك إذا قمت، ولا تنظر إلى صغر ذنبك، ولكن انظر من عصيت، ومن عظم أمر الله فقد عظم الله. يا هرم! ادع الله أن يصلح لك قلبك ونيتك، فإنك لم تعالج شيئاً هو أشد عليك منهما، بينما قلبك مقبل إذ أدبر، فاغتنم إقباله قبل إدباره.

** قال وبرة: أوصاني عبد الله بن عباس بكلماتٍ هي أحب إلي من الدهم الموقفة في سبيل الله. قال: إياك والكلام فيما لا يعينك، فإنه إثم ولا آمن عليك فيه الوزر، وإياك والكلام فيما يعينك في غير موضعه، فرب مسلم تقي تكلم بما يعنيه في غير موضعه فعنت. ولا تمار سفيهاً ولا فقيهاً. فأما السفية فيوذيك، وأما الفقيه فيغلبك، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن تذكر به، واعمل عمل رجلٍ يعلم أنه مكافأ بالإحسان، مجازيٍ بالإجرام.

** أوصى صالح بن علي بن عبد الله بن عباس أمير سرية أمت، فقال: تاجر الله بعباده، فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحاً تجر، وإلا احتفظ برأس المال، لا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة، وكن من احتيالك على عدوك، أشد حذراً من احتيال عدوك عليك.

** كان المهلب بن أبي صفرة يقول لبيته: إياكم أن تروا في الأسواق: فإن كنتم لا بد فاعلين، ففي سوق الدواب والسلاح، فإنها من صناعة الفرسان.

** قال زياد بن ظبيان لابنه عبد الله وهو يجود بنفسه: ألا أوصى بك الأمير؟ قال: إذا لم تكن للحي إلا وصية الميت، فالحي هو الميت أخذه الشاعر فقال:

إذا ما الحي عاش بعظم ميتٍ ... فذاك العظم حي وهو ميت

** قال نافع بن خليفة العبدي: جمعنا أبونا فقال: يا بني! اتقوا الله بتقاته، واتقوا السلطان بحقه، واتقوا الناس بالمعروف. فقام وقد جمع لنا أمر الدنيا والآخرة.

** قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه وهو خليفة، كيف كانت طاعتي لك؟ قال: ما كان أطوعك! فقال: فقد وجبت طاعتي عليك، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك، ومن قميصك حتى يبدو كعبك.

** أوصى رجل بنيه فقال: يا بني! عليكم بالنسك، فإنه إذا ابتلى أحدكم بالبخل.. قيل: مقتصد لا يرى الإسراف، وإن ابتلى بالعي، قيل: يكره الكلام فيما لا يعينه، وإن ابتلى بالجبن، قيل: لا يقدم على شبهة.

** قال محمد بن علي لابنه: أد النوائب ولا تتعرض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى ما مضرته عليك أكثر من منفعته.

** قال معاوية بن أبي سفيان لسفيان بن عوف الأزدي: كل قليلاً، تعمل طويلاً، والزم العفاف تسلّم من القول، واجتنب الرياء يشتد ظهرك عند الخصوم.

** قال يوسف بن أسباط: أتيت سفيان الثوري رحمه الله، فقلت: يا أبا عبد الله! أوصني. قال: أقلل من معرفة الناس. قلت: زدني يرحمك الله، قال: أنكر من عرفت. قلت: زدني يرحمك الله. قال:

ابلُ الرجال إذا أردت إخاءهم ... وتوسمن أمورهم وتفقد

وإذا ظفرت بذي الأمانة والتقى ... فبه اليدين قير عين فاشدد

** قال عبد الملك بن مروان لمؤدب بنيه: إنه -والله- ما يخفى علي ما تعلمهم وتلقيه إليهم، فاحفظ عني ما أوصيك به: علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وعلمهم الشعر يسمحوا ويمجدوا وينجدوا، وجنبهم شعر عروة بن الورد، فإنه يحمل على البخل، وأطعمهم اللحم يقووا ويشجعوا، وجز شعورهم تغلظ رقابهم، وجالس بهم أشرف الناس وأهل العلم منهم، فإنهم أحسن الناس أدباً وهدياً، ومرهم فليستاكوا، وليمصوا الماء مصاً، ولا يعبوه عباً، ووقرهم في العلانية، وأدبهم في السر، واضربهم على الكذب كما تضربهم على القرآن، فإن الكذب يدعو إلى الفجور، والفجور يدعو إلى النار، وجنبهم شتم أعراض الرجال، فإن الحر لا يجد من شتم عرضه عوضاً، وإذا ولوا أمراً فامنعهم من ضرب الأبخار؛ فإنه على صاحبه عار باق ووتر مطلوب، واحثثهم على صلة الرحم. واعلم أن الأدب أولى بالغلام من النسب.

** كان يقال: صن عقلك بالحلم، ودينك بالعلم، ومروءتك بالعفاف، وجمالك بترك الخيلاء، ووجهك بالإجمال في الطلب.

** أوصى معروف الكرخي رجلاً فقال: توكل على الله حتى يكون أنسك وموضع شكواك، واجعل ذكر الموت جليسك، واعلم أن الفرج من كل بلاء كتمانته، فإن الناس لن يعطوك ولن يمنعوك، ولن ينفعوك، ولن يضروك إلا بما شاء الله لك، وقضاه عليك.

** أوصى بعض الأكاسرة رجلاً وجهه أميراً، فكان فيما قال: واعلم أنه ليس من العدو أحد مكالبة ولا أصدق مخالبة من مستنصرٍ في ملة، أو غيران على حرمة، أو ممتعضٍ من ذلة.

** ومن قضاياهم: اخلع سربال الاتكال، وتنكب عثرات الاسترسال، وتدرع جلباب الاجتهاد، وتحرز من نكبات الانقياد.

** قال الشاعر:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه العزيزة فلته

** وقال منصور الفقيه:

خذ من زمانك ما صفا ... ودع الذي فيه الكدر
فالعمر أقصر من معاتبة ... الزمان على الغير

باب لَمَعَ مِنَ الدَّعَاءِ

** عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِنَّ الدَّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ » ثُمَّ قَرَأَ : { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [غافر: ٦٠] " [ابن ماجة وصححه الألباني]

** عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَدْعُو بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ) ثُمَّ يَقُولُ : "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَوْلَاءِ الْأَرْبَعِ" [سنن النسائي بسند صحيح]

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ) [أحمد، صحيح]

** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدَّعَاءِ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى) [أحمد، صحيح]

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ. [البخاري]

ودعاؤه صلى الله عليه وسلم كثير قد جمعه جماعة من العلماء.

** عَنْ خَدِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ : أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي إِذْ سَمِعْتُ مُتَكَلِّمًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، إِلَيْكَ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، فَأَهْلًا أَنْ تُحْمَدَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِي، وَأَعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي، وَارْزُقْنِي عَمَلًا زَاكِيًا تَرْضَى بِهِ عَنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ذَاكَ مَلَكٌ أَتَاكَ يُعَلِّمُكَ تَحْمِيدَ رَبِّكَ) [أحمد بسند ضعيف]

** كان رجل مظلوم في سجن الحجاج مغموماً، فأثاه آتٍ، فقال له: ادع الله. قال: وبم أَدعو؟ قال: يا من لا يعلم كيف هو إلا هو، ولا يعلم قدرته إلا هو، فرج عني ما أنا فيه. فقالها فأطلق الله سبيله.

** ومن الدعاء الحسن المرجوة إجابته: يا من لا يشغله شيء عن سماع الدعاء، يا فعال لما يشاء، يا من لا يغالطه السائلون، ولا يبرمه الملحون، اغفر لي وارحمي، يا من لا يغفر الذنوب غيره.

** ومثله: يا سامع كل صوت، ويا بارئ النفوس بعد الموت، ويا من لا تغيبه الظلمات، ولا تشتبه عليه الأصوات، يا عظيم الشأن، يا واضح البرهان، يا شديد السلطان، يا من هو كل يوم في شأن، اغفر لي ذنوبي. وادع بهذا الدعاء فيما شئت: من دين أو دنيا، يستجب لك إن شاء الله تعالى.

** ومثله من الدعاء: يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا قريب الرحمة، يا ذا الجلال والإكرام، هب لي العافية في الدنيا والآخرة.

** ومن الدعاء الحسن: اللهم فرغني لما خلقتني له، ولا تشغلي بما قد تكفلت لي به، ولا تحرمي وأنا أسألك، ولا تعذبي وأنا أستغفرك.

** قال أعرابي في دعائه: تظاهرت يا رب علي منك النعم، وتكاثفت مني عندك الذنوب، فأحمدك على النعم التي لا يحصيها أحد غيرك، وأستغفرك من الذنوب التي لا يحيط بها إلا عفوك.

** قال سفيان، قال مسعر: كنا إذا لقينا طلق بن حبيب، لا نكاد نفترق حتى يقول: اللهم أبرم للمسلمين أمراً رشداً، يعز فيه وليك، ويذل فيه عدوك، ويعمل فيه بطاعتك، ويتناهى فيه عن سخطك.

** ومن دعاء بعض الأعراب: اللهم إني أعوذ بك من شهادة الزور، وركوب الفجور، وعذاب القبور، ومنكر ونكير.

** كان من دعاء شريح: اللهم إني أسألك الجنة بلا عملٍ عملته، وأعوذ بك من النار بلا ذنب ركبته.

** سأل أعرابي رجلاً فأعطاه، فقال: جعل الله المعروف عليك دليلاً، والخير شاهداً، ولا جعل حظ السائل منك عذراً صادقاً.

** من دعاء معروف الكرخي: اللهم اجعلنا ممن يؤمن بلقائك، ويرضى بقضائك، ويقنع بعطاياك، ويخشاك حق خشيتك.

** كان عمر بن هبيرة أمير العراق يدعو فيقول: اللهم إني أعوذ بك من صديق يطري، وجليس يغدي، وعدو يسري.

** دعا أعرابي لرجل فقال: جنبك الله الأمرين، وكفأك شر الأجوفين.

الأمران: الجوع والعري، والأجوفان: الفم والفرج.

** دعا أعرابي فقال: اللهم أمسك قلبي عن كل شيء لا أتزود به إليك ولا أنتفع

به يوم ألقاك.

** دعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك من الذل إلا لك، ومن الفقر إلا إليك.

** دعا أعرابي فقال: اللهم اجعل رزقي رغداً، ولا تشمت بي أحداً.

** دعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك من السلطان والسيطان والإنسان.

** دعا علي بن أبي طالب يوماً فقال: يا خير من رفعت إليه الأيدي، وسمت إليه

الأبصار، وتحاكم إليه العباد، نشكو إليك فقد نبينا، واختلافنا بيننا.

** وقف شيخ أعرابي عند باب الكعبة، فقال: يا رب! سائلك عند بابك، مضت

أيامه، وبقيت آثامه، وانقطعت شهوته، وبقيت تبعته، فارض عنه يا رب، وإن لم ترض

عنه فاعف عنه، فقد يعفو السيد عن عبده وهو عنه غير راضٍ، اللهم إنك أمرتنا أن

نعفو عن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا، اللهم هب لي حقلك، وأرض عني

خقلك.

** وقف محمد بن سليمان عند قبر أبيه، فقال: اللهم إني أرجوك له، وأخافك

عليه، فحقق رجائي له، وآمن خوفاً عليه.

** قال سعيد بن المسيب لصلة بن أشيم: ادع الله لي. فقال: رغبتك الله فيما يبقى،

وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعول في

الدين إلا عليه.

** وقف أعرابي بالموسم فقال: اللهم إن لك حقوقاً فتصدق بها علي، وللناس عندي تبعات فتحملها عني، وقد أوجبت لكل ضيفٍ قري، وأنا ضيفك، فاجعل قرابي في هذه الليلة الجنة.

** قال الأصمعي: سمعت أعرابية تقول في دعائها: يا من ليس له رب يدعى، ويا من ليس فوقه خالق يخشى، ويا من ليس دونه إله يبقى، ويا من ليس له وزير يؤتى، ويا من ليس له صاحب يرشى، ولا بواب ينادي، ويا من لا يزداد على كثرة السؤال إلا كرمًا وجوداً، وعلى كثرة الذنوب إلا رحمة وعفوًا.

** قال العتبي: سمعت أعرابياً وهو يدعو في الصلاة ويقول: اللهم ارزقني عمل الخائفين، وخوف العاملين، وحتى أنعم بترك النعيم طمعاً فيما وعدت، وخوفاً مما أوعدت. هنا رجل رجلاً بولاية فقال: إن النعم ثلاث، فنعمة هي في حال كونها، ونعمة ترجى مستقبلة، ونعمة تأتي غير محتسبة، فأبقى الله لك ما أنت فيه، وحقق طمعك فيما ترجوه، وتفضل عليك بما لم تحتسبه.

ويروى عن الأحنف، أنه كتب بذلك إلى صديق له.

** دعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك من حلول النقم، وزوال النعم، وتحول العافية، اللهم هب لي بنين أتقوى بهم على عشيرتي، ومالاً أرغم به حسادي، واجعلني ملياً من العقل والدين، يا أرحم الراحمين.

** أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام: هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع، وادعني فإني قريب مجيب.

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» [الترمذي وحسنه الألباني]

** كان يقال: إنما يستجاب لمخلص أو مظلوم.

** ولامرئ القيس بن عانس الكندي:

الله أنحج ما طلبت به ... والبر خير حقيبة الرجل

** ذكر الحميدي، عن سفيان، قال: سمعت أعرابياً يقول عند مقام إبراهيم عليه السلام: اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي، اللهم إن كنت لا تقبل تعبي ولا نصبي، فأعطني أجر المصاب على مصيبتة. اللهم إن لك عندي حقوقاً فلتهبها لي، وللناس على تبعات، فأسألك أن تحملها لهم، وقد أوجبت لكل ضيف قري، وأنا ضيفك، فاجعل قراري في هذه العشية الجنة.

** قال سفيان بن عيينة: وسمعت أعرابياً يقول في الموقف: اللهم إن ذنوبي لن تضرك، ورحمتك إياي لن تنقصك، فلا تمنعني مالا ينقصك، واغفر لي مالا يضرك.
** قال: وسمعت إعرابياً في الموقف جاثياً على ركبتيه يقول: يا رب! عجت إليك الأصوات بأنواع اللغات لطلب الحاجات، وحاجتي أن تذكرني بعد طول البلاء إذ نسيني أهل الأرض.

** قيل لعلي: كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة. قيل: فكم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس. من قال غير هذا فقد كذب.
** سألت هند بنت النعمان سعيد بن العاص حاجةً فقضاها، فدعت له فقالت: لا أزال الله عنك نعمةً، ولا أحوجك إلى لئام الناس عند حاجة، وإذا زالت عن كريم نعمة يجعلك الله سبباً لردّها عليه.

** ودعا رجل لرجل فقال: لا جعلك الله آخراً تتكل على أول.
** كان يقال: أربعة لا ترد لهم دعوة: الصائم حتى يفطر، والذاكر حتى يفتر، والإمام العدل، ودعوة المظلوم.

** دعاء لي: اللهم اجعلني مكثراً لذكرك، مؤدياً لحقك، حافظاً لأمرك، راجياً لوعدك، راضياً في كل حالاتي عنك، راغباً في كل أموري إليك، مؤملاً لفضلك، شاكراً لنعمك، يا من تحب العفو والإحسان وتأمّر بهما، اعف عني وأحسن إلي، فإنك بالذي أنت له أهل من عفوك، أحق مني بالذي أنا له أهل من عقوبتك، اللهم ثبت رجاءك في قلبي، واقطعه عن سواك حتى لا أرجو غيرك، ولا أستعين إلا إياك.

** ودعاء لي أيضاً: اللهم هب لي اليقين والعافية، وإخلاص التوكل عليك، والاستغناء عن خلقك، واجعل خير عملي ما قارب أجلي، رب! ظلمت نفسي فاغفر لي يا خير الغافرين، ويا أرحم الراحمين.

** أمر المنصور أبو جعفر بأشخاص سوار بن عبد الله القاضي إليه من البصرة بعد قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فلما قدم عليه قال له: يا سوار! ضربني أهل البصرة بمائة ألف سيف من غير جناية، لأفعلن بهم ولأفعلن. فقال له سوار: يا أمير المؤمنين! إن لأهل البصرة سلاحاً لا تطيقه. قال: أبسلاحهم تخوفني لا أم لك. قال: يا أمير المؤمنين: إنه دعاء بالأسحار.

** كان يقال: عليكم بالدعاء في أوقات الصلوات، فإنها اختيرت في أفضل الأوقات.

** والمنصور الفقيه أو الشافعي:

يا سميع الدعاء كن عند ظني ... واكفني من كفيته الشر مني
وأعني على رضاك وخر لي ... في أموري، وعافني واعف عني

باب ذكر الدنيا

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» [مسلم]

** عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» [ابن ماجه وصححه الألباني]

** وفي البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِمَّنْ كُنِيَ فَقَالَ: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَابِرٌ سَبِيلٍ). وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.

** وَعَنْ الْمُسْتَوْرِدِ أَخِي بَنِي فَهْرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
(مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمِثْلِ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ) وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ [أحمد بسند صحيح]

** وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا صَلَاةَ الْعَصْرِ ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَلَمْ يَدْعُ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا أَخْبَرَنَا بِهِ حَفْظَهُ مِنْ حَفْظِهِ وَنَسِيَهُ مِنْ نَسِيهِ وَكَانَ فِيمَا قَالَ: (إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ) وَكَانَ فِيمَا قَالَ: (أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةَ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ) [صحيح الترغيب والترهيب]

** ذكر المبرد أن علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- سئل عن الدنيا والآخرة، فقال: هما كالمشرق والمغرب، بقدر ما تقرب من أحدهما تبعد عن الآخر.

** وروى عبد خير عن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، وإن

أحسنت حمدت الله عز وجل، وإن أسأت استغفرت، ولا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبته، ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل عمل مع تقوى الله وكيف يقل ما يتقبل.

** وفي مسند أحمد بسند صحيح عن الزُّهْرِيِّ، سَمِعَ عُرْوَةَ وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولَانِ: سَمِعْنَا حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ يَقُولُ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصِرَةٌ خُلُوءٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى).

** وروى عنه -عليه السلام- أنه قال: (حب الدنيا رأس كل خطيئة) [مرسل]. وروى أن ذلك من كلام المسيح عليه السلام.

** قال الأصمعي: ذكر لنا أن أنوشروان لما ضرب عنق بُزْرَجْمَهْر، وجد في منطقته كتاباً لطيفاً فيه ثلاث كلمات: إن كان القدر حقاً فالحرص باطل، وإن كان الغدر في الناس طباعاً فالثقة بكل أحدٍ عجز، وإن كان الموت لكل أحدٍ راصداً، فالطمأنينة إلى الدنيا حمق.

** ووعظ أعرابي ابنه، فقال: يا بني! إن الدنيا تسعى على من يسعى لها، فالهرب قبل العطب.

** قال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها، ودار نجاةٍ لمن فهم عنها، ودار غنىٍ لمن تزود منها، مهبط وحي الله، ومصلى ملائكته، ومساجد أنبيائه، ومتاجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها، وقد أذنت بينها، ونادت بفراقها، فيا أيها الذام لها، بم خدعتك الدنيا؟ أم بماذا استذمت إليك؟ أم بصراع أمهاتك في الثرى؟ أم بمضاجع آبائك للبلَى، لقد تطلب علينا الشفاء، واستوصف الأطباء حين لا يغني عنه دواؤه، ولا ينفعه بكاؤه.

** قيل لنوح عليه السلام حين حضرته الوفاة -: يا نبي الله! لقد بلغت من العمر ما بلغت، فصف لنا الدنيا. فقال: ما وجدت الدنيا مع طول عمري فيها إلا كبيتٍ له بابان، دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر.

** قال المسيح عليه السلام: حلو الدنيا مر الآخرة، ومر الدنيا حلو الآخرة، ومن حزن على دنياه سخط على الله.

** وعن المسيح عليه السلام أنه قال: الدنيا لإبليس مزرعة، وأهلها لها حراث.

** كان يقال: مثل صاحب الدنيا كخائض الماء، هل يستطيع ألا تبتل قدماه.

** قال عمر بن الخطاب: يا معشر القراء! لا تلقوا كلكم على إخوانكم، ولا تدعوا دنياكم لآخرتكم، ولا آخرتكم لدنياكم، واستعينوا بهذه على هذه.

** قال علي بن أبي طالب: الدنيا دار ممر إلى دار قرار، والناس فيها رجلان: رجل باع نفسه فأوبقها، ورجل ابتاعها فأعتقها.

** وعن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: إن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب، وقد يجمعهما الله لأقوام. وقد روى هذا الكلام مرفوعاً عن النبي عليه السلام.

** أكثر قوم من ذم الدنيا عند رابعة القيسية، فقال: من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

** وقال سفيان الثوري: من أحب الدنيا وسرته، نزع خوف الآخرة من قلبه.

** قال أبو الدرداء: من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصي إلا فيها، ولا ينال ما عند إلا بتركها.

** قال حذيفة بن اليمان: ليس خياركم الذين تركوا الدنيا للآخرة، ولا الذين تركوا الآخرة للدنيا، ولكن خياركم الذين أخذوا من هذه وهذه.

** قال الشاعر:

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فمهما زوت عنه فليس بضائر

فما تعدل الدنيا جناح بعوضة ... لدى الله أو مقدار زغبة طائر

فما رضى الدنيا ثواباً لمؤمن ... ولا رضى الدنيا عقاباً لكافر

** قال ابن مسعود: الدنيا كلها غموم، فما كان منها سرور فهو ربح.

** وقال الشاعر:

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ... فسوف لعمرى عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرةً ... وإن أقبلت كانت قليلاً نعيمها
** قال بعض الحكماء: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها.
** قال الخليل بن أحمد: الدنيا أمد، والآخرة أمد.
** وصف الحسن البصري الدنيا، فقال: أما اليوم فعمل، وأما أمس فأجل، وأما
غد فأمل.

** كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يتمثل:
ولا خير في عيش امرئ لم يكن له ... من الله في دار الحياة نصيب
فإن تعجب الدنيا أناساً فإنها ... متاع قليل والزوال قريب
** قال ابن الحنفية: من كرمته عليه نفسه، هانت عليه الدنيا.
** وقال آخر:

يذمون دنياهم وهم يجلبونها ... ولم أر كالدنيا تدم وتحلب
** وقال سعيد بن حميد:

ولم أر كالدنيا تدم صروفها ... ونوسعها شتماً ونحن عبيدها
** قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - في خطبة له: أيها الناس! إنما الدنيا
أجل محترم، وأمل منتقص، وبلاغ إلى دارٍ غيرها، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج، فرحم
الله من فكر في أمره، ونصح لنفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه. أيها الناس! قد علمتم
أن أباكم أخرج من الجنة بذنبٍ واحد، وأن ربكم وعد على التوبة خيراً، فليكن أحدكم
من ذنبه على وجل، ومن ربه على أمل.

** قال بعض الحكماء. إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر.
** قال أبو حفص عمر بن علي الفلاس: كتبت إلى صديق لي أشاوره في شيء من
أمر الدنيا، فكتب إلى رقعة فيها سطران، أحدهما: بسم الله الرحمن الرحيم، والآخر:
اطلب الدنيا على قدر مكثك فيها، واطلب الآخرة على قدر حاجتك إليها.
** كان صالح المري يتمثل:

مؤمل دنيا لتبقى له ... فمات المؤمل قبل الأمل
وبات يروي أصول الفسيل ... فعاش الفسيل ومات الرجل

** وقال آخر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبدٍ آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

** قيل لراهب: كيف سخت نفسك بالخروج عن الدنيا؟ قال: أيقنت أني خارجها منها كارهاً، فأحببت أن أخرج منها طائعاً.

** قال بُزْرَجْمُهر: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحداً ما يستحق، إما زادته وإما نقصته.

** لما قدم سعد بن أبي وقاص القادسية أميراً عليها من عند عمر بن الخطاب أثنه حرقه بنت النعمان بن المنذر في خدمها ووصائفها، فلما وقفن بين يديه قال: أيكن حرقه بنت النعمان؟ قالت: هأنأذه، فما أردت بتكرارك الاستفهام، إن الدنيا دار زوال لا تدوم لأهلها على حال، تنتقل بهم انتقال الظلال، وتعقبهم حالاً بعد حال، إنا كنا ملوك هذا المصر قبلك، يجي إلينا خراجة ويطيعنا أهله مدة من الدهر، فلما أدبر عنا الأمر صاح بنا صائح الأيام، فصدع شملنا، وشتت ملأنا، وكذلك الدهر يا سعد، فلا تغتر بحال الدنيا، فإنها زائلة عنك كما زالت إليك. ثم سألته حوائجها فقضاها، فدعت: لا أزال الله عنك نعمة أتمها عليك.

** كتب أبي بن كعب إلى أخ له: أما بعد، فإن الدنيا دار فناء، ومنزل قطيعة، رغب عنها السعداء، وانتزعت من أيدي الأشقياء، فغناها فقر، والعلم بها جهل.

** كان يقال: الدنيا والآخرة ضربتان، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى.

** كان يقال: مثل الذي يريد أن تجتمع له الدنيا والآخرة، مثل عبدٍ له ربان فلا يدري أيهما يطيع.

** حج سليمان بن عبد الملك فلما أشرف في انصرفه على قديد، نظر من عسكره فأعجبه ما رأى من كثرته، ومعه عمر بن عبد العزيز، فقال له: كيف ترى يا أبا حفص؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين دنيا تأكل بعضها، أنت المبتلي بها والمسؤول عنها.

** وروى عن أبي بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أو عن علي بن أبي طالب -
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: الدنيا دول، ليس إلى أحد دون الله إدالتها، فما كان منها لأحد
أتاه على ضعفه، وما كان منها على أحد لم يدفعه بقوته.

** قال أبو حازم: وجدت الدنيا شيئين: شيئاً لي وشيئاً لغيري، فما كان لي منها لم
ينله غيري، ولو رامه بحيلة السماوات والأرض، ففيم العناء والغم والتعب.

** ذكرت الدنيا لأبي حازم فقال أبو حازم: الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر
على مهارشة الكلاب.

** قال أبو حازم: تكدرت الدنيا وتعذرت، ما تمد يدك إلى شيءٍ منها إلا وجدت
فاسقاً قد سبقك إليه.

** كان سفيان الثوري يقول: الدنيا داء التواءٍ لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل
فرح، من عرفها لم يفرح برخائها، ولم يحزن لشقائها.

** قال وهيب بن الورد: من أراد الدنيا فليتهيأ للذل.

** سمع المسعودي رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون فيما عند الله.
قال: اقلب المعنى وضع يدك على من شئت.

** وأشعار أبي العتاهية في ذم الدنيا كثيرة جداً، وقد جمعها شعراً على حروف
العجم مما قاله في المواعظ والحكم.

** وقال آخر:

ما أعجب الدهر في تصرفه ... والدهر لا تنقضي عجائبه

كم رأينا للدهر من أسدٍ ... بالت على رأسه ثعالبه

** وقال آخر:

تقنع بالذي قاتك ... ولا تأس لما فاتك

ولا تغتر بالدنيا ... أما تذكر أمواتك

** قيل لعامر بن عبد قيس: لقد رضيت من الدنيا باليسير. قال: أخبرك بمن رضى
بدون ما رضيت. قيل: من؟ قال: من رضى بالدنيا حظاً عن الآخرة.

** قال المأمون: لو سئلت الدنيا عن نفسها ما زادت في وصفها عن وصف أبي نواس حيث يقول:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

** قال نبطويه: يروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال، قرصاً أو تمثلاً:

ولا خير في عيشٍ إذا لم يكن له ... من الله في يوم الحساب نصيب

** قال الحسن البصري، لست أعجب ممن هلك كيف هلك، إنما أعجب ممن نجا

كيف ونجا، شيطان يريد يحرس منه السماء، ونفس أمارة بالسوء، ودنيا مزينة.

** قال عبد الله بن الأرقم لعمر بن الخطاب: قد اجتمع عندي في بيت المال حلي

كثير ومناطق من أموال فارس أفلا تقسمه؟ قال: بلى، فأتني به، فنقلته إليه في القفاف،

فلما نظر إليه رأى شيئاً عجباً، فقال: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نحب ما حبيت إلينا، ثم

تلا هذه الآية: {زين للناس حب الشهوات من النساء}. الآية. ثم قال: اللهم قني شره،

وارزقني أن أنفقه في حقه.

** قال يحيى بن خالد بن برمك: دخلنا في الدنيا دخولاً أخرجنا عنها.

** قال رجل لداود الطائي: عظمي. فقال له: أرض من الدنيا إذا سلم لك دينك

بما رضى به أهل الدنيا من الآخرة حين سلمت لهم دنياهم، وأنشد في ذلك شعراً، ذكر

أن سليمان الأعمش تمثل به:

أرى رجالاً بدون الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما اس ... تغنى الملوك بدنياهم عن الدين

باب الزهد والقناعة

** روى أحمد بسند حسن عن أبي الدرداء قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى، وَلَا آبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا مَالًا تَلْفًا).

** عَنْ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي، وَأَفْضَلُ الدِّكْرِ الْحَقِيُّ» [جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ولم أقف على تخرجه]
** وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ) [صحيح الجامع]

** قال علي بن أبي طالب: الزاهدون في الدنيا قوم وعظوا فاتعظوا، وأيقنوا فعملوا، إن نالهم يسر شكروا، وإن نالهم عسر صبروا.
** قَالَ السَّقَطِيُّ: وَقَالَ لِي بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ، سَمِعْتُ الْمُعَاذِيَّ بْنَ عِمْرَانَ يَقُولُ: "عِزُّ الْمُؤْمِنِ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ، وَشَرَفُهُ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ"
** قال سعيد بن المسيب: من استغنى بالله افتقر الناس إليه.

** قال الحطيئة:

استغن عن كل ذي قربي وذي رحم ... إن الغنى من استغنى عن الناس

** قال أوس بن حارثة لابنه: يا بني! خير الغنى القناعة، وشر الفقر الخضوع.

** قال الحسن وعكرمة في قول الله عز وجل: {فلنحيينه حياة طيبة}، قالوا:

القناعة.

** أبلغ شيءٍ جاء في القناعة، قول علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: لا تحمل قوت غدك الذي لم يأت، على يومك الذي قد أتى، فإنه إن يكن من أيام حياتك جاءك وفيه رزقك، وأعلم أنك لم تدخر أكثر من قوت يومك إلا كنت فيه خازناً لغيرك.

** قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين! بحق ما أقول لكم: ما زهد في الدنيا من جزع على المصيبة فيها.

** وقيل له: يا روح الله! لو اتخذت حماراً تركبه؟ قال: أنا أعز على الله من أن يجعل لي شيئاً يشغلني به.

** قال أكنم بن صيفي: من لم يأس على ما فاتته أراح نفسه.

** سئل ابن شهاب عن الزهد في الدنيا، فقال: الزهد ألا يغلب الحرام صبرك، ولا الحلال شكرك.

** قال مالك بن أنس، وسفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل.

** قال بعض الحكماء: إذا كان سعيك إنما هو لطلب الراحة في الدنيا، ثم سعيت لأكثر مما يكفيك لم تزد من الراحة والدعة إلا بعداً.

** قال سفيان أو إبراهيم بن أدهم: الزهد زهدان؛ فزهد فرض، وزهد فضل. فالزهد في الحرام فرض، والزهد في الحلال فضل. والورع ورعان، فالورع عن المعاصي فرض، والورع عن الشبهات حذر وفضل.

** سئل الخليل بن أحمد عن الزهد في الدنيا، فقال: الزهد ألا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود.

** قال إبراهيم بن أدهم: إذا بات الملوك على اختيارهم لأنفسهم، فبت على اختيار الله لك وارض به.

** أصيب مكتوباً على صخرة: لست مدركاً أملك، ولا فائتاً أجلك، ولا آخذاً ما ليس لك.

** وفي موضع آخر: القضاء غالب، والأجل طالب، والمقدور كائن، والهـم فضل.

** قال بعض الحكماء: القفاعة. ثوب لا يبلى، وهي شعار الأنبياء.

** ولا بن المبارك:

لله در القنوع من خلقٍ ... كم من وضيعٍ به قد ارتفعا
يضيق صدر الفتى بحاجته ... ومن تأسى بدونه اتسعا

** قال بعض الحكماء لبنيه: يا بني! أظهروا الزهد والنسك، فإن رأى الناس
أحدكم بخيلاً قالوا: مقتصد لا يحب الإسراف، وإن رأوه عيباً قالوا: يكره الكلام فيما لا
يعنيه، ويؤثر الصمت خير من مقال يريده، وإن رأوه جباناً قالوا: لا يقدم على
الشبهات.

** قال العتيبي، كان يقال: من عدم القناعة، لم تزده الثروة إلا عناءً.
** لعبد الله بن المبارك وقيل إنها لغيره:

ومن البلاء وللبلاء علامة ... ألا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها ... والحر يشبع مرة ويجوع

** قال سليمان بن داود عليه السلام: كل العيش قد جربناه، لينه وشديده،
وبلواناه فوجدناه يكفي منه أدناه.

** عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْصَنِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَاقًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا
حَبِزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» [الأدب المفرد، حسن]

** قال يحيى بن خالد: دخلت على الرشيد يوماً فأصبتته متكئاً يسطر في ورقةٍ فيها
كتابة بالذهب، فلما رأني تبسم، فقلت: فائدة أصلح الله أمير المؤمنين؟ قال: نعم،
وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية، وقد أضفت إليهما ثالثاً، وأنشدني:
إذا سد باب عنك من دون حاجةٍ ... فدعه لأخرى يفتح لك بابها
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه ... ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها
ولا تك مبدالاً لعرضك واجتنب ... ركوب المعاصي يجتنبك عقابها
** روى أبو خليفة الفضل بن حباب، عن محمد بن سلام، قال: قال حماد الراوية:

أفضل بيت روى من أشعار العرب، قول الحطئية:

يقولون يستغني ووالله ما الغنى ... من المال إلا ما يكف وما يكفي

باب من المواعظ الموجزة

** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ). [البخاري]

** وَفِيمَا رَوَى عَمْرُو بْنُ مَيْمُونِ الْأَوْدِيِّ، مُرْسَلًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: (اِغْتَنِمْ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَعِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفِرَاعَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ).

** سئل علي عليه السلام: من الزاهد في الدنيا؟ قال: من لم ينس المقابر والبلى وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، وعد نفسه في الموتى.

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إِلَّا غِنًى مُطْعِيًّا، أَوْ فَقْرًا مُنْسِيًّا، أَوْ مَرَضًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَالَ فَالدَّجَالُ شَرُّ غَائِبٍ يَنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ» [مسند أبي يعلى، إسناد رجاله ثقات ومنهم من ضعفه]

** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلَا مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا) [الترمذي، ضعيف]

** قال جعفر بن محمد: الناقص من الناس من لا ينتفع من المواعظ إلا بما آلمه أو لزمه.

** كَانَ يُقَالُ: اجْعَلْ عَمْرَكَ كَنْفَقَةً رَفَعْتَ إِلَيْكَ، فَأَنْتَ لَا تَحِبُّ أَنْ يَذْهَبَ مَا يَنْفَقُ مِنْهَا ضِيَاعًا، فَلَا يَذْهَبُ عَمْرَكَ ضِيَاعًا.

** قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ: أَوَّلُ شَعْرٍ قِيلَ فِي ذِمِّ الدُّنْيَا قَوْلُ يَزِيدَ بْنِ خَدَّاقٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ:

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ رَاقٍ ... أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ وَاقٍ
قَدْ رَجَلُونِي وَمَا بِالشَّعْرِ مِنْ شَعَثٍ ... وَالْبَسُوتِي ثِيَابًا غَيْرَ أَخْلَاقٍ
وَطَيْبُونِي وَقَالُوا أَيُّمَا رَجُلٍ ... وَأَدْرَجُونِي كَأَيِّ طَيٍّْ مَخْرَاقٍ

وأرسلوا فتيةً من خيرهم حسباً... وأسندوا في ضريح الثُرب أطباق
وقسّموا المالَ وأرفضت [كثرت] عوائدهم... وقال قائلُهُم مات ابنُ خذّاقِ
هوّنُ عليكِ ولا تُولعِ بإشفاقِ... فإنّما مالنا للوارثِ الباقي

** قال ابنُ عبّاسٍ: ما اتّعتُ بشيءٍ بعدَ شيءٍ سمعتهُ من رسولِ الله -صلى الله
عليه وسلّم- كاتّعتي بشيءٍ كتبه عليّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام كتبتُ إليّ: «أما بعدُ،
فإنّ المرءَ يسرُّه دركُ ما لم يكن ليُفوته من الدُّنيا، ويسوءُه فوتُ ما لم يكن ليُدركه،
فاجعلْ سُروركِ بما نلتِ من آخرتكِ، وأسفكِ على ما فاتكِ منها، وما نلتِ منها، فلا
تبعِ به فرحاً، وما فاتكِ منها فلا تُكثِرْ عليه جزعاً، واجعلْ همّك، لما بعدَ الموتِ»
[ترتيب الأماي الحميسية للشجري]

** قال أبو سليمان الداراني: رأيتُ علي باب دمشق:

وكم من فتى يمسي ويصبح لاهياً... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
** قال أعرابي لابنه: يا بني! من خاف الموتِ بادر الفوت، ومن لم يصبر على
الشهوات، أسرعت به إلى الهلكات.

** ووعظ أعرابي أخاه فقال: يا أخي! أنت طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته،
وتطلب ما قد كفيته، فكأن ما قد غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت
عنه، يا أخي! كأنك لم تر حريصاً محروماً، ولا زاهداً مرزوقاً.

** عن سهل بنِ سعدٍ، قال: جاءَ جبريلُ عليه السلام إلى النبيّ -صلى الله عليه
وسلّم-، فقال: «يا مُحَمَّدُ، عِشْ ما شئتَ فإنّك ميّتٌ، وأحِبْ مَنْ أَحَبَّتَ فإنّك مفارقُهُ،
وَأَعْمَلْ ما شئتَ فإنّك مجزيُّ به» ثمّ قال: «يا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ وَعَزُّهُ
اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» هذا حديثٌ صحيحٌ الإسنادِ ولم يُخرِّجْهُ [المستدرک وصححه
الذهبي، رواه الطبراني في "الأوسط"، وإسناده حسن]

** كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء: أما بعد، فإنك لا تنال ما تريد إلا بترك
ما تشتهي، ولن تبلغ ما تأمل، إلا بالصبر على ما تكره، فليكن قولك ذكراً، وصمتك
فكراً، ونظرك عبرة، واعلم أن أعجز الناس من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله، وأن
أكيسهم من أتعب نفسه وعمل لما بعد الموت.

** قال الحسن البصري: يا معشر الشيوخ! الزرع إذا بلغ ما يصنع به؟ قالوا:
يحصد. قال: يا معشر الشباب! كم زرع لم يبلغ قد أدركته آفة.

** قال مسلم بن الوليد:

كم رأينا من أناسٍ هلكوا ... فبكى أحباهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم ... ودهم لو قدموا ما تركوا
كم رأينا من ملوكٍ سوقةٍ ... ورأينا سوقةً قد ملكوا

** وقال محمود الوراق:

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه ... فليت شعري ما أبقى لك المال؟
القوم بعدك في حال تسرهم ... فكيف بعدهم دارت بك الحال
ملوا البكاء فما يبكيك من أحدٍ ... واستحكمت القيل في الميراث والقال
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم ... وأدبرت عنك والأيام أحوال

** وقال تميم بن مقبل:

ما أنعم العيش لو أن الفتى حجر ... تنبو الحوادث عنه وهو ملموم
وكل حصن وإن طالت سلامته ... على دعائمه لا بد مهذوم
ومن تعرض للغربان يزرعها ... على سلامته لا بد مشئوم

** وقال كعب بن زهير:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلةٍ حدباء محمول

** كان عمر بن عبد العزيز يتمثل:

من كان حين تصيب الشمس جبهته ... أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته ... فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا
في قعرٍ مظلمةٍ غبراء موحشةٍ ... يطيل فيها ولا يختارها اللبثا
تجهزي بجهازٍ تبلغين به ... يا نفس واقتصدي لم تخلقي عبثا

** وكان يتمثل أيضاً رحمه الله:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم ... وكيف يطيق النوم حيران هائم

فلو كنت يقظان الغداة لحرقت ... مدامع عينيك الدموع السواجم [السيالة]

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... ونومك ليل والردى لك لازم
يغرك ما يفني وتشغل بالمنى ... كما غر باللذات في النوم حالم
وتشغل فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

** وقال محمود الوراق:

أيها الشيخ المعلل ... نفسه والشيب شامل
والليل يطوي لا يفتر ... والنهار بك المنازل
اعلم بأنك نائم ... فوق الفراش وأنت راحل
يتعاقبان بك الردى ... لا يغفلان وأنت غافل

** وقال ابن الكلبي، عن أبيه: خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد، ومعه عدي بن
زيد، فمر بشجرة، فقال له: أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: لا. قال: تقول:

رب ركبٍ قد أناخوا عندنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال
عصف الدهر بهم فانقرضوا ... وكذلك الدهر حالاً بعد حال

قال: ثم مر بمقبرة، فقال له عدي: أتدري أيها الملك ما تقول هذه المقبرة؟ قال: لا.
قال: تقول:

أيها الركب المخبون ... على الأرض المجدون
كما أنتم كنا ... كما نحن تكونون

المخبون [قصير العمر] المجدون [أجدن الرجل إذا استغنى بعد فقر]

فقال النعمان: قد علمت أن الشجرة والمقبرة لم يتكلما، وإنما أردت موعظتي، فما
السبيل الذي تدرك به النجاة؟ قال: تدع عبادة الأوثان، وتعبد الله، وتدين بدين المسيح.
قال: فتنصر يومئذ.

** ولعدي بن زيد التميمي:

كفى واعظاً للمرء أياً دهره ... تُروحُ له بالواعظَاتِ وتغندي

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم المدني: عظمي. فقال: عظم ربك أن يراك
حيث هناك، أو يفقدك حيث أمرك.

ومن مواعظ بعض العرب: كل من ازداد نقص، وكل من أقام ظعن وشخص، ولو كان يميت الناس الداء أعاشهم الدواء.

** وأنشد أبو العباس المبرّد:

تصرفت طورا كي أرى كل عبرة ... وكان الصبا مني جديداً فأخلقا

فما ازداد شيء قط إلا لنقصه ... وما اجتمع الإلفان إلا تفرقا

** وأنشد أبو العباس المبرّد للتابع:

حَسْبُ الْحَلِيلَيْنِ أَنَّ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا ... هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بَالِي

** وقال عمرو بن هند:

نعلل والأيام تنقص عمرنا ... كما تنقص النيران من طرف الوقد

** وقال محمود الوراق:

إن عيشاً إلى الممات مصيره ... لحقيق ألا يدوم سروره

وسرور يكون آخره الموت ... سواء قليله وكثيره

ويروي: طويلة وقصيرة.

** كان يزيد الرقاشي يتمثل كثيراً بهذا البيت:

إننا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يديني من الأجل

** روى من حديث مالك، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه،

قال: ما من أهل بيتٍ إلا وملك الموت يأتيهم، فمن وجده قد انقضى أجله قبض روحه،

فإذا بكى أهله قال: لم تبكون، ولم تجزعون؟ والله ما نقصت لكم عمرا، ولا حبست

عنكم رزقا، ومالي ذنب، وإن لي فيكم لعودة ثم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد.

** قال أبو الدرداء في خطبة خطبها بدمشق: مالي أراكم تجمعون مالا تأكلون،

وتبنون مالا تسكنون، وتأملون مالا تدركون، إن من كان قبلكم جمعوا كثيراً وبنوا شديداً

وأملوا بعيداً، فأصبح جميعهم بوراً ومنازلهم قبوراً، وأملهم غروراً، هذه منازل عاد وثمود

بين قطري الأرض ما يسرني أنها لي بدرهمين.

** وجد مكتوباً في حجر: ابن آدم! لو رأيت يسير ما بقي من أجلك؛ لزهدت في

طول ما ترجوه من أملك، وإنما يلقاك ندمك، لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك

وحشمك، وانصرف عنك القريب وودعك الحبيب، ثم صرت تدعى فلا تجيب، فلا أنت في عملك بزائد، ولا إلى أهلك بعائد؛ فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة، وقبل الحسرة والندامة.

** قال عبد الله بن ثعلبة: أمسك مذموم منك، ويومك غير محمود لك، وغدك غير مأمون عليك.

** قال علي بن أبي طالب: يا ابن آدم! لا تحمل هم يومك الذي لم يأت علي يومك الذي قد أتى، فإنه إن يكن من أجلك أتى الله فيه برزقك، واعلم أنك إن تكسب شيئاً فوق قوتك إلا كنت خازناً لغيرك.

** قال بعض الحكماء: الأيام ثلاثة، فأمس صديق مؤدب، أبقى لك عظةً وترك فيك عبرة، واليوم صديق مودع، أتاك ولم تأته، كان عنك طويل الغيبة، وهو عنك سريع الظعن، فخذ لنفسك فيه، وغد لا تدري ما يحدث الله فيه، أمن أهله أنت أم لا.

** لأسقف نجران، ويروى لتبع الحميري:

منع البقاء تصرف الشمس ... وطلوعها من حيث لا تسمى
وطلوعها بيضاء صافية ... وغروبها صفراء كالورس
اليوم تعلم ما يجيء به ... ومضى بفصل قضائه أمس

** مكتوب في التوراة: البر لا يبلي، والذنب لا ينسى، والمال يفنى، والخير يبقى، والديان حي لا يموت، فكن كما شئت، كما تدين تدان.

** وجد حجر مكتوب فيه: ما أكلنا نلنا، وما قدمنا وجدنا، وما تركنا ندمنا.

** وخير من هذا قول رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (يَقُولُ الْعَبْدُ: مَا لِي، وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ مَا أَكَلْتُ فَأَفْنَيْ، أَوْ لَيْسَ فَأَبْلَى، أَوْ تَصَدَّقَ فَأَمْضَى، وَمَا سِوَاهُ، فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» وإسناده صحيح على شرط مسلم.

** قال علي بن أبي طالب: لا وجع إلا وجع القلوب من الذنوب، ولا شيء أشد من الموت، وكفى بما سلف تفكراً، وكفى بالموت واعظاً.

** قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تमित القلوب ... وقد يورث الذل إدامها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها
وهل بدل الدين غير الملوك ... وأحبار سوءٍ ورهبانها

** قال عمر بن عبيد للمنصور: إن الله قد وهب لك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منه ببعضها.

** كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: خف ما خوفك الله يكفك ما خوفك الناس، وخذ مما في يديك لما بين يديك، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين.

** قال الحسن بن أبي الحسن، وقد نظر إلى الناس يلعبون ويضحكون في يوم العيد: إن الله قد جعل شهر رمضان مضمراً الخلق، يستبقون فيه لطاعته إلى مرضاته، فالعجب من الضاحك واللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه، ومسيء بإساءته عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر.

** وقال منصور الفقيه:

أتلهو وقد ذهب الأطييان ... وأندرك الشيب قرب الأجل

كأنك لم تر حياً يموت ... ولم تر ميتاً على مغتسل

** كان بعض الحكماء يقول: لئن كانت الحظوظ بالجدود فما الحرص، وإن كانت الأيام ليست بدائمة فما السرور، وإن كانت الدنيا غرارة فما الطمأنينة.

** قال أحمد بن زهير: سمعت مصعب بن عبد الله الزبيري يقول: أبو العتاهية أشعر

الناس، فقلت: بأي شيء استحق ذلك عندك؟ فقال: بقوله:

تعلقت بآمالٍ ... طوالٍ أي آمال

وأقبلت على الدنيا ... ملحاً أي إقبال

أيا هذا تجهز ... لفراق الأهل والمال

فلا بد من الموت ... على حالٍ من الحال

ثم قال مصعب: هذا كلام حق لا حشو فيه ولا نقصان، يعرفه العاقل، ويقر به الجاهل.

** قال عمر بن عبد العزيز: خلقنا لأمر إن كنا نؤمن به إنا لحمقى، وإن كنا تكفر به إنا لهلكي.

** قال أبو العتاهية:

أتطمع أن تخلد لا أبا لك ... أمنت قوى المنية أن تنالك
أما والله إن لها رسولا ... أقسم لو أتاك لما أقالك
توقع حيث كنت نزول يوم ... يشتت بعد جمعهم عيالك
كأني بالتراب عليك يحثي ... وبالباكين يقتسمون مالك
ولست بحاملٍ منه نقيراً ... ولا متزوداً إلا فعالك

** قال داود الطائي: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله قصر عمله.

** وقال سابق البربري:

أين الملوك التي عن خطبها غفلت ... حتى سقاها بكاس الموت ساقياها
نرجو ونأمل أياماً تعد لنا ... سريعة المر تطوينا ونطويها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودارنا لخراب الدهر نبنينا
** قال ميمون بن مهران: دخلت على عمر بن عبد العزيز يوماً، وعنده سابق البربري ينشده شعراً، فكان مما حفظت منه:

فكم من صحيح بات للموت آمناً ... أته المنايا بغتةً بعد ما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتةً ... فراراً ولا منه بجيلةً امتنع
ولا يترك الموت الغني ماله ... ولا معدماً في المال ذا حاجة يدع
** وقال مصبح الأسدي:

كفى خيبةً بالمرء يا أم مالكٍ ... ركوب المعاصي عامداً واحتقارها
** ويروي لمنصور الفقيه:

إذا لم يكن لك في المحكمات ... وفي الموت ناه عن المنكرات

فلا تغدون إلى واعظٍ ... فلست بمنفع بالعضات

** وقال أيضاً:

من لم تعظه المنايا ... ولم يعظه الكتاب

فليس ينجع فيه ... فلا تعن عتاب

** وقال آخر:

من كان لا يطاءً التراب بنعله ... وطئ التراب بصفحة الخد

من كان بينك في التراب وبينه ... شيران فهو بغاية البعد

لو كشفت للناس أغطية الثرى ... لم يعرف المولى من العبد

** خرج النعمان بن المنذر يتنزّه بظاهر الحيرة ومعه عدي بن زيد العبادي، فمرا

على المقابر فقال له عدي: أبيت اللعن! أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا. قال:

فإنها تقول:

من رأنا فليحدث نفسه ... أنه موفٍ على قرن الزوال

وصروف الدهر لا تبقى لها ... ولما تأتي به صم الجبال

رب ركبٍ قد أناخوا عندنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال

عمروا الدهر بعيشٍ حسنٍ ... آمني دهرهم غير عجال

ثم أضحوا عصف الدهر بهم ... وكذلك الدهر حالاً بعد حال

** كان عمر بن الخطاب يتمثل:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد

أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوبٍ إليها وافد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذبٍ ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

** نظر مالك من ملوك الفرس يوماً إلى ملكه فأعجبه، فقال: إن هذا هو الملك لو

لم يكن بعده هلك، وإنه لسرور لولا أنه غرور، وإنه ليوم، لو كان يوثق له بغد.

** قال مالك بن أنس: سكن القبور رجل مجاوراً لها ملازماً، فعوتب في ذلك، فقال: إنهم جيران صدق لا يؤذونني، ولي فيهم عبرة.

** قال ابن المعتز:

وجيران صدق لا تزاور بينهم ... على قرب بعض في التجاور من بعض
كأن خواتيماً من الطين فوقهم ... فليس لها حتى القيامة من فض

** وقال آخر:

اسمع فقد أسمعك الصوت ... إن لم تبادر فهو الفوت
كل كل ما شئت وعش ناعماً ... آخر هذا كله الموت

** وقال آخر:

إذا ما وعظت الجاهلين بحكمة ... فلم يعرفوها أنزلوها على هجر
فعظ كل ذي عقلٍ على قدر عقله ... ولا تعظ الحمقى على ذلك القدر

باب العمل

** عَنْ ثَوْبَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
(اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا
مُؤْمِنٌ). [أحمد، صحيح]

** عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى
الْمُؤْمِنِ» [مسلم]

** قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: اعملوا ما شئتم أن تعملوا، فإنه لن يأجركم الله حتى تعملوا.
** قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ: أدركت الناس وما يعجبهم القول، إنما يعجبهم العمل.
** قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ: أي الأعمال أفضل؟ قَالَ: إدخال السرور على المؤمن.
** قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس، ويشهد لهذا قوله
-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟
قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ،
وَأَنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرَّبَاطُ» [مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

** لَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونَ مِنَ الْعِرَاقِ، وَسُئِلَ عَنْ أَهْلِهَا، قَالَ:

بها ما شئت من رجلٍ نبيلٍ ... ولكن الوفاء بها قليل

يقول فلا ترى إلا جميلاً ... ولكن ليس يفعل ما يقول

** وقال دعبل:

ولي صاحب أسترزق الله قوته ... خفيف عليه قول ما ليس يفعل

** قِيلَ لِسَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ: ما العمل الصالح؟ قَالَ: ما لا تحب أن يحمذك عليه أحد.

** قَالَ الْمَأْمُونُ: نحن إلى أن نوعظ بالأعمال، أحوج منا إلى أن نوعظ بالأقوال.

** كَانَ أَبُو معاوية الأسود يقول: الله أكرم من أن ينعم بنعمةٍ إلا يتمها، ويستعمل

بعملٍ إلا يقبله.

** قال بعض الحكماء: لو ثقل الكلام على الواعظين كما ثقل على العاملين، قل كلامهم.

** قال ابن السماك: قليل من توفيق، أحب إلى من كثير من عمل.

** كان يقال: العمل قرين لا يستطاع فراقه، فمن استطاع أن يكون قرينه صالحاً فليعمل، فإنه لا يصحبه في آخرته غير عمله.
** قال الشاعر:

الموت داء لا دواء له ... إلا التقى والعمل الصالح

** رأى أعرابي جنازة حمزة الزيات وقد حشد لها الناس، فقال: ما رأيت أرفع لحساسة من عمل صالح.

** قال عمرو بن العاص: اعمل لدنياك عمل من يعيش أبداً، واعمل لآخرتك عمل من يموت غداً.

** كان يقال: اعمل وأنت مشفق، ودع العمل وأنت تحبه.

** قيل لرابعة القيسية: هل عملت عملاً ترين أنه يقبل منك؟ قالت: إن كان فمخافة أن يرد علي.

** قال أبو بكر المزني: رحم الله من كان قوياً فأعمل قوته في طاعة، أو كان ضعيفاً فكف عن معصية الله.

** كان أبو حنيفة رحمة الله يتمثل:

كفى حزناً ألا حياة هنية ... ولا عمل يرضى به الله صالح

وقال آخر:

يا أيها الناس كان لي أمل ... أعجلني من بلوغه الأجل

فليتق الله ربه رجل ... أمكنه في حياته العمل

** وقال محمود الوراق:

يحسن القول إذ قال ولا ... يتحرى حسناً فيما فعل

صير القول بجهل عملاً ... ثم أجراه على مجرى العمل

لئنه كان كما قال ولا ... يقطع الأيام إلا بالجدل

باب مختصر من التعازي في المصائب

والصبر على النوائب

** كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه إذا عزى قومًا، قال: ليس مع العزاء مصيبة، وليس مع الجزع فائدة، والموت أشد مما قبله، وأهون مما بعده، اذكروا فقد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تسهل عليكم مصيبتكم.
** قال أبو العتاهية:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ ... وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدٍ
أَوْ مَا تَرَى أَنَّ الْمَصَائِبَ جَمَّةٌ [كثيرة] ... وَتَرَى الْمَنِيَّةَ لِلْعِبَادِ بِمَرَصَدٍ
مَنْ لَمْ يُصَبِّ مِمَّنْ تَرَى بِمُصِيبَةٍ؟ ... هَذَا سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهِ بِأَوْحَدٍ
فَإِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا وَمُصَابَهُ ... فَادْكُرْ مُصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
** وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (إِنَّ
اللهَ عز وجل يُنَزِّلُ الْمَعُونَةَ عَلَى قَدْرِ الْمُنُونَةِ [القوت] وَيُنَزِّلُ الصَّبْرَ عَلَى قَدْرِ الْبَلَاءِ)
[صحيح الجامع]

** عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: (اتَّقِي اللهُ وَاصْبِرِي) قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ
بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَاتَتْ بَابَ النَّبِيِّ -
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: (إِنَّمَا الصَّبْرُ
عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى). [البخاري]

** قال علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا
إيمان لمن لا صبر له.

** قال محمد بن علي بن الحسين: الصبر صبران؛ فصبر عند المصيبة حسن جميل،
والصبر عما حرم الله أفضل.

** مات ابن لداود عليه السلام، فجزع عليه جزعاً شديداً، فأوحى الله إليه: أتفرح إذ جعلته فتنه، وتجزع إذ جعلته صلاة ورحمة.

** مات ابن خالد بن عبد الله القسري، فقامت الخطباء تعزيه فأطنبت، فقام دهقان فقال: أيها الأمير! إن رأيت أن تقدم ما أخرجت من الصبر، وتؤخر ما قدمت من الجزع فافعل. فلم يحفظ إلا كلامه.

** مات ابن لعمر بن عبد العزيز، فكتب إليه بعض إخوانه يعزيه عنه، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإن هذا أمر كنا نعرفه، فلما وقع لم ننكره، والسلام.

** عزى ابن عباس عمر عن ابن له، فقال له: عوضك الله منه ما عوضه منك.

** عزى عبد الله بن عباس عبد الله بن جعفر، فقال: لا أعدمك الله الأجر على الرزية، ولا الخلف من الفقيد، وثقل به ميزانك.

قال العتبي:

كل حزن يبلي على قدم الدهر ... وحزني يجده الأبد

فجعت باثنين ليس بينهما ... إلا ليالٍ ليست لها عدد

ما عالج الحزن والحرارة في .. الأحشاء من لم يميت له ولد

** قال سهم بن عبد الحميد: شهدت يونس بن عبيد وقد عزاه عمرو بن عبيد على ابن له هلك، فقال: إن أباك كان أصلك، وإن ابنك كان فرعك، وإن امرءاً ذهب أصله وفرعه لحري أن يقل بقاؤه.

** قال عمر بن عبد العزيز: ما أحسن تعزية أهل اليمن، فكانت تعزيتهم: لا يحزنكم الله ولا يفتنكم، وأثابكم ما أثاب المتقين، وأوجب لكم الصلاة والرحمة.

** عزت امرأة المنصور عن أخيه أبي العباس، فقالت: أعظم الله أجرك، فلا مصيبة أعظم من مصيبتك، وبارك الله لك فيما أتاك، فلا عوض أحسن من خلافتك.

** كتب بعض العلماء إلى المنصور يعزيه: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإن أحق الناس بالرضا والتسليم لأمر الله من كان إماماً بعد الله، ولم يكن له إمام إلا الله.

** عزى الزبير عبد الرحمن بن عوف عن بعض نساءه فقام على قبرها، فقال: لا اصفر الله ربك، ولا أوحش بيتك، ولا أضاع أجرك، رحم الله متوفاك، وأحسن الخلافة عليك.

** مات لرجل بنون فترك كلام الناس حيناً ثم انبسط وضحك، فقيل له في ذلك، فقال: كان قرحاً فبراً.

** قال حذيفة: إن الله لم يخلق شيئاً قط إلا صغيراً ثم يكبر، إلا المصيبة فإنه خلقها كبيرةً ثم تصغر.
** قال الطائي:

ومهما يدم فالوجد ليس بدائم

** وقال آخر:

وكما تبلى وجوه في الثرى ... فكذا يبلى عليهن الحزن

** خرجت امرأة من العرب تريد المقابر حتى جلست على قبر ابنها، فقالت بصوتٍ لها ضعيف: هذا والله المنزل الحق، والوعد الصدق، والوعد الشديد، والمسكن الذي ليس لأهل الدنيا عنه محيد، هذا والله المفرق بين الأحباب، والمقرب من الحساب، وبه يعرف الفريقان منازلهم، أهل السعادة وأهل الشقاء، لا أقول هجراً، ولكني أحتسب على الله مصابي بك يا بني، ففسح الله لك في ضريحك، وجمع بينك وبين نبيك، أما إني أقول علمي بك، كنت - والله عليم بباطنك - جواداً، إن أتيت أتيت رشاداً، وإن اعتمدت وجدت عماداً. ثم أنشأت تقول:

يا ليت شعري كيف غيرك الردى ... أم كيف صار جمال وجهك في الثرى

لله درك أي كهل غيبوا ... تحت الجنادل لا يحس ولا يرى

لباً وحلماً بعد حزم زانه ... بأس وجود حين يطرق للقرى

لما نقلت إلى المقابر والبلوى ... دنت الهموم فغاب عن عيني الكرى

الكرى: الشعور بالنعاس

قال: ثم لم تنزل تبكي وتشهق وتضرب على قرنيها حتى ماتت.

** كان خالد بن برمك يقول: التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة.

** دخل عبد الله بن عمر بن عتبة على المهدي يعزيه بالمنصور، فقال: آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين، وبارك له فيما خلفه فيه، فلا مصيبة أعظم من المصيبة بإمام، ولا عقبي أفضل من خلافة الله على أمة نبيه عليه السلام، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية، واحتسب عنده أفضل الرزية.

** وقال محمود الوراق:

تَعَزَّرَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ عَن كُلِّ هَالِكٍ ... ففِي الصَّبْرِ مَسَلَةٌ الْهُمُومِ اللَّوَاظِمِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَزَاءً وَحَسْبَةٌ ... سَلَوْتُ [نَسِيتُ] عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبِهَائِمِ
وَلَيْسَ يَرُدُّ النَّفْسَ عَن شَهَوَاتِهَا ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ مَا فِي الْعَزَائِمِ
** وقال أبو تمام الطائي:

أتصبر في البلوى عزاءً وحسبةً ... فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

** كتب رجل إلى صديق: أما بعد، فإن الصبر سجية المؤمن، وعزيمة المتوكل، وسبب درك النجح في الحوائج، وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

** أصيب الأحنف بمصيبة فلم يجزع لها، فقيل له: إنك لصبور! فقال: الجزع شر الحالين، يباعد المطلوب، ويورث الحسرة، ويوقع على صاحبه العار.

** وقيل لامرأة أصيبت بولدها: كيف أنت والجزع؟ فقالت: لو رأيت فيه دركاً [لحاقاً] ما اخترت عليه، ولو دام لي لدمت عليه.

** جزع أعرابي على موت ابنه؟ فليم على ذلك، فقال: أعلى قدر الله أتجلد؟ والله للجزع من قدر الله أحب إلي، لأن الجزع استكانة، والصبر قساوة.

** سئل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن الرجل المسلم تموت له أم نصرانية كيف يعزي فيها؟ فقال: تقول: الحمد لله على ما قضى، قد كنا نحب أن تموت على الإسلام ويسرك الله بذلك.

** وسئل أيضاً عن الجار النصراني يموت وله ولي من النصارى، كيف نعزيه؟ قال: تقول: إن الله كتب الموت على خلقه، والموت حتم على الخلق كلهم.

** عزى أعرابي عمر بن عبد العزيز في ابنه، فقال:

تعز أمير المؤمنين فإنه ... لما قد ترى يغذى الصغير ويولد

** لما قطعت رجل عروة بن الزبير تمثل بأبيات معن بن أوس:

لعمرك ما أهديت كفى لريبة ... ولا حملتني فوق فاحشةٍ رجلي

ولا قادي سمعي ولا بصري لها ... ولا دلني رأبي عليها ولا عقلي

وأعلم أني لم تصبني مصيبة ... من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

** قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك حين دويت رجله، فقبل له:

اقطعها. فقال: إني لأكره أن أقطع مني طائفة، فارتفعت إلى الركبة، فقبل: إن وقعت في

ركبتك قتلتك فقطعها، فلم يقبض وجهه ولا تأوه.

ويقال: إنه لم يترك حزيه في تلك الليلة. وقيل له قبل أن يقطعها: نسقيك دواءً لا

تجد لها ألماً؟ قال: ما يسرني أن هذا الحائط وقاني أذاها.

فلما كان بعد أيام قام ابنه محمد بن عروة ليلاً فسقط من أحد الأسطح في اصطبل

دواب الوليد، فضربته بقوائمها حتى قتلته. فأتى رجل عروة يعزيه، فقال له عروة: إن

كنت جئت تعزي برجلي فقد احتسبتها. فقال: بل أعزيك في محمد ابنك. قال: وماله؟

فخبره بشأنه، فقال:

وكنت إذا الأيام أحدثن نكبة ... أقول شوى [يسير أو حقير]، ما لم يصبن

صميمي

اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، ولئن كنت أخذت

لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت.

** ولما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق، فأتاه محمد بن المنكدر، فقال له: كيف

كنت؟ قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا.

وجاءه عيسى بن طلحة، فقال لبعض بنيه: اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها،

ففعل. فقال عيسى بن طلحة: أما والله يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق،

ولقد أبقي الله لنا ما كنا نحتاج إليه منك، رأيك وعلمك، فقال عروة: ما عزاني أحد عن

رجلي مثلك.

** قال سهل بن هارون: التهئة على آجل الثواب أولى من التعرية على عاجل المصيبة.

** قال عيينة بن حصن الفزاري، وقد قدم من سفر، وقد أصابه مصيبة، فأناه قومه فقال لهم: اجعلوا لقاءكم سلاماً، ولا يأتي أحدكم معزياً، فإن التعزية تهيج التذكرة، ومن أراد أن يدعو بخير في الرزية فليظهر العتب [الاسترضاء].

** أصيب محمود الوراق بجارية يقال لها نشوى، كان علمها وخرجها وأعطى فيها مالا كثيراً فأبى، فأتى بعض إخوانه يعزیه عنها، وهو عنده أنه شامت، فجعل يعذله على ما كان يحمل إليه من ثمنها ويذكر حاله، ويطنب في وصفها، فأنشأ محمود يقول:

ومنتصح يكرر ذكر نشوى ... على عمدٍ ليعث لي اكتتابا
فقلت وعد ما كانت تساوي سيحسب ذاك من خلق الحسابا
وقال محمود أيضاً في نشوى:

لعمري لئن غال صرف الزمان ... نشوى لقد غال نفساً حبيبه

ولكن علمي بما في الثواب ... عند المصيبة ينسى المصيبة

** روى يحيى القطان، عن خالد بن أبي عثمان، قال: أتاني سعيد بن جبير يعزيني عن أبي، فرآني مستكيناً، فقال لي: أما علمت أن الاستكانة من الجزع.

** كان علي -رحمه الله- إذا عزى قوماً قال: عليكم بالصبر؛ فبه يأخذ الحازم، وإليه منصرف الجازع.

** ولما دفن علي فاطمة -رضى الله عنهما- تمثل على قبرها بهذين البيتين:

لُكِّلَ اجْتِمَاعٍ مِنْ حَلِيلَيْنِ فُرْقَةً ... وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلٌ

وَإِنَّ افْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ... دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلٌ

يقال: إنها له، وقال ابن الأعرابي: هي أبيات لسقران السلاماني.

** كان يقال: جزعك على مصيبة أخيك أحمد من صبرك، وصبرك على مصيبتك

أحمد من جزعك.

** ومن أبيات لضابي بن الحارث البرجمي:

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

** عزى رجل رجلاً فقال: لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها.

** دخل أبو العتاهية على الفضل بن الربيع يعريه بابنه العباس، فقال: الحمد لله الذي جعلنا نعزيك عنه، ولم يجعلنا نعزيه عنك. فدعا الفضل بالطعام فأكل، وقد كان قبل ذلك امتنع من الأكل.

** قال يونس بن حبيب: أشعر بيت قالته العرب، قول دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ:

قليل التشكي للمصيبات ذاكر ... من اليوم أعقاب الأحاديث من غد

** وقال منصور الفقيه:

ماذا جنته الليالي ... فيما جلبن إلينا

وفي كل يوم نعزى ... فيمن يعز علينا

** عزى رجل رجلاً ماتت امرأته من نفاسها، فقال: أعظم الله أجرك فيما أباد، وبارك لك فيما أفاد.

** ومن شعر جرير في رثاء امرأته:

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ... ليل يكر عليهم ونهار

صلى الملائكة الذين تخيروا ... والطيبون عليك والأبرار

** قال عمر بن الخطاب: أفضل الصبر التصبر.

** قال يونس بن عبيد: لو أمرنا بالجزع لصبرنا.

** قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر: اصبر إذا عضك الزمان، ومن

أصبر عند الزمان.

** وقال آخر:

فإذا أتتك مصيبة فاصبر لها ... عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

** وقال ربيعة الرقي:

أليس الزمان كما قد علمت ... فمالك تجزع من صرفه

وعندك علم به ثاقب ... وعين تدل على وصفه

وأيامه دول والنفوس ... رهون الحوادث من حتفه

فأين المعافي من النائبات ... ومن صاحب الدهر لم يعفه

ومن صاحب الدهر لاقى الذي ... يخاف على الرغم من أنفه
فكن حازم الرأي واصبر له ... فللحر صبر على ضعفه

** وقال أبو العتاهية:

ليس لمن ليست له حيلة ... موجودة خير من الصبر

** وقال آخر:

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقى ... نوائب هذا الدهر أم كيف يجذر
يرى الشيء مما يتقى فيخافه ... وما لا يرى مما يقى الله أكثر

** وقال أبو العتاهية:

حيلة من ليست له حيلة ... حسن عزاء النفس بالصبر

** وقال آخر:

كم نعمة مطوية ... لك بين أثواب النوائب
ومسرة قد أقبلت ... من حيث تنتظر المصائب

** وقال آخر:

كم نعمة لا يستقل بشكرها ... لله في طي المكاره كامنه

باب من كلام المحتضرين

** روى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهمي مولى الزبير، عن عائشة رحمها الله، قالت: لما احتضر أبو بكر قالت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فقال: يا بنية! لا تقولي هكذا، ولكن قولي: {وجاءت سكرة الحق بالموت، ذلك ما كنت منه تحيد}. وكذلك كان يقرأها فيما زعموا. ثم قال: انظروا إلى ثوبي هذين، فاغسلوهما وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت. وقد روى من وجوه في هذا الخبر أن أبا بكر رحمه الله قال لها: قولي: {وجاءت سكرة الموت بالحق} على ما في مصحف عثمان.

** قيل لبعض الصالحين - وهو يجود بنفسه - : كيف تجدك؟ وكيف حالك؟ فقال: كيف حال من يريد سفرًا بعيداً بلا زاد، ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس، وينطلق إلى رب ملك بلا حجة.

** لما احتضر عمر بن الخطاب بكى، فكلمه ابن عباس أو غيره بكلام فيه ثناء عليه، فقال: المغرور من غررتموه، ليت أمني لم تلدني. ثم أوصى بوصايا حسان.

** لما احتضر معاوية، قيل له: قل: لا إله إلا الله، فضعف عنها حتى كررت عليه ثلاثاً، كل ذلك لا يقدر يقولها، ثم قال في آخر ذلك: أولست من أهلها؟

** وفي خبر آخر: أن معاوية لما احتضر، قال لابنه: يا بني! كنت مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وإني أخذت من شعره بمشقص [نصل عريض]، وهو عندي في

موضع كذا، فإذا أنا مت فخذوا ذلك الشعر واحشوا فمي ومنخري، ثم قال: إن تناقش يكن نقاشك يا رب ... عذاباً لا حاق لي بالعذاب

أو تجاوز وأنت رب رحيم ... عن مسيء ذنوبه كالتراب

ثم أغمى عليه، ثم أفاق فقال:

فهل من خالدٍ إما هلكنا ... وهل بالموت يا للناس عار

ثم قال لأهله الذين حضروا: اتقوا الله؛ فإن الله يقي من اتقاه. ثم قضى.

** وفي خبر آخر: أن معاوية لما حضرته الوفاة احتوشه أهله [أحاطوا به وجعلوه وَسَطَهُمْ]، فجعلوا يقبلوا به [يتكفلوا به]. فقال: إنكم لتقبلون حولاً قلباً إن نجا من النار. ثم قال: لا يدفع ريب المنية الحيل.

** وفي خبر آخر: أنه لما احتضر معاوية، رفع يديه؛ وهو يجود بنفسه، وقال متمثلاً:

هو الموت لا منجى من الموت والذي ... أحاذر بعد الموت أدهى وأفطع
ثم قال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وجد بحلمك على من لا يرجو غيرك،
ولا يتق إلا بك، فإنك واسع الرحمة، تعفو بقدره، وما وراءك مذهب لذي خطيئة موبقة،
يا أرحم الراحمين.

** وفي خبر آخر عن سعيد بن المسيب، قال: لما احتضر معاوية قال: أقعدوني.
فأقعد. فجعل يذكر الله، وقال: يا رب! ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي، وعزتك
إن لم تغفر لي فقد هلكت، ثم غشى عليه فبكى أهله، ثم أفاق، فأنشأ يقول متمثلاً:
لعمري لقد عمرت في الملك برهةً ... ودنت لي الدنيا بوقع البواتر [السيف

القاطع

وأضحى الذي قد كان منى يسرني ... كلمحٍ مضى في السالفات الغوابر
فيا ليتني لم أغن في الملك ساعةً ... ولم أغن في لذات عيشٍ نواضر
وكنت كذي طمرين عاش ببلغةٍ ... من الدهر حتى زار ضيق المقابر
ثم مات رحمه الله

** لما احتضر عمرو بن العاص قال: اللهم أمرتني فلم ائتم، وزجرتني فلم أزدجر،
ووضع يده في موضع الغل، فقال: اللهم لا قوي فأنتصر، ولا برئ فأعتذر، ولا مستكبر
بل مستغفر، لا إله إلا أنت. فلم يزل يرددتها حتى مات. رحمه الله.

** وفي خبر آخر، قيل لعمرو بن العاص في مرضه الذي مات فيه: كيف تجددك؟
قال: أجدي أدوب ولا أثوب. فلما قربت نفسه من أن تفيض قال له ابنه: قد كنت
تحب أن ترى عاقلاً فطناً قد احتضر؛ فتسأله عما يجد المحتضر وقد احتضرت، وأنا أحب

أن تصف لي الموت. فقال: أجد كأن السماء منطبقة على الأرض، وكأني أتنفس من خرم إبرة.

** لما نزل بهشام بن عبد الملك الموت، نظر إلى ولده يبكون حوله، فقال لهم: جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء، وترك لكم ما جمع، وتركتم عليه ما اكتسب، ما أعظم منقلبه إن لم يغفر الله له.

** وقال معمر المتكلم صاحب المعاني: حضرت الوفاة رجلاً كان معي في الحبس، وكان داؤه البطن، فقلت له: كيف تجدك؟ قال: أجد تحريري أكثر من تبردي، وأجد روحي قد خرج من نصفي الأسفل، وكأن السماء قد دنت مني فلو شئت أن ألمسها بيدي لفعلت، ومهما شككت في شيء فلا تشك أن الموت برد ويبس، وأن الحياة رطوبة وحرارة.

** ليعقوب بن الربيع يرثي جاريته:

حتى إذا فتر اللسان وأصبحت ... للموت قد ذبلت ذبول النرجس

وتسهلت منها محاسن وجهها ... وغدا الأنين تحته بتنفس

رجع اليقين مطامعي ياساً كما ... رجع اليقين مطامع المتلمس

** لما احتضر سعيد بن المسيب، وجه إلى القبلة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: وجهناك إلى القبلة. فقال: أولست على القبلة؛ أليس وجهي إلى الله حيث كان.

** قال عطاء بن يسار: تبدي إبليس لرجل عند موته، فقال: نجوت. قال: ما أمنتك بعد.

** لما احتضر عمرو بن عبيد، قال: جاءني الموت ولم أتأهب له، اللهم إنك تعلم أنه لم يسبح لي أمران لك في أحدهما رضى، ولي في الآخرة هوى، إلا اخترت رضاك على هواي، اللهم فاغفر لي.

** قيل لبعضهم، وقد احتضر: أي شيء تشتكي؟ قال: تمام العدة، وانقضاء المدة.

** قيل لأعرابي في مرضه: ما الذي تجد؟ قال: أجد مالا أشتهي، وأشتهي مالا أجد.

** قيل: لما احتضر الحجاج قال: والله لئن كنت على سبيل هدىً فليس حين جزع، وإن كنت على سبيل ضلالة فليس حين فزع.

** قال عبد الأعلى بن حماد البرقي: دخلت على بشر بن منصور، وهو في الموت: فرأيته مستبشراً، فقلت له: ما هذا السرور؟ قال: أخرج من بين الحاسدين والباغين والمغتائبين، وأقدم على رب العالمين، ولا أفرح.

** لما مرض أمية بن أبي الصلت - اسم أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف من ثقيف - مرضه الذي مات فيه، جعل يقول: قد دنا أجلي، وهذه المرضة منيتي، وأنا أعلم أن الحنيفة حق، ولكن الشك يداخلني في محمد، فلما دنت وفاته أغمى عليه قليلاً، ثم أفاق وهو يقول: لبيكما لبيكما، هأنذا لديكما. لا مال فيقذيني [ينبهي] ولا عشيرة فتنجيني. ثم أغمى عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظن من حضر من أهله أنه قد مضى، ثم أفاق وهو يقول: لبيكما لبيكما، هأنذا لديكما، لا برئ فأعذر، ولا قوي فأنتصر. ثم إنه بقي يحدث من حضره ساعة، ثم أغمى عليه مثل المرتين الأولين، حتى يسوا من حياته، وأفاق وهو يقول: لبيكما لبيكما، هأنذا لديكما محفوظ بالنعيم، محفوظ من الريب:

إن تغفر الله تغفر جما ... وأي عبدٍ لك لا ألما

ثم أقبل على القوم، فقال: قد جاء وقتي، فكونوا في أهبي، وحدثهم قليلاً، ثم يس القوم من موته، وأنشأ يقول:

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا ... صَائِرٌ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي ... فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوَعُولَا
اجْعَلِ الْمَوْتَ نُصَبَ عَيْنِكَ وَاحْذَرِ ... غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ لِلدَّهْرِ غُولَا
ثم قضى نحبه، ولم يؤمن بالنبى عليه السلام.

** لما احتضر سيبويه، جعل رأسه في حجر أخيه، فقطرت قطرة من دموع أخيه على وجهه، فأفاق من غشيته، وقال:

أَحْيَيْنَ كُنَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى فَمَنْ يَأْمَنُ الدَّهْرَا

** قال محمد بن إبراهيم الكاتب، دخلنا على أبي نواس نعوده في مرضه الذي مات فيه، ومعنا صالح بن علي الهاشمي، فقال له صالح: تب إلى الله يا أبا علي؛ فإنك في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وبينك وبين الله هنات. فقال: أسندوني. فأسندوه، فقال: إياي تخوف الله؟ قد حدثني حماد بن سلمة، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك: أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمي)، أتراني لا أكون منهم؟ وقد حدثني حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة). وراه بعض إخوانه بعد موته بأيام في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها، وهي الآن تحت وصادتي. فنظروا وإذا برقعة تحت وصادته في بيته فيها مكتوب:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
 إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذي يدعو إليه المحرم
 أدعوك رب كما أمرت تضرعاً ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
 مالي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل ظني ثم أي مسلم

** حدث محمد بن يعقوب البزاز: كنت جارا لأبي نواس، فعدته في مرضه الذي مات فيه، ودخل عليه طبيب نصراني اسمه سعيد، فنظر إليه ووصف له دواء يعلله به، ثم خرج وخرجت بخروجه، فغمزني وقال: مرهم لا يعذبوه بالدواء؛ فإنه الساعة يموت، فرجعت إليه فقال: سألتك بالله ما قال لك النصراني، فإني رأيتك قد غمزك؟ فقلت: ما عسى أن يقول؟! فقال: أقسمت عليك لما أخبرتني. فأخبرته، فرفع عينيه إلى السماء، وسالت دموعه على خديه، وقال:

يا رب إني لم أزل ... في مثل حال السحره
 حين استلاذوا بعري ... الدين وكانوا كفره
 فآمنوا يوماً ففا ... زوا بثواب البره
 ولم أزل مستشعر ال ... إيمان ياذا المقدره
 فاغفر فإني منك أو ... لي منهم بالمغفره

** ويروى أن آخر بيت قاله محمود الوراق في مرضه الذي مات فيه:
إن ظني بحسن عفوك يا رب ... جميل وأنت مالك أمري
صنت سري عن القرابة والأهل ... جميعاً وأنت موضع سري
ثقة بالذي لديك من السر ... فلا تخزني به يوم نشري
يوم هتك الستور عن حجب الغيب ... فلا تهتك للناس ستري
** وقال محمد بن مناذر:

إِنَّمَا أَنْفُسُنَا عَارِيَةٌ ... والعواري قَصْرُهَا أَنْ تُسْتَرَدَّ
نَحْنُ لِلآفَاتِ أَغْرَاضٌ فَإِنْ ... أَخْطَأْتُنَا فَلَنَا الْمَوْتُ رِصْدٌ

تم بحمد الله الكريم الوهاب
اللهم تقبل